العراق

بين انياب السباع

السيد حسين الحسيني



العراق
بين أنياب السباع

عرض موجز لمأساة العراقيين في ظل الحكومات السابقة

تأليف

السيدحسين الحسيني الزرباطي

مكتب ثقافة المقاومة

الجامعة الحرة الإسلامية

(دفتر فرهنگ مقاومت دانشگاه آزاد
اسلامي)

هوية الكتاب

اسم الكتاب .... العراق بين أنياب السباع

المؤلف .... السيدحسين الحسيني

التنضيد والاخراج .... السيدعلى الحسيني

اطروحه الجلد: باسم الرسام

الاعدادالفنى: منظمة الانتشارات التابعه لجامعةالحرة الاسلاميه
(سازمان چاپ دانشگاه آزاداسلامی)

الطبع: مكتب ثقافة المقاومه التابع لجامعة الحرة الاسلاميه
(دفترفرهنگ مقاومت دانشگاه آزاداسلامی)

الطبعة: .... الاولى

العدد: ۱۳۰۰

تعدادالصفحات: ۱٦۲

العنوان: الجمهورية الاسلاميه الايرانيه طهران.

مكتب ثقافةالمقاومه التابع لجامعة الحرة الاسلاميه

صندوق البريد: ١٩٥٨٥/٤٦٦

الهاتف: ٨٨٤٨٩١٠

1997 م ـ 1376ش

r

الإهداء

- الى من لا يعـــرف الكثـــير عن مأســـاة العراقيين؛ مشاهد مؤلمة.
- الى من لا يعرف البعث؛ تعريفاً بسيطاً.

- الى من سامه البعث سوء العذاب؛

مشاركة.

- الى ضمير المصلحين؛

لمحة من مأساة أمة.

- الى المحافل الدولية؛

دعوة الى الإنصاف.

منذ عهد، وقضية العراق باتت الشغل الشاغل للكثير من الذين هم على صلة من قريب أو بعيد مع أصل القضية وأُصولها، وآثار تعامل الجهات المختلفة معها باتت واضحة المعالم لا يحجبها قناع ولا يواري تضادها شعار، فها هي أصواتهم تسمع من أمواجها المختلفة، وتلك هي فصائلهم تتقدم في خطىً حثيثة ذات اليمين وذات الشمال، والابصار شاخصة صوب السماء منتظرة نصر الله القريب... لكن ماذا بعد كل الذي نراه ونسمعه، وكم يطول انتظار النور بعد هذا العمر من الظلمات.

قالوا ما لا مزيد عليه في مظلومية شعب

العراق، وكتبوا للتاريخ بالأرقـام فرائـد خلت صـحف جرائم التاريخ منها، وصـرخوا بصـوت عـبر القـرون أسمع الصم جزعـاً، ولا جديـد في كـل ذلك، وأدرك السلف قبل الخلـف عقم الضـجيج، وأذعن الجميـع من غير استثناء أنّ الأرض قد ضـاقت والسـماء قـد منعت، فلا خارج من هـذه مغيث ولا نـازل من تلـك ناصر، والواقع المـر يجـري في نهـر الزمـان وكـأن مـركب السـلطان موقـوف على طـواغيت البشـر وشـرارهم، ولبـاس المظلوميـة حبس على عامـة الناس وخيارهم، فنرى كلما هلك فرعون اسـتخلفه آخر، وكلما مات مظلوم ورثه مظلوم عـبر القـرون التي أوثقها التاريخ لنا، فمن منّا لم يسمع بما جـرى في سـالف العصـور، ومن ينكـر مـا نحن فيه، وهـا نسلي أنفسـنا بمـا كتبـه المظلومـون ممن سـبقونا شـعراً ونـثراً ، فنلعن الظـالمين لعنـاً وبيلا. ونلـوم المظلومين على تقصيرهم أقـرع لـوم ونقـول ليتـه كان كذا أو كنا....

انها السنة المتوارثة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولو اكتفينا بما اكتفى به السابقون بالنوح عند نـزول البلاء، والشـكوى الى النـاس لأضـفنا بـذلك مراثي جديدة الى تراث الاجداد ثم أورثناهـا جميعـاً الأجيال القادمة، ولأثبتنا بذلك لأنفسنا قبـل الآخـرين قصـورنا وعـدم لياقتنـا فيمـا ندعيـه من اعتبارنـا

بالتـأريخ ومعرفتنـا أسـباب السـعادة والبلاء وطـرق علاجها ونكون على هذا قد شـهدنا لعـدونا بالفضـل والجدارة وهذا ما لا يغفره الله والاجيال....

فلنتأمل قليلاً فيما يجري دون تســرع في حكم أو غرور في رأي، ولنبحث عن مكـامن الخطـر في دروب الأولين، ونتعرض لأسباب الزلل في مستنقع الخاسرين، بالتحليل والنقد لا لصرف العلم، بل من أجل اقتناص حبل النجـاة، ونسـج حلـق درع العـبر، لنسير نحو الهدف في غير مسلك الذين هلكــوا من قبلنا، فــالبحر هــائج والأمــواج عاتيــة ولا مفــرّ من التحدي... والاّ فلننعي أنفسنا قبل الناعين ولنلومهــا قبل الظالمين لأنّا سبقناهم بظلم أنفسنا اذ شريناها بثمن بخس وبـدأنا بهـدم الأسـوار بإهمالنـا ومهـدنا بذلك السبيل لعدونا.

سيد حسين الحسيني

الزرباطي

آذار ـ 1996

العراق ومخلفات الاستعمار

تـوارث العراقيـون منـذ عهـد طويـل بيـدراً من المعوقـات الحضـارية الـتي زرع الاسـتعمار بـذورها في حرث العـراق الخصب، وسـقاها من عين خبثـه لتنمو أشجاراً ظليلة، يستظل بها ويتمتع بثمرها عبر الأيام. وتتمثـل هـذه المعوقـات في بـرامج متنوعـة هادفــة لا تخــدم الاّ مصــلحة المســتعمر، وهي في الواقــع جرعــات ســامة تعمــد في اعطائهــا لهــذا الشعب المسكين مستغلاً يتمـه وبسـاطته، ليوقعـه بها في بلاءين عظيمين تشـغلاه عن النظـر الى مـا وراء السـتار ليلعب هـو في أمن وأمـان كيـف شـاء ومتى شاء. وهذان البلاءان هما: الجهـل والفقر، ولا يخفى ما فيهمـا من آثـار سـيئة وأضـرار على حيـاة المجتمعات.

ان الشعوب المضطهدة لا تعلم ما تحاك حولهـا من مــؤامرات، ولا تمــيز من بين المحيطين بهــا الأعــداء من الأصــدقاء الاّ قلّــة من ابنائهــا تتمكن بجهودهــا الخاصــة غالبــاً من الافلات عن دوامــة المخطـط الاسـتعماري. وتبقى عامتهـا العميـاء في خبطهـا وفيهـا بركـة الاسـتعمار. امّـا القلـة العارفـة فتعيش حياة من يجد مـا لا يشـتهي ويشـتهي مـا لا يجد، وتنقسم عادة على نفسـها بين صـارخ انكـاراً،

فيسقى عقوبة على صراخه كأس المنــون، وملازمٍ للصمت خوفاً فيقضي عمره في غصة نكد.

ان العــراق وشــعب العــراق شــأن بقيــة دول العالم المضطهدة ابتلى سابقاً ولاحقاً وتعرض أرضاً وملّـة لاسـتغلال اسـتعماري رهيب منـذ أن أصـبح فريسة السباع. ولم يجد أحد في الحدود الجغرافية لســلطنة الاســتعمارِ شــاهداً واحــداً دلَّ على انَّ المسـتعمر أفـاد شـعباً عـاش كابوسـه كي نسـتثني العراق، فماذا توقع أو يتوقع العراقي والحالـة هـذه من ملوك ورؤسـاء لم يصـلوا الى مسـند الحكم الاّ بانتخــاب الاســتعمار ودعمــه ســوى الاستضــعاف والمحرومية، وماذا كان نصيبه من ارث الاولين غير الذي ورّثه الاجداد. ولكن الذي نستنتجه من مقالات مَنْ كتبَ قبلنــا عن الاســتعمار والشــعوب هــو أنَّ الاستعمار في طريـق الـزوال بعـد ادراك الشـعوب حقـائق الامـور وبعـد اليقضـة من سـباتها العميق، وعلى ضوء هذه النظرية فان الشعوب لما شـعرت بالمظلومية وتحسست أثر سـياط الظـالمين بـدأت تفكر في النجاة وتعد العـدة لـذلك، ومن هنـا كـانت ولادة الحركـات التحررية، وببركــة هــذه الحركــات تمكن أغلب الشعوب من الانتصار على الظلم ونيل استقلالها وكفى بذلك فخرا. وهذه كلمة لا يتفوه بها الاّ واحــــد من ثلاثة: الاســــتعمار نفسه، أو عملاؤه

الـــذين لم يجـــدوا طريقـــاً للعيش الاّ في ظلّه، أو الغارق في ظلمات الجهل ممن يحسب أنه يحســن شيئاً من جهلة الأمة.

ان نظـرة واحـدة في حيـاة المجتمعـات تحت ظل سـلطاتها الحاكمـة المدعيـة للاسـتقلال كفيلـة بكشف النقاب عن زيف الادعاءات، واثبات الحقيقة المــرّة الــتي لا تقبــل الجــدل والمتمثلــة في ان الشعوب بأسرها ما زالت تعيش الى يومنا هـذا في ظــلّ الهيمنــة والاسـتغلال، ومـا الأهـازيج الثوريـة والكلمات الجوفاء التي ملؤا بها الـدنيا الاّ لـون آخـر من ألـــوان الخـــداع والتضـــليل، وأن الامم رغم مزاعمهـا تئن تحت تـأثير التخـدير الجديـد والفعـال للاستعمار الماكر، فان وجدناها تتغنى بالحريـة وهي في قيد العبودية أو تفتخر بالتحرر العقلي والثقـافي وهي في حضيض الجهـل فمـا ذاك الاّ لأنهم خـدعوا في عقولهم وزين لهم الشيطان ما أوحاه اليهم من سبيل فظنـوا انـه الحـق ولا يؤمـل ان يشـعروا بمـا وقعوا فيه من مأساة الاّ يـوم الافاقـة الواقعيـة ومـا أبعده من يوم لان ذلك لا يكون الا بظهور ثلّة مؤمنة صابرة مخلصة لا تسأل على جهادهـا أجـراً ولا تريـد بعملهـا جـزاءً ولا شـكورا، وبمثـل هـؤلاء تفتح الامم للتحـــرر حســابها والاّ فالــذي ربى بدنــه على أكــل الطيبات، وقتل روحــه بــترك المســؤوليات لا يمكن

أن يصـبـر على جشــب العيش دون الاقتــداء بكلاب مسـعورة تنهش المـوتى في القبـور، ومــا دام همّ الناس بطونهم ما ذاقوا حلاوة الحرية أبدا. وهــا هي شعوب العالم اليوم تسمع وتـرى انين المسـحوقين وجولة المستكبرين في شرق الارض وغربها.

واذ يرى القاريء الكريم انّـا قـد اخترنـا الكتابـة عن العراق فان ذلك لا يعـني حصـر الموضـوع فيـه بــل ذكرنـــاه شـــاهداً على زيـــف اللعبـــة الجديـــدة للاستعمار، لعبة الحرية والديموقراطية. لقـد زحـف الاستعمار على العراق بغـير قنـاع، وتسـلط بالعـدد والسـلاح وقـام بنهب خـيرات هـذا البلـد واسـتخدم البطش بحق شـعبه حـتى لكـأن النـاس عبيـد وهـو واياديه السادة. وبلغ المجتمـع العـراقي بفعـل ذلـك مرحلة خطيرة من التدهور في جميع نواحي الحياة، وطـــالت مـــدة المحنـــة وأوشـــك الشـــعب على الاستســـلام لقـــانون الغـــاب. ولمس المســـتعمر علامـات اليـأس القاتـل في أعمـاق النـاس وحجم الحقد الذى أكننوه لـه فـأدرك المفسـدة في ادامـة المسـير وتيقن بالفشـل في اسـتمرار الوضـع بهـذا الشكل، وعلم أن اليأس والحقـد يتحـولان لا محالـة الى انفجار لا يمكن التكهن معـه بـالعواقب. وهكـذا باتت نتائج الاسـلوب الارهـابي تنـذره بخطـر عظيم ووشيك، فدخل صومعة الدجل ليخرج بسـحرٍ جديـد

يسحر به أعين الناس...

لقد كان سحر الاستعمار الجديد هو أن لا يتولى المهام بالمباشرة هذه المرّة بل يختار لنفسه وكلاء ينوبون عنه في اداء المهام ورأى أن أفضل مرشح لهذه النيابة يجب أن يكون من هذا الشعب نفسه، واختار من بينهم أبناء اولئك الامهات اللاتي سرقهن أيام سلطنته المباشرة، وربى أبناءهن في أحضانه فتخرجوا من جامعاته بشهادات عالية تؤهلهم لإدارة دولة أو وزارة في دولة في الوقت الذي كان ابن الشعب محروماً من أبسط حقوقه. ومن قدر أو يقدر على ارتقاء سلم العلوم الخطيرة ومتابعة اكمال مراحلها في المعاهد العليا العالمية ما لم يخضع لفحص دقيق من لدن السادة أو الوكلاء. وهنا يكمن سر ادعاء العمالة بحق من تصدى لاستلام القدرة في أية حلقة من حلقاتها وبات من الصعب على الحر السليم أيضاً اثبات براءة نفسه من هذه التهمة حينما يريد القيام للإصلاح، وذلك بسبب رسوخ سوء الظن هذا في الوسط الجماهيري الذي لا غنى لمصلح عن عونه ولا مأمن للاستعمار من بطشه، فالجو ملبد بالشك، وغبار الهرج والمرج يحول بين الرائي والمرئي، وقد يوجد في مثل هذه الاحوال من يصيد في الماء العكر، ولا يأمن المرء تستر اللصوص أو تقمص المتقمصين،

وربما كـان الوضـع هـذا من خلـق الاسـتعمار أيضـاً لتفويت الفرصـة على الاحـرار من أبنـاء الشـعوب، فقد يعجزون عن كسب ثقة الشـعب بسـبب كـثرة محاولات التدليس التي مارسها العدو، ولقـد اغـرى الاستعمار الشعوب مـرّات ومـرّات بهـذه الطريقة، وبـات النـاس في أمـر من هـو الأصـيل ومن هـو العميل كمبيت بني اسرائيل مع البقـرة إذ قـالوا إن البقر تشابه علينا، ولئن كان في أيام بـني إسـرائيل كليم الله موسى الذى هـداهم الى الحـق فـذبحوها بعد أن تبين لهم، فإن الناس بعد اختتام النبوات قـد أضلهم السـامري وسـلب عقـولهم فلا وحي يرشـد ولا عقـل يوصـل الى تميـيز الحـق وهـا قـد امتلأت الأرض بأديـان وعقائـد وأفكـار وأشـخاص ولسـان حالهم جميعـاً واحـد هـو (أنـا الحق)، واللـه يعلم ان أكثرهم لكاذبون.

لنعود الى قصـة العـراق الـذي خيم عليـه ظلال المستعمر المشؤوم، ولنتعرض

لأحداثه بلسان الواقع بلا انحياز، بسرد الشـعب لا ببلاغة الساسة، وفي مقطـع من تأريخـه القـريب المـدرَك تحاشـياً من سـهم تهمـة الجهـل بالتـاريخ والشك فيه.

لقد حكم الاستعمار العراق قبل نيله ما يسـموه بالاسـتقلال بشـكل مباشر، ثم نـاب عنـه ملـوك لا

ريب في عمـالتهم ولا شـبهة في غـرقهم وتلـوثهم بعين العمالة. ومنكر ذلك جاهل ولا أقـول أكـثر من ذلك. حكموا الشعب لصالح الاجانب، حتى جاء عبـد الكـريم قاسـم اوّل المغنّين بأناشـيد الحرية، وأول المبشـــرين بالاســتقلال، ولا عجب من التصـــفيق والهتاف بحياة الـزعيم المبعـوث ولا من الاستبشـار بالجمهوريـة الجديـدة بعـد هـذا الفتح، فهـا هـو ابن الشـعب البـار جـاء ليحـــرر النـاس من عبوديـــة الاســتعمار، ويفتح عليهم أبــواب الخــير والأمـــل والحرية، فلا أثر لمادة الاستعمار بعـد اليـوم وألـف مبروك...، ولم يبك على ما لم يكن بالحسـبان أحـد يوم إعلان الاستقلال، فقد كـان الشـعب قبـل ذلـك يعـرف عـدوه الظـالم بسـيماه، بجنـوده وأوصـيائه الرسميين، وما توقع خيره في يـوم. أمـا الآن وبعـد الثورة واستلام ابن العراق مفاتيح التقـدم والحرية، فمن حقّـه أن يقـول هـذا عـارض ممطرنا. وحـالت بينـه وبين معرفـة الحقيقـة حلاكـة الجهـل واحلام الفقر، ولم يكن ما استقبلهم في الواقع الاّ ظلمـات فيها عذاب أليم. فـإذا كـان الشـعب المغلـوب على أمره نال سوءً من ظـالم لم يأمـل منـه خـيراً قبـل الاستقلال، فقد صار بعده يأمل الخير من صديق لم يحمل في كيسه غير حجارة السجيل، يحجبهـا عنـه ثم يطعمها إيـاه فلا صـواب عنـدها وقـد فـات وقت

الندم.

هكذا هجم الإستعمار عدو الشعوب بـزي جديـد وأسلوب قذرلم يخطر على بال، واستبشـر الجميـع بالعهد الجديد، وتصـافح الكـردي والعـربي، وتعـانق الشمال والجنوب والكل في انتظار المن والسـلوى من سيادة الزعيم. وعقـدت الالسـن وجفت الاقلام وكادت هي الاخرى أن تنطـق عن هواهـا لتعـبر عن عمـق التضـليل ودلائـل الغواية. وبينـا هم في أحلام اليقظـة هـذه وإذا بشـمس الحقيقـة تطلـع لتمـزق حجب الظلام وتهتك ستر الخديعـة وهكـذا تنكشـف الأوراق بسـرعة وتخـرج هـذه المـرّة الشـيوعية الملحـدة القابعـة خلـف كـل تلـك الشـعارات والمخبـوءة تحت بعض الالسـن العراقية، ومـا درى أحـد هـل كـان ذلـك بتوافـق مسـبق من جمعيـة اللصوص، أو كان من جرّاء سطو اللصوص بعضـهم على بعض، أولا هـذا ولا ذاك وإنمـا كـانت عمليـة تبديل زي ليس الاّ؟

ارتفعت بعض الاصـوات بالبكـاء والعويـل في حين بقيت الأخـرى ضـاحكة مستبشـرة، ومـا زالت الآراء مختلفة بسبب الجهل بواقع الاستقلال ورجال الثورة الى يومنا. لكن الذي لاشك فيه هو انّ غالب الشعب قد اطمأن لأقوال الزعماء الجدد، واستطاع رموزالانقلاب من كسب الجمهور وسوقه الى حيث

يريـد من الشـارع العـراقي بسـحر الشـعار وعطـر الوعــود، فبــاتت الكــثرة المائجــة الســند القــوي والعامل المهم في تثبيت اركـان الحكم الجمهـوري الجديد. واستولى دوي الشعار على الموقف فزاحم عيـون العقـل في تصـوير الواقـع ورؤيـة مـا وراء الستار، وفـرض الزيـف نفسـه في شـعار اسـتقلال العــراق، وشــق هــذا الكــذب طريقــه الى حــرث الجهلة، ودوحة مغفلي المثقفين، ليأخـذ نصـيبه من الرشـد ثم ينقلب الى واقـع متلألئ يـذهِب بالأبصـار في القادم من أيام التاريخ، وهكذا مرّرت المـؤامرة ولحدّ ما نجحوا في ذلك، والدليل على ذلك أنـك لـو سألت اليوم أكثر العراقيين هذا السؤال: مـتى نـال العـراق اسـتقلاله؟ لأجـابوك بلا تـردد أو تأمل: يـوم إعلان الجمهورية بقيادة الزعيم. ولوعلمـوا أنهم مـا زالوا في لجام الاستعمار الى يومهم هذا لما أجـابوا بمثل ذلك، فإن الذي تغير هو ثوب الاسـتعمار ليس الاّ، ولأجل التوضيح ولمعرفـة جـوانب من المسـألة نطرح بعض الاسئلة التي تظهر الاجابة عنهـا صـوراً عن الواقع وهي:

هل كان خروج الجماهير (لسحل) من سـموهم العملاء والخونــة صــبيحة 14 تمــوز عــام 1958م بإدراك تام لما يقومون به وأنهم قـد أحـاطوا علمـاً بــالثورة والثــوار وأهــدافهم؟ أم أنهم فوجئــوا في

الواقع ولم يدروا أمن السماء نزلت هذه المائدة أم من الارض، ولما أزاح الثوار ستار الخوف بإعلان سقوط الملكية، انتهز المكبوتون الفرصة وخرجوا لتفريغ عقدهم بالنعيق مع كل ناعق ولم يكن في جعبة إيمانهم للثورة الاّ حسن الظن بسبب رفعها كابوس الخوف وسياط الجلاد؟. وهل كانت قيادة الزعيم لقطعة من الجيش وزحفه على مركز السلطة في بغداد بعلم وباتفاق مسبق مع قادة الفكر والرأي والدين أم لا؟ وبعبارة اخرى هل كانت الثورة من إبداع عراقي أصيل أم كانت وحياً من وراء الحدود؟ وأن جهة أو جهات خارجية خططت لها وعينت أهدافها خارج العراق ثم استخدمت رموزها من المسخ العراقي الحائز على شهادة اللياقة في مختبرات البرمجة الاستعمارية؟ فلئن كانت الاولى فلم خانت وروجت لدين وأفكارٍ غير دين العراقيين وأفكارهم، وإن كانت الثانية فَلِمَ يفتخر العراقيون بهزيمتهم وانخداعهم على يد العملاء؟ ولم هذه الادعاءات التي سوّدت التاريخ دجلاً وتملقاً؟

وبعد أن جرع شعب العراق مرّة اخرى علقماً من كأس الاستعمار الجديد ومن يد دعاة الاستقلال في 14 تموز، ما مدى تأثير ذلك في العقول والضمائر؟ وماذا كان موقف المطبلين للتحرير ازاء

الجرعة القاسمية؟ هل اتعظـوا من لـدغ الامس أم تراهم من تأثير الجرعـة في كـل واد يهيمـون؟ من ثار على عبد الكـريم قاسـم ومن كـان وراءه؟ هـل الشعب كما يزعم ذلك المتاجرون باسـم الشـعب؟ أم وقـع الشـعب مـرّة اخـرى ضـحية مأسـاة أكـبر وضحية خيانة عقول ادّعت الثقافة والأصـالة بـاعت نفسها بالبخس لتقدم شعبها قرباناً رخيصـاً للأسـياد تحت عنــاوين برّاقــة وشــعارات رنانة، والشــعب المسكين في غفلة عن ذلك وهو يقدم بكل اخلاص عونه للأبطال الجدد من دعاة القومية العربية، فـإذا به يعين نفسه على نفسه؟ فمتى أصبحت القوميـة ديناً يعتنقه الخـاص والعـام ويـبيح فرضـه اسـتخدام القـوة؟ ولئن زعم دعـاة القوميـة الاصـالة والحريـة فلم استعانوا بالأعداء لقمـع الشـعب الـذي لـه كـل الفضل في بقائهم وحياتهم؟ ترى هل أصبحت هـذه عـادة متّبعـة أنّـه كلمـا فكّـر أحـد في الوصـول الى السـلطة أو الإنتقـام من سـلطة اسـتنجد بالشـعب فإذا هب لنجدته واستقامت له الأمـور كـرّ على من نصره قتلاً وإرهاباً وظلماً لتحميله مـا لا يشـتهي من جديد؟ فلئن كانت تلك عادة فبئس الشـعب أنت يـا شعب العراق. وإن لم تكن عادة وإنمـا غـدرٌ يتكـرر وخيانة تتجدد فَلِم يُلدَغ الشعب من حجر الف مـرّة. أمـا آن لهم أن يكفّـوا عن التصـفيق لكـل من هبّ

ودبّ، أما آن أن يكفوا عن ترديد كلمات وشـعارات لا يدركوا معناها ولا يعلموا مصدرها. ولِمَ لم يهتفـوا لأنفسـهم بـدل الهتـاف لغـيرهم أليس لهم مبـادئ يفتخرون بها هي أجدر بالترويج؟ أليسوا مسـلمين؟ فلم إذن نبذوا كلام الله وراء ظهـورهم ولم يجعلـوا آياته محـلّ كلمـات مسـتوردة من شـرق الارض أو غربها، أين المؤمنـون الـذين يـأمرون بـالمعروف وينهون عن المنكر ليغيروا بلسانٍ أو يد كـلّ مزيـف لا يؤمن بيوم الحساب في أي ثوب كان.

فيـا شـعب العـراق المظلـوم المبتلى إن كنت مسلماً كما تدعي فحسبك كتاب اللـه عمـا تسـمعه من قيل مثقفي أبنائك من الذين سقاهم عدوك من كأس الضلال، واعلم انّ المستعمرين هم شـياطين الانس وقد حذركم اللـه من الشـيطان اذ قـال{ إن الشـيطان لكم عـدو فاتخـذوه عـدوا } وقـال: إنـه يـراكم هـو وقبيلـه من حيث لا تـرونهم. فهـا هـو الشـيطان بين أظهـركم يـراكم وأنتم لا ترونـه لأنـه تسـتر في ثـوب عراقـيين منكم دخـل العـراق كمـا دخل ابليس جنة آدم وهو يريد أن يغويكم ويخرجكم من خـيركم لتخسـروا الـدنيا والآخـرة وذلـك هـو الخسـران المـبين. انهم أوليـاء ذلـك العـدو المـارد الذي أعلن حربـه على بـني آدم منـذ أن خلـق اللـه آدم، أوليس هـــو القائل: { فوعزتـــك لأغـــوينّهم

أجمعين } فهلاّ انتبهتم لتمـيزوا خـيركم من شـرّكم وصديقكم من عدوكم؟ وهل من أمـل فيكم لوضـع نهاية لقصة التشرذم والخيانة وسوء الاسـتغلال بعـد سلسلة التجارب والعبر عبر التاريخ، فلقد اسـتفحل مرض اللامسـؤلية في صـفوف أبنائك، وبـات سـوء الظن هو الحـاكم بلا منـازع فيمن أمـر بمعـروف أو نزل الى ساحة الصراع، وذلك بسبب تفشي النفاق في النفوس ورواج الدجل في الاذهان.. أين البقيــة الباقية من الأحرار من ابنائك لترفض بها كل أجنـبي فكراً وسلوكاً لتعيـد مجـدك التليـد الـذي ضـاع منـذ مئـات السـنين بسـبب الوسـواس الخنّـاس الـذي وسوس في صدور الاجداد الذين بـاعوا الـدين على عرقوب بوعد الدنيا فخسـروا بـذلك الـدين والـدنيا، وورّثـوا تلـك الخسـارة الأبنـاء ليتلقفهـا الجيـل بعـد الجيـل فـيرى الأحفـاد آخـر المطـاف أنفسـهم في برزخ مقيت لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء.

وأخـيراً فـان الـذي خلّفـه الاسـتعمار من دمـار وامراض في العراق يفوق التصـور ويخـرج عن حـد الاحصاء، وما زال هـذا القاتـل يجـول ويصـول دون خوف، بعـد ان جنـد عـدداً كبـيراً من العراقـيين من عشاق السـلطة والمـال من الـذين بـاعوا أنفسـهم قبــل وطنهم، فهم اليــوم يــد العــدو في البطش بالشـعب ووكلاؤه في جمـع خـيرات البلـد وإرسـاله

الى بنوك الأسياد ولا يهم هؤلاء بعد ذلـك أن تجـدب الارض أو يموت الشعب.

ومن المضـحك أن البيـادق هـذه والغارقـة في مسـتنقع العمالـة حـتى الآذان، تقـف على منـبر الشعب وتتكلم باسم الشعب، وتدّعي بكـل صـلافة مـا ليس فيها، وتعتـبر انفسـها حاملـة رايـة التحـرر وتغـني بالوطنيـة وتتطـاول على الشـعب باعتبارهـا ولاة أمــره، فأيــة رزيــة أعظم من هــذا ومدرســة الاســتعمار تسـتقطب يوميـاً أفواجـاً من أبنـاء هـذا الشعب لتسقيهم بكأسها المشـؤم شـربة لا يعـودوا بعدها الى رشد ابداً.

الشيوعيون والقوميون

ما مرّت ايام على الحكم القاسمي حـتى بـدأت الشـيوعية بعـرض سـلعتها المسـمومة في سـوق المسلمين، وبدأت شعاراتها الجوفاء تسوّد اللافتات وجدران الأبنية، كما بـدأ دعاتهـا من ذوي الشـوارب بجمع جهلة الناس ليرتلوا عليهم منشورات الحــزب ويمنّوهم بما لذّ وطاب من رغيد العيش، ووعــدوهم حريةً ما لها من نظير وتطوراً ما فوقـه تطـور وو... الاّ أن كـل ذلـك يتوقــف على الاســتعداد والتهيـؤ للتضـحية والفــداء على زعم الــدعاة لأن مســألة التحرير مهمة للغاية وصعبة المنال.

وكان أول ما طلبوه من الناس هو أن يضحوا بدينهم وقيمهم، لأن هذه بنظرهم هي من رسوبات الماضي وسلاح العاجزين وان الزمن قد تغير والعلم في تطور وان الانسان بالعلم في طريقه لغزو الفضاء فعلينا ان لا نتخلف عن الركب الحضاري ولا ندع المزخرفات تحول بيننا وبين جنة التحول الكامن وراء عجلة التطور، فيا عمال العالم اتحدوا ويا فلّاحي العالم اتّحدوا فقد جئنا من أجل تحريركم من الاستغلال والجهل والفقر.

ومن هنا انطلقت شعارات الحرّية، ومنها شعار الدين أفيون الشعوب وألقوا الشبهات بين جهلة الناس حتى كاد جمع ان يرتدّ عن دينه بعد أن وقع تحت تأثير بريق الشعار، وعندها صدرت فتوى الشيوعية كفر وإلحاد لتحفر لحد الشيوعية، وتمهد الطريق لفئة انتهزت الفرصة للوثوب على كرسي الحكم.

وبلغت الفئة الانتهازية ما أرادت بالفعل، واستلم بعض مدّعى القومية السلطة في بغداد، وظن الناس خيراً بعد صدور بيانات مجلس الثورة وانتظروا الوعود من حاملي راية العروبة. حيث منّوا الناس كسابقيهم بكل خير، ولم يدع حرسهم القومي الشعب يمل من الانتظار، فخرج بعد توطيد الامور ببزته الخاصة مدججاً بالسلاح زاحفاً

صـائلاً حيث أراد، شـعاره أمـة عربيـة واحـدة ذات رسـالة خالـدة وعملـه تـرهيب النـاس بسـلاحه، وارغامه على تنفيذ أوامره، من خروج الى تظاهرة، أو انجاز لأعمالهم الخاصة وما شابه، ومن لم يفعـل فله الويل والثبـور، وهنـا وبعـد فـوات الأوان كدأبـه ادرك الشعب أنّ الفأس قد وقع في الرّأس، وعليه أن يلعق مرارة الصـبر وينتظـر المنقذ، ليصـفق لـه كائناً من كان ويهتف قائلاً : يعيش، يا يعيش. وما أكثر وقـوع الشـعب ضـحية لهـذا الشـعار، وهكـذا اجتـاز القوميون حدود الادب مع الشـعب، وفعلـوا مـافعلوه من قبـائح شـنيعة واعتـداءات اثيمـةٍ على أعـراض النـاس وأمـوالهم وأنفسـهم وقـد أُلِّفت الكتب عن جرائمهم تذكر بالارقام شـين صـنيعهم وهم مـع كـل ذلك يدّعون الاصالة والوطنية شـأن من سـبقهم من العملاء. وهكذا يتجرع العراقيون كأس غفلتهم من يد عصابة لا يعرفون أصلها ولا نسبها ولم يتعرفوا عليهـا الا بعـد حين من الـدهر، وليت هـذا كـان آخـر كـأس يشربون.

إن المسـرحية المعروضـة في صـالة المسـرح العـراقي كثـيرة الفصـول طويلـة المشـاهد، رأى الأجـداد قسـماً منها، وهـا نحن الآن نسـتمتع ببعض مشاهدها، وحصة الأحفاد محفوظة بالقطع واليقين. والغريب في هذا الأمـر هـو عـدم تـأثر معـدّوا هـذه

المسرحية ومخرجوها وممثلوها من طـول مادتهـا ومـدتها، والأغـرب من ذلـك صـبرالناس وتحمّلهم عذاب انتظار النهايات المؤلمة للفصول والمشاهد، إذ لـولا حضـورهم الـدائم وإظهـارعلاقتهم بـالفنون المسـرحية لمـا اغـتر المخـرج ولعمـل على تقليص الفصـول وتطويـل فـترات الإسـتراحة على أقـل التقادير.

إنّ ما ذكرناه الى الآن كان تمهيـداً للخـوض في تفاصيل الحلقة الآتية والمقصـودة اساسـاً في هــذا الكتاب فالـذي فـات مات ولايهمنـا ذلـك الاّ بمقـدار الإتّعـاظ ويكفي منـه مـا قـدّمنا، أمـا الحاضـر فهـو ميـدان الإختبـار والمسـؤلية وبموقـف الإنسـان من الحاضـر يقـاس عملـه ويتوقـف الحكم لـه أو عليـه مستقبلاً .

لقـــــد كتبت عن البعث كتابـــــاً حين كنت في العراق، ذكـرت فيـه التوصـية الرابعـة من المـؤتمر القـومي الرابـع لحـزب البعث العـربي الإشـتراكي. وتعرّضت مفصلاً لنقد بنود التوصية وسلبيات حــزب البعث عموماً ، وظل ذلك الكتاب في رحم الكتمـان بانتظار اليوم الذي يولد فيه، وعزّ ذلـك اليـوم حـتى انتفاضــة عــام 1991م فمــات في المخــاض حين التهمت نارحقد البعث الدار وما فيـه بعـد استشـهاد الإنتفاضة. فعـــزمت على الكتابـــة عن البعث حيث

رأيت حرمة السكوت عن الباطل، وكـان الـذي بين يديك، كتبتها في ظـروف قاسـية أيـام تشـردي من بطش البعث مـع عائلـة كبـيرة لا اسـتقرار فيهـا ولا راحـة بـال، ولم يمنعـني ركاكـة البيـان النـاجم عن ظلمـات الحيـاة من ايـداع بعض الهمـوم في هـذه الأوراق، فعسى أن ينفع مـا كتبت اولئـك الـذين لم يعرفوا الكثير عن حزب البعث

الانقلاب الأبيض

أعلنت إذاعة بغداد صبيحة يوم 17تمـوز 1967 م نبأ وقوع انقلاب أبيض على الطغمة الفاسدة عبد الـرحمن محمـد عـارف وطـاهر يحـيى، وبـدأ بـذلك فصـل جديـد من اللعبـة الاسـتعمارية في العـراق، وكنت يومها في بغداد وقد تخرجت تـوّاً من الصـف الخـامس الثـانوي من احـدى مدارسـها الإعدادية، وسمعت البيان الرسمي الأول للثائرين الجـدد كمـا سمعها الناس وكان البيان مختومـاً بعبـارة (مجلس قيـادة الثـورة) دون الإشـارة الى أيـة معلومـة عن هوية الثوار.

خرجت في الفـور الى الشـارع بأمـل الوقـوف على مـا يسـتجد من الأحـداث، فـرأيت المجتمـع البغدادي على ما هو المعهود في كتـلٍ ومجموعـات هنا وهناك رغم إعلان منع التجول في المدينة، يدور

بينهـا الحـديث همسـاً وبهـدوء والأكثريـة تضـرب الأخماس بالأسداس. والناس بين من يرقص فرحـاً بـزوال حكم أبي فرهـود ومن يغـني أملاً في الخـير الآتي، ولا أحـد يعلم مـاذا حـدث حقيقـة ومن هـو القادم ملاك أم شيطان.

حاولت أن اعرف شيئاً عمّا يدوربين النـاس من كلام، وتخللت المجـاميع فسـمعت بعض الهمس، كما سألت عدداً من الناس فلم أجد من يحط علماً بقليـل أو كثـير بالـذي حـدث، وعلمت أنّ النـاس يصفقون لا لشئ. فالمهم أنّ تحولاً حصل في وقت كـانوا يعضـون الأنامـل من الغيـظ من فـرط النـدم على الامل الضائع في العهـد العـارفي، وقـد قـرت الاعين بزوال الظـالم الـذي عـرف في بغـداد بـابي فرهـود، فليجربـوا حظهم هـذه المـرة مـع الثـوار الجدد، عسى ان يحـالفهم الحـظ في بلـوغ المـنى، وهذا هـو موقـف الشـعب غالبـاً ازاء كـل جديـد من الاحداث، ففئة تصفق تأييداً بعلم أو بغـير علم وفئـة تلزم الصمت في انتظار القدر المحتوم.

تعامل الابطـال الجـدد مـع مسـألة ابـراز هويـة الثورة والثوار باحتياط شديد بداية الامر، وقد عرف السـر فيمـا بعد، فـانهم لمـا كشـفوا النقـاب عن الوجـوه، ظهـر ان لصـوص الامس الـذين اذاقـوا الناس سـيلاً من العـذاب بعـد سـقوط عبـد الكـريم

قاسم والذين عـاثوا في العـراق الفسـاد بحرسـهم القومي المعروف هم اصـحاب الثـورة هـذه المـرّة ايضـاً. ولـولا ذلـك الكتمـان اول الامـر لتلقـوا من الشـعب بـدل التصـفيق صـفعة. وهكـذا اسـتمر الكتمان حتى ارسوا قواعد قدرتهم بسـرعة كبـيرة، بعد ان شروا عقول الكثيرين

من ضباط الجيش، وفي 30 تموز انتهت قصـة القيادة والرموز، ونظمت الحلقات من جديد بعد ان طرحوا بعضها ارضاً قرابين ضـمن مناسـك الحـزب والثــورة، ولم يعلم ســر احــداث30 تمــوز على الحقيقـــة الا الله، والراســـخون في العمالـــة من اقطاب الحـزب والاّ فهم اظهروهـا على انهـا خيانـة وتمرّد على الحزب، وقى الله الشعب شرها.

بعد فترة وجـيزة قـرأت اول سـفر من اسـفار الـدين الجديـد في الجريـدة الرسـمية والظـاهر ان نشـرها كـان فلتـة من لجنـة رقابـة فتـاوى البعث بسبب الفوضى والارباك الذي اصـاب الحـزب ايـام الـردّة، بـدليل انهم قـاموا بعـد ذلـك بكتابـة السـفر محرفاً والاّ فالـدجل والكـذب واخفـاء البـواطن اس الاسـس في تـاريخ السياسـة عامـةً والبعث خاصة. فالذي قرأته عبارة عن تهنئة من أحد الرفاق رفعهـا الى مجلس قيـادة الثـورة بمناسـبة الانتصـار على الردّة وبيت القصيد فيه:

نحن بعث إن مسّنا جرح ضيم نحرق الأرض والسما و الوجودا

والـذي يـدل على جـرأة هـؤلاء الصـعاليك، وعلى مـا ينتظـر النـاس من عـذاب، ومـاذا يمكن أن تنتظـره شـياه مسـكينة من راع أرعن غـير سـياط الحقـد أو أنياب الذئاب؟ وعلى أي حـال فقـد تمكن المزيفـون من إرساء قواعد دولتهم بالعنف والإرهـاب والـدجل، وبدأت ماكنة شؤم الحزب بالعمل ليل نهار، وما أكثر عملها وأقبح نتاجها، وهكذا كشفت الأيام شيئاً فشـيئاً النقاب عن ليل مظلم مدلهم، وإعصار فيه نار، وعن شجرة الزقوم رفد البعث المرفود.

عرف الشعب شياطين الإنس حين الإعلان عن أسـماء القيـادتين القوميـة والقطريـة من عفلـق وشبلي وفرح ويوحنّا وعزة الدوري وصـدام حسـين الأمي وآخـــرين ممن رضـــعوا من ثـــدي العمالـــة وترعرعـوا في احضـان الخنـا يتمم عـدّتهم ثلّـة من معروفات بغداد اللائي منحن لقب رفيقات من لدن الحزب ليتم بـذلك الفـرح والسـرور ويجتمـع شـمل العائلة البعثية من جديد لتصبح بـؤرة فسـاد وشـقاء في البيت العراقي الكبير الطاهر. وعذراً لمن يــرى حسن الترفع عن ذكر مثل هذه العبارات فإن الـذي أذكــره بحقهم مغســول ســبع مــرّات بمــاء الــترفع وحقيقتهم لا تحويهــا كلمــات الشــين ولــو اجتمعت

وصارت بعضها لبعض ظهيرا.

والحديث عن مأساة العراقيين في ظلّ كابوس البعث طويل ومزعج، والتفكير في بساطة الناس وسرعة وقوعهم في الفتن ومظلوميتهم مقرح للقلب، فكيف تسنى لميشيل عفلق المسيحي الغير العراقي ان يتحكم في رقاب العراقيين، ويسن لهم منهاجاً لحزبه يفرضه بديلاً لمنهاج الشعب المسلم صاحب الاصول العريقة والحضارة المعروفة. منهاجاً بديلاً لقرآنهم وسنة نبيهم، وبديلاً لقواعدهم الاخلاقية العشائرية المعروفة، موحياً اليهم ان ما سنّه هو الحق وما سواه هو الباطل، ثم يسلّم الخبيث انجيله الجديد الى مجلس قيادة الثورة في العراق وهم النفر الضال من حوارييه آمراً اياهم بتطبيق اوامر الرب ابن الابن تطبيقاً حرفياً دون مسامحة في شيءٍ منها، واذا عرفنا هذا، عرفنا السرَّ وراء وعيد البعث على لسان صدام حسين في خطاب علني عبر الراديو (ان الذي لايدخل تحت خيمة الحزب ليس له حق الحياة) فهذا امر رب صدام عفلق بن الرَّب يسوع الابن فمن قال لالشيء من آيات انجيله فليس له حق الحياة يعني انه محكوم بالموت والفناء..

ترى من هو عفلق هذا الذي تجرأ على العرب والعراقيين بادعاء الولاية عليهم؟ واية جهة كانت

وراء توجيهه؟ وهل اعـدّوه للعـراق اساسـاً لينطلـق منها صوب بقيـة العـرب ام هـو من الجـراثيم الـتي أطعموا بها الجسد العربي لتفتيت كيانـه فصـار من حـظ العـراق العـاثر؟ وكيـف تمكن من الاسـتحواذ على عقول نفرٍ ضال من حملـة الجنسـية العراقيـة ليوافقوه الـرأي في تـدمير العـراق وشـعبه جسـداً وروحاً وبحماس كبير؟ وماذا ظنّ اولئك المنحطـون بأنفســهم وبالنــاس وهم يــدركون قبح تقمصــهم وانفضاح امرهم؟ أهـو الجهـل مـرّة أخـرى أم خبث أفــرزه مــوت الضــمير؟ مــاذا نقــول لمن تقمّص سراويل الصلاح وهو غارق في بحـر السـيئات؟ ألم تكــف مشــاهدة فصــول مســرحيات الحركــات المكشوفة الهويـة المصـوّرة للواقـع الملعـون عـبر الأيـام الطويلـة الماضـية كي ننتبـه من نـوم الغفلـة ونرى مصادر الخطر الـذي يهـدد كيـان الأمـة لـدرء الســهام القاتلــة الــتي طالمــا أ نّت من جروحهــا الشـعوب المضـطهدة، سـيّما وادعـاءات المدنيـة وطبـول الثقافـة والتقـدم تسـمع من أفـواه النسـاء قبل الرجال. فمالنا لا نعي الأمـور ولا نسـعى لأجـل خلاص أنفسنا والآخرين بتجنبنا الطرق الـتي لمسـنا مخاطرها ونتذكر خواطرها ومـا بـال مثقفنـا يسـبق جاهلنا في سلوك تلك السبل الضارّة العقيمة.

لا شك أنّ المنهج الذي أعدّ للتمكن من العـراق

وشعبه إنّما قرر نظرياته خـبراء من جهـة أو جهـات اسـتعمارية مشـتركة وصـيغ على شـكل برنـامج متكامـــل للحيـــاة بكـــل أبعادها، ثم أطلقـــوا على مولـودهم اللا مبـارك اسـم نظريـة البعث العـربي الاشـتراكي. ولـدفع الشـبهة عن هـذا العمـل الغـير الصالح فقد نسـبوه الى المسـمى (ميشـيل عفلق) ذلـك القـزم الـذي يـدّعى العروبـة على أنّـه الأب الشرعي للوليد والمبدع للنظرية، وهذا هبة من الله للعـرب أن بعث فيهم من يبعثهم من جديـد بعـد أن ماتوا بسيف الإسـتعمار. ومن المعلـوم ان أصـحاب الفكرة لم يحددوا حين اعداد البضاعة بلداً بعينه، إذ أنّ المسألة كما هو واضح اكبر من قصد بلـد واحد، والعنـوان يـدل على انّ الصـيّاد اسـتهدف بشـباكه الكبير الأمة العربية بأسرها. فهذه الفكـرة وأمثالهـا تكـون بمثابـة الأفعى الـتي بواسـطتها دخـل إبليس جنة آدم، فلتتهيأ أولاً ثم لتـدخل من أي بـاب تمكنت من الوطن الكبير، فالغرض هو الاسـتيلاء من جديـد على العرب الـذين ظنـوا أنهم حـرروا أنفسـهم من قيود الاستعمار القديم.

ان العراقـيين والعـرب وبـاقي شـعوب العـالم الثـالث سـقطوا ضـحية الـوهم بحركـات وثـورات وقعت في كل بلد، مزينة بصبغة الوطنيـة على انهـا بداية الحرية والاسـتقلال، وقـد خفيت عنهم حقيقـة

تلـك الاحـداث وانهـا ليسـت سـوى صـراعا على الميراث بين الاقطاب بلغ اشـدّه فاخـذ كـل طـرف يكيد للآخر وبـدأت الشـعارات تتنـاثر وبـات تحريـك الشعوب وحثهـا على العصـيان السـلاح الامثـل في ضعضعة الانظمة الحاكمة واسقاطها. فانطلت هـذه الحيلة على البسطاء، وتشـكلت حركـات واحـزاب، ونفخ كلٌ في صوره ليملأ الارض ضجيجا ويقـول انـا المحق ، فصفقت العامة، وقـاتلت بسـلاح الصـديق الجديـد وبـدعم اعلامي منه. ونـرى صـمود الخصـم في جبهة وهزيمته في جبهة اخـرى امـا للعجـز عن المقاومـة أو بسـبب عـدم جـدوى الاسـتمرار في المقاومة، فينسحب مطلِّقا من باب ليدخل الصديق الجديد مزوجا من باب آخر في زواج عصري للغاية. فعلى سماط الـدعوة كـل مـا لـذ وطـاب والـدعوة مفتوحة للجميع والملّة المغلوبة على امرها ضاحكة مستبشرة تظن انها قد احسنت صنعا، فما عليها الا الاسـتمتاع بملـذاتها في اطمئنـان وراحـة بـال فلا مـوجب للقلـق سـيما وان هـذه الـدعوة هي الاولى في العمر بعد العذاب والشقاء. وجرع الشـعب من كأس الغفلة حد الثمالة واكل من فاكهة الغفلـة حـد البطنة، وطرب من فرط النشوة مع ابواق الأناشيد الوطنية حتى الرقاد ونام على اصوات الانغام نومـة لم ينتبه منها الا بعد انتهاء شـهر العسل، ليعـود الى

رشده ويتفقـد بيتـه وديـاره فـيرى العجب العجـاب. فالسـارق الـذي كـان يـدخل من النافـذة دخـل من الباب هـذه المـرّة واسـتولى على كـل شـيء خلال شهرالســكر الــذي عاشــه في الــوهم، ويشــرع المسكين في الصـراخ بوجـه الخـائن الغـرور ولكن دون جدوى، فالسلاح في يد العدو المارد الذي يخيّر الجميع بين قبول الامر الواقع وقطع الرقاب، وهكذا عاشوا مرغمين عبيدا في جلابيب احرار لا يملكــون لانفســهم ضــرا ولا نفعا، يشــكون تعاســة الحــظ لانفســهم مهمهمين، ويلعنــون الــدنيا ومن فيهــا ويندبون النصيب العاثر. واما اللص الجديد فقـد بـدأ يسرح ويمرح متنعما بـالخيرات دون منـازع. وربمـا كانت اللعبة الجديدة من صـنع السـيدالقديم نفسـه بعد ان رأى الشعب في طريقه الى الانتحار.

هذه هي مقـدرات الشـعوب في العهـد الجديـد وهذا هو قدرهم المحتوم ولا اختصـاص لـه بـالعراق بل هو وباء سار في كل مجتمعات العالم الثالث ان لم نقل العالم، ادعاءات فارغة بالاستقلال والحريـة في بحبوحة العبودية والذلة، ومن ادعى من انظمـة هذه الدول غير ذلك فقد قال زورا، وأي نظام منهـا قادر على اثبات اسـتقلاليته في القـرار والتصـرف، واي نظام منها لم يهـرول في تنفيـذ امـر سـيد من السـادة بموقـف في مـؤتمر أو فعـل في السـاحة

الدوليــة رغم انفه، والشــعوب المســكينة تــدرك المأساة والعقلاء يعـترفون بالحقيقـة ولا احـد ينكـر الشــمس في وضــح النهــار الا المنــافقين الــذين تصوروا انفسهم عقلاء فمدوا لسان الجهـل لتوجيـه اخطاء الارض بكاملها رياءً ودجلاً وتملقاً وظنـوا انهم احسنوا بذلك.

انّ المسألة التي أردنا عرضها في هـذا الكتـاب والمتمثلـة في جولـة حـزب البعث في العـراق هي فصـــل من فصـــول هـــذه المســـرحية العالمية، والشعب العراقي الذي اوهموه من قبل بالاستقلال كان وما يـزال يظن الخـير في كـل عـراقي يحـاول تغيير النظام وشـعاره العدالـة الاجتماعيـة والحريـة والاستقلال، ولهذا السبب نرى ان العـراق لا يخـرج من فخ الا ويقـع في فخ جديد. وهـا امامـك شـعب العــراق في مصــيدة الحــزب الجديــد ذي الادعــاء الطويل، فكيف وقع هذه المـرة في الفخ ومـا كـان نصيبه من سماط البعث الهجين؟ وهل لقنه التـاريخ الدرس البليغ ام ان الحالة بـاتت عـادة والبحث عن القدر المطبوخ فقط هو السـبيل المختـار؟ هـذا مـا سنحاول معرفته من خلال البحث.

ظهور البعث

كان للفقر الثقافي في الوسط العـراقي الـدور

البـارز في ظهـور بـرعم هـذا الحـزب، والعوامـل المساعدة الاخرى ادت الى نموه وترعرعه بسرعة كبيرة من قبيل الفقر المـادي والفسـاد الاجتمـاعي وقلة الوعي الديني وغيرها من مخلفات السياسات السابقة للحكومـات العميلـة الـتي حكمت العـراق.
فلا غرابة من مشاهدة فكرة مجهولة أو فئـة غريبـة تعيش حياتهـا بحيويـة رغم ركاكـة جـذورها وهزالـة فروعها. وارضية مثـل العـراق صـالحة لـبروز مثـل تلك الحالات، وبمتابعة بسـيطة لحيـاة حـزب البعث عبر مراحل الانبعاث نلمس ذلك بوضـوح، فقـد بـدأ ضعيفاً مرتاباً عديم الشخصية قليل البضاعة متستراً بحجاب الزيـف والشـعارات الفارغـة جبانـاً الى حـدّ كبير في مصارحة الشعب بحقيقتـه واوّلياته، فظهـر حملاً وديعـاً في صـورة رمـوزه ليكـف بـأس القـوي ويضـمن تغريـر الضـعيف، ومثـل هـذه السياسـة ضرورة لكل دخيل غريب.
وبتتبع تطبيق ذلك يصـل المـرء الى حقيقـة مـا وراء الحجاب، ولعدم وجـود من يهمـه الامـر آنـذاك ليقـف وسـط شـعبه صـارخاً محـذّراً، وكتم العـالم علمه وانشغل الجميع بهمومهم الخاصة، فقـد وجـد العفريت الوليد الطريق السهل لادامة الحياة والنمو والسـير بخطىً تكـبر يومـاً بعـد يـوم نحـو الأرضـية الملائمة، والبـدء ببنـاء القلاع الحصـينة ليعيش فيهـا

بأمان، فمن لم يتـذكر من العراقـيين تملـق عقـول الحزب لدى ذوي النفـوذ بـادئ الـرأي، ومن ينسـى قميص النسك الذي ارتدوه وهم يقفون على ابواب العلماء بخشوع الذين آمنوا، وهـل يُنكَـر مشـاركتهم النـاس في شـعائرهم ومشـاعرهم بمعونـات ماليـة وحضــــور بـــأعلى المســـتويات في المســـاجد والحسينيات وهم يطلون بذلك سوء سرائرهم بهالة من المظـاهر الموالفـة لمظهـر الشـعب العقائـدي والاجتماعي درجة لم نسمع وقتها الا المـدح والثنـاء من المخدوعين الذين كانوا يمثلون اغلبيـة الشـعب في حين كـان البعـثي يقـول لاخيـه اذ يلتقـون في اجتماعـاتهم: انمـا نحن مسـتهزؤن. وهكـذا جـرت الريـاح كمـا اشـتهت أنفسـهم ولفّـوا من لفـوه من غوغـاء النـاس بشـباك خـديعتهم من اولئـك الـذين ينعقون مع كل ناعق فساقوهم الى الشارع ليعبروا بهم عن وجودهم المنحـوس في تظـاهرات تأييديـة هنا وهناك.

لقـد صـك الضـجيج والهتـاف بحيـاة البعث آذان ذوي الفضل والكيان من اعداء

البعث القابعين وراء جدران الحيـاة والمنهمكين في مفرداتهـا وحـاول البعض منهم ان يرفـع رأسـه لينظر بغضب الى ما حولـه لا كداعيـة معارضـة بـل لغضــب النفس من نتنــات الــريح فرصــدته عين

الحزب، وحان بـذلك حين البعث ليثبت لمن تسـول له نفسه النظر بغير الرضا الى الحزب والثـورة، ان البعث قـد بلـغ رشـدا وان لـه قواطـع واضراسا، وقضـم بمهـاره عاليـة أول رأس واتبعـه بالثـاني فالثالث وهكذا باتت الـرؤوس تتطـاير اينمـا رفعت. ومـا أيسـر توجيـه قـبيح الفعـال في خضـم القيـل والقال، وما أسـهل الاقنـاع بعـد احـراز حسـن ظن الناس. فهذا جاسوس عميل وذاك عتل زنيم وثالث مستغل افـاك ومـا أكـثر الـذنوب المعـذرة لانتهـاك الحرمات والموجهة لحملات التنكيـل الـتي شـرعها البعث مع أول خطـوة لـه في انطلاقـه من قاعدتـه التي بناها على اكتـاف الرعـاع. وهكـذا هتـك البعث اسـتاره وكشـف الغطـاء عن حقيقـة لم تكن في حسبان عامة الناس.

تناقلت الالسـن انبـاء الـرؤوس الـتي اطيح بهـا واخبار الاعتقالات والسجون لكن بهمس قاتل، فقد ثبت بـالقطع ان الحـديث عن تصـرفات الحـزب والانتقاد يعني الهلاك. ويستمر الحـديث في الـبيوت والمحافل بخفـاء، ويـزداد تنويعـا كلمـا مـرّت الايـام والاسـابيع، ولم تجـد في تلـك الفـترة ظـاهرة غـير القيـل والقـال اذ لم يكن من يتجـرأ في التصـدي بعمـل ما. فليقـل معارضـوا حـزب البعث في محـافلهم مـا شـاؤا فلا يـردع الحـزبَ قـول لهم ولا

يكفه عن عمله منهم حديث.

وقد يقول قائل ان هذا الرأي مخالف للوجـدان لأنا رأينا معارضة لهـذا الحـزب منـذ اول وهلة، وان فئـات وطنيـة لهـا مواقـف وبطـولات في سـاحة التصدي. قلنا ان الادعاء شيء والواقـع شـيء آخـر ولا ننكـر ابـداً وجـود احـزاب كثـيرة في قائمـة معارضي حزب البعث مروجوها في العراق وقادتها تنطق بلسان الآخرين من قواعد في لندن وبـاريس وواشنطن وموسكو وغيرها من العواصـم الـتي هي معروفة للقاصي والداني، كل حزب يـدعي الوكالـة عن الشعب ويتحدث باسم الشعب، لكنه عند اللقاء تجـده يحتمي بالابريـاء بـدل ان يقيهم فاذاسـقط بفتنته بريئاً أو اصاب الضـرر بشـعوذته مسـكيناً تلى الحزب انا فتحنا لك فتحا.

وكم من برئ لقي حتفـه أو ضـاع في زنزانـات البعث بسـبب منشـور غـير ذي قيمـة وضـعه بطـل منهم طي عـدد من المصـاحف بعـد تسـلله الى المسجد، فضبط بيد برئ وهو يتلو القرآن، وكم من حزبي دخل صفوف موكب حسـيني ونفث بشـعاره المعادي للنظام في لسان الاطفـال المشـاركين ثم انسحب عن الجماعة بسرعة البرق لينظر بعد قليل هجوم رجال الامن على هـذه الفئة، بعـد ذلـك يعلن الحـزب عن قيامـه بتظـاهرة صـاخبة ضـد السـلطة

الحاكمة. انـه الصـيد في المـاء العكر. ولقـد بـات الشعب العراقي ومنذ زمن ضـحية رمـوز لا يقلـون عن غيرهم دجلا، وبعض الالاعيب الـتي يمكن عـدها من حيـل الوصـول الى السـلطة لا يجـوز احتسـابها اعمالا بطولية هدفها الشعب. ان الذي يريد الشعب ينفع ولا يضر، ويحميه بصدره ولا يحتمي به، ويعيش آلامـه بين ظهرانيـه معتمـدا عليـه ولا يقضـي ايامـه برفاه في بيوت اعدائه حالما بكرسـي الحكم راكنـاً اليهم في ذلك، انّ التحــدث باســم الشــعب امــر عظيم لا ينبغي الاّ لأهله، كما ان سوء الاستفادة من الشـعب ذنب غـير مغفـور. فـوا عجبـاه من جـرأة الناس على الله وعلى الشعب وعلى التأريخ.

ان الذين يذرفون دموع التماسيح على الشـعب والــذين لا ينفكــون عن دق طبــول الحــرب مــع السلطة باسم انقـاذ الشـعب من الظلم، عليهم ان يثبتــوا للشــعب اولاً انهم الاحسن، ومن ثم يــبينوا للنـاس مـا قـدموه من خـير طـول فـترة التصـدي كدليل على ادعـاء خدمـة الشـعب ثانيـاً، وان يثبتـوا براءتهم من تهمة العمالة للاجنـبي ويوجهـوا الـدعم المادي والسياسـي والاعلامي الخـارجي لحركـاتهم مبرهــنين على ســلامة موقــف الأجنــبي في هــذه القضية ثالثاً، وأنى لهم ذلك وقد تيقن الصـغير قبـل الكبير ان السياسة تعني المراوغة والدجل والكـذب

وان السياسة تعني الوصول الى السلطة وان كـــان على حساب الشعب لغـرض خدمـة اسـياد يريـدون الســـيطرة على العـــالم وان عتـــاة الارض لم ولن يسمحوا للاحـرار بمزاحمـة مصـالحهم مهمـا كلفهم ذلك، وهذا مـا يؤيـده التـأريخ ايضـاً، فكيـف يُصـدَّق براءة واشـنطن من الأطمـاع في ترويجهـا للحـزب الفلاني ام كيف نثبت خلـوص بريطانيـا في وقوفهـا مع فئة وطنية اخرى وهكذا. وقد كفتنـا الايـام مؤنـة الاستدلال على اثبات ذلـك بعـد كشـفها القنـاع عن ادارة المخابرات الامريكية لاكـثر الاحـزاب الوطنيـة المطروحة في سوق السياسة على انها المعارضـة الحقيقية في العراق.

عناصر الحزب ورموزه

الرموز والشخصيات الحزبية تدل عادة على هوية الاحزاب ومستواها وعمقها الفكري، وحزب البعث العربي الاشتراكي غني بالشخصيات التي يسترشد من خلالها الى مستوى البعث الفكري النظري والتطبيقي العملي.

وعناصر الحزب في العراق من ضمنها بعض القيادات القومية والرفيق القائد المؤسس تكفي عيّنة لتشريح ودراسة جوهر هذا الحزب. اما القيادة القومية فمعروفة الماضي والحاضر فكراً وارتباطاً وسلوكاً. عملاء استخدموا لانجاز مهمة استعمارية ولا صلة لأغلبهم بالعراق، درسوا في معاهد المستعمرين وتربوا في محافلهم، وبرمجوا لصالح الاسياد لا لسد حاجة العرب أو العراق.

وأما القيادة القطرية وقيادات الفرق والشُعَب، فقد اختاروا لأداء الدور ثلة عرفها شعب العراق في مستوياتها الثقافية العلمية والاخلاقية التربوية، وكان الاجدر بالعارفين من ابناء الشعب ان يتخذوا من ذلك دليلا على انحطاط الحزب والتشكيك في اهدافه منذ اول يوم عرفوا فيه تلك الوجوه والتشهير بهم وبشعاراتهم ليحولوا بذلك بين العوام والانخداع بالمزيفين، وهؤلاء اناس لعنهم الله

والملائكة والناس قبل ان يبعثوا من جديد، ويوم دنسوا ارض العراق في زيهم القومي حيث سودوا وجه القومية العربية بما فعلوه آنذاك.

ويكفي في اثبات تجردهم من كل خير ثبوت تبعيتهم للأجنبي وامتثالهم اوامر اعداء العراق من المستعمرين الذين البسوا العراق ثوب الذل فيما مضى من الزمان، هذا مضافاً الى الامية الطاغية على غالبية افرادها. من لا يعرف صدام حسين النائب لرئيس مجلس قيادة الثورة سابقاً ورئيسه لاحقاً، وهل كان الرئيس الاول غير احمد حسن البكر ذلك العسكري الذي ما كان يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا والمنفذ لقرارات المجلس الموقعة من قبل صدام وعزة بأمر من الاسياد. وصدام النائب هو احد الفارين من الخدمة العسكرية ومن الذين سلكت بهم الايام سبل الشقاء تلقفته يد الاستعمار لتستغل شقاءه ولا أباليته بما كان أو يكون، فانتخبوه، عضوا في الحزب المقترح، وقد كان المستعمر قد دس خبراءه في صفوف العراقيين لجمع شتات النماذج النافعة في تصورهم لغد الحزب ليبنوا بها قاعدة عراقية مناسبة لاهوائهم تفيد في تركيب هيكل الحزب عليه، ونجح صدام في اختبار اللياقة التي حبذها الاسياد في العنصر المطلوب، وتدرج في مراتب الحزب، تسلم مهام

نيابة رئاسة مجلس قيادة الثورة وهو بهذا المستوى المتدني فلا هو من حملة الشهادات ولا بالمتخصص في فن مـا من الفنـون، ولقبح هـذا الموقـف فقـد تدارك الاسياد ذلك عندما استقرّت المسألة لصـالح الحــزب بمنحــه شــهادات رمزيــة من جامعــات معروفة. وليتسـلم أخـيراً منصـب رئاسـة المجلس بعد تنحية احمد حسن البكر. فماذا نأمل في كـوادر حزب رئيسهم صدام.

ومن سخرية القدر ان صداماً الذي يدق طبــول بعث العرب لا يجيد التحدث باللغة العربية الفصحى تلك اللغة التي جاء صدام لاحيائها ولقد صـرّح امـام الملأ ـ بعد انتقاد اذاعة لنـدن لخطبـة لـه القاهـا في بغداد عبر الراديو والتلفزيون كانت مليئة بالاخطاء ـ انـه ضـعيف في اللغـة العربية. فلتقـرّ أعين العـرب بسيدهم الجديد.

لقد غلب على شروط اختيار العضو في تنظيم حزب البعث طابع خاص لا يمت الى المنطق بصلة، اذ ليس الشرط الاساس في العضـو ان يكـون من ذوي المؤهلات العلمية أو الحـائزين على درجـة من الوجاهـة الاجتماعية، انمـا الشـرط الاسـاس هـوان يكون العضـو مستسـلماً منـذ البدايـة للحـزب ينفـذ اوامر الحزب دون نقاش حتى وان كان المأمور بــه امراً غير معقول وشعارهم المعروف نفذ ثم نـاقش

هـو القـانون الـداخلي للحـزب، فالحقيقـة انهم يشـترطون العبوديـة في العضـو مقابـل وعـود بالسلطة والمال، فما لم يحرز بالقطع واليقين هـذا الشرط وما دام العضـو لم يقسـم بشـرف الحـزب على استعداده لارتكاب الرذائل مهمـا كـانت بشـعة ممقوتة فلا ينال شرف العضوية في الحزب. وعلى هذا هل ينال مثل ذاك الشرف الا اللا ابالي الـذي لا يهمـه مـا يقـول ومـا يقـال فيه، الـذي لا هم لـه الا نفسه وشـهوته. واذن لا الـدين ولا العلم ولا الاخلاق لـه دخـل جـدّي في دين البعث، فـالمهم أن يـؤمن الفرد بالحزب ديناً ويتعبَّد بتطـبيق أوامـره عملاً ولـه بعد ذلك ما يحقق بعض احلامه.

كـان لأمثـال هـذه العناصـر الاثـر السـلبي على القاعـدة الاساسـية للمجتمـع العـراقي من جـوانب متعــددة، وبــدأت منــاهج مدرســتها تعطي ثمارهــا الخبيثة يوماً بعد يوم حتى كسحت فكـرة الشـيطان كــل قلاع الاخلاق والايمــان ولم يســلم من ســمه الصــغير والكبــير، وأصـبح العــراق مدرســة كبــيرة للدجل والنفاق بعد تحطيم كل الاسس الجيدة التي حافظ عليها المجتمع رغم الظـروف القاسـية الـتي مرت قبل عهد البعث. ونحن نذكر هنا اسـماء بعض معلمي هــذه المدرســة من اعضــاء القيــادة ممن قرأهم الشعب فكراً وعملاً، والذين نشروا صحفهم الكاشــفة عن حقيقتهم عــبر ســنوات تســلط هــذا الحزب، فبهم نهتدي الى مستوى الكادر البعـثي ذي الإدعــاء الطويــل في مدرســته مدرســة الاجيــال فمنهم:

صدام حسين، عزة الـدوري المعـروف بــ (ابي الثلج)، طه ياسين الجزراوي، طارق (يوحنّـا) عزيز، لطيف نصيف جاسم، محمد سعيد الصحاف، طارق حمد العبدالله، سعدون حمادي، ناظم كزار، وضبان التكريـتي وبـرزان التكريـتي. ومن كبـار مسـؤلي الحــزب ايضــاً نــذكر: عبدالحســن راهي فرعــون ومزبان خضر وسمير الشيخلي وعلي حسن المجيد وحسين كامل وامثالهم كثير.

وهـذه النمـاذج تكفي مثلاً لبيـان النوعيـة الـتي تمثل الاسـاس في قيـادة شـعب العـراق، وايـامهم السـوداء أغنت عن بيـان تفاصـيل حيـاتهم بعـدأن كشـفت الغطـاء عن الصـور الحقيقيـة لهم، وقـد عــرفهم القاصــي والــداني بمســتوياتهم الهزيلــة وباخلاقهم المنحط ولا دينيتهم المعلنة وعرفوا مدى تأثيرهم السيء في السواد الاعظم من الناس. بعد أن فرضــهم الحــزب أئمــة وأوجب على الشــعب المسكين الاقتداء بهم.

منهج البعث

الشعب العراقي شعب مسلم يفتخر بإسلامه شأن بقية الشعوب المسلمة، ومن المعلوم ان المسلم يتميز عن غيره بعقيدته وسلوكه وهدفه، كما ان الطريق الذي رسمه الاسلام واضح المعالم لدى الملمين بمسائله، وان خفيت مسائل كثيرة منها على البعض جراء الاهمال والانشغال بأمور دنيوية بحتة. وجدير بالمفكر المسلم المهتم بإسلامه ومجتمعه ان يسعى بكل مباح من الوسائل في بيان الخطوط التي رسمها الاسلام قولا وعملا سواء على شكل مناهج تتابع تفصيلاتها في مراحل دراسية تنتهي بخبرة عالية، أو على شكل فكرة تضمن كامل قوانينها تتكفل تطبيقها فئة كفؤة وبتدبير حكيم لا يد للأهواء فيه. وبتعبير آخر حكومة اسلامية بحتة تنظر الى الحياة بمنظار الله تعالى تتقيد بحدود الله لا تأخذه في سلوك طريق الحق لومة لائم ولا تهز اركانه وساوس الخناس مهما عظمت، وليس المطلوب من هذه الفكرة نظريتها فحسب كما عليه قوم، بل المطلوب الباسها ثوب العمل في حدود لا تطالها يد المتلاعب أو الجاهل كما فُعل من قبل. وهل ينكر أحد التطاول على الاسلام عبر سني حياته من افراد وفئات قالت فيه

ما اشتهت انفسها حتى بـاتت فـرق المسـلمين من الكـثرة حـداً اشـتبه فيـه الامـر على المسـلمين انفسهم قبل غيرهم، فلم يميزوا اية فرقة هي على صواب، وباتت كل امـة تلعن اختهـا في الـدنيا وكـل فرح بما لديه.

كـان لهـذا التمـزق الاثـر الفعـال في ضـياع الاسلام، وسيتحمل كل طائفة ـ بل وكل فـرد ادعى العلم بالاسـلام وكتب نظريتـه الخاصـة ليجـر وراءه افواجاً من المسلمين ـ مسؤلية ضياع الامانة. ولقـد سمعنا ورأينا عبر التـاريخ كيـف اسـتغل الكفـر هـذا التمـزق وتحكم في رقـاب المسـلمين، وكيـف حلا لمن طمع في كرسي الرئاسة لبس قميص النسـك ليتربع على عرش السلطان، حـتى اذا بلـغ المـراد، طعن الـدين طعنـة عجـز المسـلمون عن تـداوي جرحه، وهكذا حتى وصلنا اليوم الذي رأينا فيه غربة الاسلام وغياب الحقيقة.

ان الفئـات الـتي حكمت بلاد المسـلمين عـبر القرون كانت كلها تـدعي الاسـلام فمن اميـة الـتي ادعت احقيتها بخلافة الرسول لتتمكن بهـذا الادعـاء من تحكيم يزيد في المسـلمين ليقـوم بعـد اسـتلام الامر بقتل ابنـاء الانبيـاء ورمي بيت اللـه بـالمنجنيق ثم يضع النقاط على الحروف بقوله: لا خبر جـاء ولا وحي نزل، الى بني العبـاس الـذين لعنـوا الامـويين

لمـا همـوا بالكرسـي المـتزلزل تحت خلفـاء اميـة مسـتغلين الاسـلام ايضـاً وقـرابتهم من رسـول الله(ص) لكسب تأييد الناس، فـبرزوا للنـاس بـادي الرأي اناساً يتطهرون، فلمـا اسـتقامت لهم الامـور حللوا ما حرم الله وانشغلوا بملـذات الـدنيا وفـاقوا امية تعدياً لحدود الله وملـؤا الارض فسـاداً. وهكـذا كـان لكـل من سـعى في الحصـول على القـدرة منهجاً يُرى ظاهره اول الامـر مليحـاً والايـام تفضـح بعـد حين بواطنه، وذلـك يـدل بوضـوح على غفلـة المسلمين في امورٍ هم مسؤولون عنها.

لقد باتت الغفلة هذه سنّة للمسلمين رغم كثرة العـبر ورغم ادعـاء التقـدم والثقافة، فمـا اكـثر من يدعي العقـل والفطنـة في زماننا، حـتى ان الواحـد منهم يمقتك ان نصحته ويحمل عليك ان حذرته لانه يرى نفسه فوق ذلك، فلا الأمر بـات بهـاد ولا النهي برادع، ولا ادري، اين يكون محط الرحال أفي وادي الحسرة، أم على قلل الاعتبار....

ومنهج البعث مثال جديـد يضـاف الى عشـرات المناهج التي أثبت التاريخ عقمها وزيفها، وقد وضـع في جـو ملائم اذ اصـبح النـاس كالـذي يتخبطـه الشـيطان من المس بسـبب مـا جرعـوه من يـد الكفر، وبـات النفـاق ديـدنهم فـتركهم اللـه في ظلمات لا يبصرون، فاصبحوا مطمـع اللصـوص، ولا

ادري متى أراد اليهود والمسيح للمسلمين خيراً كي نحسن الظن ونعذّر مَن صفق من المسلمين لمنهج عفلق، وكيف استساغ من هو في ادنى مراتب الايمان الانصياع الى أوامر الكفار وهو يتلو قوله تعالى: { ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا }.

ونفاق منهج البعث غير خفي على احد، فمن ترويج سلسلة التوجيهات الاقناعية لأصل الفكرة، وما تحويها من قوانين عصرية للحياة الجديدة التي يتوخاها الحزب للشعب، وشرحها باسهاب كاهداف معلنة لبعض الكوادر وعامّة الناس، واظهار الوجه الايماني والانساني، واطلاق شعارات المصلحين المؤمنين، إلى اهداف غير معلنة خاصة بالمؤسس ونفر من اعوانه المجندين للعمل تحت ذلك الغطاء الموهم من اجل تحقيقها، مشبعة بالكفر والوحشية والضلال، بعيدة كل البعد عما هو صلاح، عبروا عنها بالعمل خلافاً لشعاراتهم، وقد بذلوا كل طاقة في استغلال الفراغ الفكري للاعضاء المنتمين الى الحزب، لترسيخ السفسطة البعثية في اذهانهم، يوجهون تناقضاتهم بأكاذيب أقبح من فعالهم، ليستعينوا بهم في تطعيم ما أمكن من العقل

الاجتماعي الفارغ ببراعم الشر السام في موهومات محلاة بالعسل المصفى وبأساليب

متلونة، كـل تلـك كـانت من سـمات المنهج البعـثي البارزة والـتي اوجبت ضـرورة التكيـف مـع الاجـواء لضـمان البقـاء. وقـد ابـاح الحـزب في منهجـه كـل وسـيلة تعين على الوصـول الى الهـدف، فلا ينبغي للـدين أو العقـل أو القـانون الوقـوف في طريـق الحزب ما دام الطريـق موصـلاً لمـا يريد، فالكـذب مبـاح وان كـان حرامـاً، والارهـاب واجب وان كـان ممقوتاً، والفضيلة رذيلة ما دامت تعـترض السـبيل، وكلمـا استحسـنه البعث فهـو الحسـن وان قـام الاجماع على قبحه، ومـا اسـتقبحه فهـو القـبيح وان وقّع الانس والجن على حسنه، وأوامر البعث واجبة التنفيذ وان كـانت مخالفـة للعقـل والمنطـق وعلى كل بعثي الالتزام بمبدأ نفذ ثم ناقش.

هـذا هـو المنهج العملي لحـزب البعث، عاشـها البعـثي واسـتذوق مرارتهـا غـير البعـثي، ودع عنـك النظريـات المسـطرة في اسـفار البعث فانهـا شعارات للدعاية، منهج مـريب لم يثبت في موقـف انـه أراد الخـير لشـعب خـدع بطلائه، ولم يُـر في بأساء شارك الناس بؤسـهم، بـل قلمـا نـرى ضـرّاء نزلت في ساحة القوم لم يكن للحـزب فيـه اصـبع، فبئس النهج الذي ضحى بامّة قرباناً للاجنبي، وتعساً لثلة باعت نفسها بثمن بخس لتكـون يـد العـدو في البطش بابنـاء الامة. انـه نهج الشـيطان الـذي دعـا

الناس للفساد والافساد ـ الا اني دعوتكم فاستجبتم ـ ولبى هذه الـدعوة كثـيرون ومنهم هـذه الشـرذمة التي فسـدت في الارض واهلكت الحـرث والنسل، دخلت المـراعي الآمنـة بمكـر الثعـالب ثم انقلبت وحشاً كاسراً لا يرى فيه من الضـمير رسـماً ولا من الرحمة اسماً، لا يرويه دم ولا يشبعه مال، وما زال لا يشـغله عن قطـع الرقـاب شـاغل ولا يحولـه عن نهب الامـــوال حائل، فمـــا اجـــراه من نهج على الانسانية وما اقبحه من مذهب على التاريخ.

أهداف البعث

يمكن تقسيم اهداف حـزب البعث إلى صـنفين من الاهداف بحسب النظرة الدقّية ودراسة الحزب من وجهتيه النظري والعملي وكما يلي:

- ـ الاهداف المعلنة.
- ـ الاهداف الغير المعلنة.

ونحن نتعـرض باختصـار لهـذين الهـدفين بلغتيهمـا المختلفتين، لغة الشعار ولغة التطبيق.

- الاهداف المعلنة:

الاهـداف المعلنـة لحـزب البعث هي: الوحـدة والحرية والاشتراكية، كما طبل لها الحـزب بلسـان عـربي مـبين. ولكن المتتبـع يـرى ان هـذه الالفـاظ أطلقت وقُصِـد منها غرضـان فسـر البعث غرضـاً

وكتم الثـاني، وعلينـا هنـا بيـان هـذه الاهـداف على ضـوء تفسـير البعث لهـا اولاً، ثم بعـد ذلـك إمـرار ممحاة الطلاء على صفحة الخديعة لكشف الجوانب المبطنة والمقصود الواقعي من تلك الاهـداف، كمـا يوحي به الجانب العملي من فكـرة البعث، وتؤيـده الوقـائع الـتي طبعت آثارهـا في المجتمـع العـربي والاسلامي، لنقف على حقيقة الضجيج المفتعل في ارجاء الـوطن العـربي لـترويج الفكـرة والبحث عن الارضـية المناسـبة هنـا وهنـاك لـزرع بـذورها بجـد ونشاط.

1 ـ الوحدة:

يفسر البعثيون هدفهم من السعي وراء تحقيـق الوحـدة العربيـة بقـولهم: ان العـرب ومنـذ سـالف الزمـان امـة متميـزة بخصـالها الحميـدة ومـدنيتها العريقـة وقوتهـا المشـهودة وكلمتهـا المسـموعة وأصالتها المعروفة ونصرة بعضها البعض ضد العـدو دون حدود، كانت كذلك حتى جاء الاسـلام فأضـاف الى مجدها العريـق نـور الايمـان وجعلهـا خـير امـة اخــرجت للنــاس. لكن العــدو الحاقــد كــان لهم بالمرصـاد حسـداً وطمعـاً، ففـرق كلمتهم وبـدل قـوتهم ضـعفاً وثقـافتهم جهلاً حـتى تمكن منهم، فسـلب خـيراتهم، وذللهم بعـد العز، وجـزأ بلادهم، فما بـاتت لهم كلمـة تسـمع ولا رايـة ترفع، وطـرق

التشــرذم والانــدثار ابــوابهم، ومــا زال الاجنــبي المستعمر يجول ويصـول على بقايـا احيـائهم، وهم الاسـم الـذي تبقى من العـرب بعـد ضـياع الاصـول وتقليم الفروع، وقد اوشكت لغتهم التي بها عرفــوا عرباً على الضياع بكيد من العدو.

وقد رأينا عبر القرون حركات عديدة سعت في انقـاذ العـرب لكنهـا عجـزت عن تحقيـق اهـدافها لضــحالة فكرتهــا وعقم طريقتها. وهــا شــمر عن ساعد الجد آخر المطاف نفـر ممن نـذر نفســه من اجل انقاذ العروبـة من خيـار مفكـري العـرب لبعث العرب من جديد، وتتمثـل هـذه الفئـة الصـالحة في حزب البعث العربي الاشـتراكي. وأول هـدف يجب ان يحققه حزبهم في هذا الطريق هـو جمـع شـمل العرب تحت لواء واحد ليكونـوا يـداً واحـدة، وبـذلك يمكن اســتعادة قــوة العــرب الحقيقيــة الــتي بهــا يمكنهم بناء حضارتهم التي مزقها الاعداء من جديد، وان يثبتـوا للعـالم المتحضـر مـرّة اخـرى انهم امـة عريقة ذات تراث اصـيل قـد سـبقت الامم، وكـانت حضارتهم اصلا لكثـير من الحضـارات الاخـرى الـتي تلتها، وهذا هدف نبيل يعتز به كل عـربي، بـل يجب على كــل العــرب تأييــد هــذا الحــزب والتصــفيق لمروجيه.

2 ـ الحرية:

ان نظرة البعث الى الحياة ـ كما يدعيه الحـزب ـ نظرة شمولية، فيشمل ظل خيمة البعث الانسان العـربي بغض النظـر عن طريقتـه ومذهبه، معللين ذلك بقولهم ان الوطن العربي الكبير جامع لمختلف المشارب من العرب، والرؤيـة من نافـذة ضـيقة لا يلائم ودعــوة البعث لانقــاذ كامــل الامــة من قيــد العبودية والظلم الاجتماعي، لـذلك لا يتقيـد الحـزب بدين أو مـذهب في احكامـه وقوانينـه بـل لـه دينـه الخاص به، فمادام الاضطهاد قـد عم الجميـع بفعـل الاستعمار، وما دمنـا رفعنـا رايـة التحريـر فلابـد من تحريــر الجميع، ولــذا ينبغي ان تكــون النظــرة الى الحريـة من مفهومهـا الاوسع، وعلى هـذا الاسـاس يعلن الحزب حريات متعددة نذكر منها:

أ ـ الحريـة الدينية: ولكـل انسـان الحـق في اختيـار دينـه كمـا يشـاء ويعمـل بطقوسـه دون مزاحمة، وكــل الاديــان والمــذاهب حــرة في طقوســها واحكامها.

ب ـ حرية الفكر والـرأي: وتعـني ان كـل مفكـر لـه الحـق في التعبـير عن رأيـه بحريـة تامـة كمـا ان الحزب يرحب بالنقـد البنـاء ويعتـبره عـاملا مهمـاً في طريق الوصول الى الاحسن.

ج ـــ حريــة العمل: فليعمــل كــل على شــاكلته، والاعمال جميعها مباحـة الاّ مـا حرّمـه البعث لامـا

حرمه الشرع والعرف، فالربا وبيع الخمور والقمار وبيوت الدعارة وغيرها كلها اعمال مشروعة ومباحة كسائر الاعمال المحترمة.

د ــ حرية المرأة: ويرى البعث ان لا فرق بين الرجل والمرأة، فالكل متساوون في الحقوق، وللمرأة ان تتصرف كما تشاء كما ان الرجل حر في تصرفه، فلا قيمومة للرجل على المرأة ولا قيود تقيدها في عملها وعلاقاتها ولبسها وخروجها، ويمنع تعدد الزواج ـ وكان هذا القانون سارياً حتى مطلع القادسية ــ وان الطلاق بيد المرأة كما هو بيد الرجل، والتسفر من سمات التطور ينبغي ترويجه بل يجب التحرر من قيد الحجاب وو....

هـ ـ الحرية الاخلاقية: ولا ضابطة لها اذ ليس ثمة اخلاق خاصة مخترعة للبعث سوى ما تخلق به المجتمع وهي الاخرى مطموسة المعالم، فمخالفة الاصول الدينية والعرفية شيء مألوف ولا يرى الحزب ضرورة في ردع المخالفين لتلك القواعد والأصول بل يرى العكس وان كثيرا من تلك المسائل الدينية والاعراف الخاطئة هي التي ادت إلى التخلف عن ركب الحضارة وعليه فلا يمانع الحزب من ترويج المخالفات تلك والتي تعتبر في الواقع من مظاهر التمدن والثقافة في

نظر الحزب، فلا مانع اذن من فتح ابواب الحانات وبناء الملاهي وغيرها.

و ـــ الحريـــة السياســية: اذ يحـــق لكـــل الفئـــات السياســية الــتي لا تكن العــداء لحــزب البعث ان تــزاول اعمالهـــا بتشـــكيل التنظيمـــات واصـــدار النشرات دون مضايقة.

هــذه مــوارد ذكرتهــا بحســب التفســير البعــثي المعلن للحريــة وســنتلو عليكم انبــاء مــا وراء هــذا التفسير قريباً ان شاء الله.

3 ـ الاشتراكية:

وهــو الشــعار الــذي لم يُــر في العــالم بأســره تطبيقاً عمليــاً ناجحــاً لمفهومه. اســتلهمه البعث من الاسياد ويراد منها حصر القــدرة الماليــة في قبضــة الدولة والقضاء على الطبقية في المجتمع، ويــدعي البعث شــأن انصــار الاشــتراكية ان مظــاهر البــؤس والحرمــان والظلم الاجتمــاعي ناتجــة من الانظمــة الاخرى الحاكمة حيث تمركز الاموال عنــد جهــة في حين تحرم جهة اخرى من ابسط الضروريات لــذلك يــرى البعث فكــرة الاشــتراكية في اقتصــاده حيث تقوم الدولة بالاشراف المباشر على توزيع الثروات في المجتمع فيحقق بذلك العدل الاجتماعي ويجنب الشعب سلبيات الرأسمالية وغيرها.

هذه هي مجمــل اهــداف حــزب البعث المعلنة،

وقد تبدو جميلة بألفاظها مغرية بمعانيها بالشكل الذي يفسرها البعثيون في نوادي اعلامهم. ولكن السؤال المهم هو: هل جاء البعث واقعاً لتحقيق هذه الاهداف؟ وهل سعى عبر هذه السنين الطويلة بكلّ ما حمّل الشعب من متاعب وآلام في تحقيق هدف واحد منها لمصلحة الشعب حقاً؟ وهل كانت وحشية السبل التي اتّبعها الحزب وضعضع بها أركان المجتمع العراقي هي الصراط المستقيم لبلوغ اهدافه، ام كان وراء كل صنيع هدف خفي لم يهتد اليه عقول المغرر بهم من الذين جندوا أنفسهم جهلاً وطمعاً في خدمة عدو قاتل ليكونوا عوناً على شعبهم ووطنهم؟.

هذا ما سنحاول القاء الضوء عليه في الموضوع الآتي عسى ان نستخلص من مأساة الشعب العراقي المظلوم عبرة تعتبر بها الشعوب الاخرى المبتلاة بمثيلٍ لحزب البعث من الافكار الاستعمارية والنظريات المزينة بصبغة الوطنية والتقدمية وخدمة الشعوب.

 الأهداف الغير المعلنة:

اشرنا في الصفحات الاولى الى طرق استحواذ الدول القوية على مقدرات الشعوب الضعيفة، وقلنا ان الاستعمار كان يلتجئ الى استخدام قواته

في القهـــر والغلبة، ويباشــر بنفســه على الســلب والتحكم، فضـــاقت الشـــعوب من مـــرارة الظلم وملّت من تلقي الاوامر من الاجنبي الـذي لا يـرحم ورؤيتــه وهــو يــدنس ترابــه وينهب خيراته، وبلغت المـرارة حـداً بـدأ معـه الصـبر في النفـاذ وظهـرت بوادر الانتقام وتحسس المسـتعمر بـالخطر، فعـزم على تغيـير النهج وسـارع كـل لص منهم في البحث عن الخطة المناسبة البديلة لتغيير روية الهيمنة مــع الحفاظ على المكتسبات.

وتسابقت القوى فيما بينهـا في الكيـد مسـتغلة الفـرص للنيـل من بعضـها البعض. وبـدأت بتوزيـع الرؤســاء والملــوك والســلاطين على الــدول بعــد الاعلان عن استقلال الدول وتحرر الشعوب، وهكذا تم تحوير العمليـة الاسـتعمارية من الحكم المباشـر الى الحكم بالوكالـة من قبـل حكومـات لا رأي لهـا في شــؤون بلــدانها وانمــا تســتلم التوجيهــات من الاســياد فقــط فــالمواقف السياســية والعلاقــات الاقتصادية ومناهج التعليم والنظام الداخلي وغيرهــا من الامور إنما تطبق بوحي من وراء الحدود.

إن تحوير الاسلوب لابد منه مـع تطـور الـزمن، فقد بـاتت فئـات من الشـعوب تـدرك شـيئاً فشـيئاً التقلبات الدولية ولربما اطّلعت على خيــوط اللعبــة الجديدة، فلابــد اذن لمحــترفي لعبــة الشــطرنج من

تغيير خططهم بين حين وآخر للتمويه وتفويت الفرصة على العدو المحتمل لتضمين الامن لامد اطول، اذ ربما استغل طامع آخر اولئك النفر المتطلع للدخول من النافذة، وهذا هو السر الكامن وراء تبديل الحكومات وظهور الانقلابات غالباً.

والعراق لقمة دسمة لا ينبغي تركها، لذا نرى الصراع واضحاً في ساحته عبر ادوار الحكم وكانت اصابته هذه المرّة بسهم البعث العربي. فما هو الهدف من الرمية، ومن وراءه؟ وماذا خلف الضجيج؟ أما الهدف فواضح وقد اشرنا اليه اذ ما هو إلا شبكة اريد بها الصيد الوفير. وأما الذي وراءه معروف العنوان مجهول الشخصية انه ولد غير مشروع ينتسب الى اب شرقي تارة واخرى يكنى بابن الغرب.

وهكذا ضاعت اشتراكيته بين الاشتراكية الشيوعية والرأسمالة الغربية فمن جهة

الشعب لابد من تطبيق الاشتراكية وتحديد الملكية ومن لا يعمل لا يأكل اما من جهة اعضاء القيادتين وعشائرهم فباب الملكية مفتوح بغير حدود والاقطاعية الملعونة باللسان هي المحبذة قلباً والمطبقة قالبا في تكريت وهيت وعنة وغيرها. ولهذا اختلف الناس واقعاً في هوية البعث بين هذا وذاك، فمن حرارة العلاقات العراقية الروسية قالوا

ان البعث شــرقي، ومن ســجود اقطــاب الحــزب للغرب واستلهامهم المدنية منه قالوا هم امريكــان. ولا يبعد ان يكون البعث وليد عقد خـاص في سـوق مشــتركة للاســتعمار، بــدليل انــا رأينــا القطــبين المتصارعين قد تصـالحا في العـراق للـدفاع سـوية عن حزب البعث حين بان الضعف في عسكره ابان الحرب العراقية الايرانية، تلك الحـرب الـتي سـاهم الطرفان في تغريـر العـراق لشـنها على جمهوريـة ايـران الاسـلامية. وأمـا الضـجيج فهـو الـذي يهمنـا وعنينــاه بهــذا الفصــل والمقصــود منــه الضــجيج المفتعل لترويج اهـداف الحـزب والـتي بينّاهـا على ضوء تفسير البعث فما هو المراد الواقعي من هـذه الاهداف؟.

لا شك ان المناورات الاستعمارية لا تكـون على نسـق واحـد بـل هي مختلفـة الاشـكال والاهـداف، ومن جملتها خطة الكر والفر والتضـليل، ولا شــيء أضل للشعوب مثل الضرب على الاوتـار الحساسـة واستغلال نقاط الضعف بعد ايجادها، فشعب يرضخ تحت ارهـاب حكومة، يتطلـع الى من يتفـوه بوعـد الحرية، وامــة تتضــور جوعــاً من جــراء سياســة اقتصادية، تصفق لمن يلوّح لها بقرصة خبز وهكــذا. ومصيدة رخيصة مثـل هـذه غـير بعيـدة المنـال عن القوي الملي، والشعب العربي عمومـاً يعيش حالـة

يأس وقد علا صراخه بسبب اللكمات التي تلقاها من يد الاعداء فهل ينتظر المستعمر رفسة الموت منه ام يفكر في ثوب جديد؟ واذا فكر في حيلة فكيف تكون ومن اي باب يدخل هذه المرة؟ لنرى كيف سعى المستعمر في هذا المضمار الاستفادة من شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية وبعبارة أخرى أهدافه المخفية وراء هذه الشعارات.

 هدفه من تحقيق الوحدة:

لقد نظر المستعمر نظرة في بيت العرب ليرى الجرح الذي منه ينزفون، ويسمع صراخ المستصرخين ليعلم الباب الذي منه يشتكون، فعلم انهم يئنون من الفقر وتؤلمهم الفرقة، ويشكون الى الله ارهاب السلطات، وبدأ على ضوء ذلك نسج خيوط الشبكة، إذ لابد من تغيير ولابد من ابطال جدد لتمثيل الفصل اللاحق يتم اختيارهم بدقة، فينبغي ان يكونوا من العرب اولاً ومن اهل الخبرة والفن من الذين يمثلون الادوار بشكل جيد ثانياً، ممثلين يجيدون البكاء على الاطلال وذرف دموع التماسيح على المصير الضائع للعرب وعلى تمزقهم واضطهادهم وجوعهم وموتهم الوشيك. وهكذا نادى منادي الغيب ببعث العرب من بعد موت وخلود رسالتهم.

ووجد المستعمر عفلقاً واعوانه خير من يمثلون هذا الدور ومهد لدخول مـوكب البعث ارض العـرب تحت جنح الظلام وبـدأ بمناجـاة الغـافلين في دعـاء طويل، وسـار بعض العـرب نحـو صـوت المزمـار السـحري وهم نيـام، حـتى اذا بلغـوا ارض الميعـاد انتبهوا وقد اشرقت شمس جديدة ـ في تصـورهم ـ في افــق من آفــاقهم، فهــل اقبــل الخــير وولّى الظلام؟؟؟. وقاســـمهم الشـــيطان اني لكم لمن الناصحين فـدلاهم بغـرور صـوب المجهـول، صـوب الوحـدة، بأمـل ان يلـف شـباكه هـذه المـرّة كـل العـرب، فـان كيسـاً كبـيراً واحـداً خـير من اكيـاس متفرّقـة فهلمـوا ايهـا العـرب الى المصـيرالمحتوم، فادارة واحدة افضل للاستعمار من ادارات شــتّى لا يؤمن شرها، ومهـام السـيد هـذه الايـام كثـيرة في شرق الارض وغربها، لا تزعجوه بتفـرقكم فينشـغل بكم عن غيركم، واتحدوا ايهـا العـرب لتكونـوا قـوة يرهب بكم السـيد عـدوه، فـالنزاع على البقـاء بلـغ ذروته وسيدكم يريد البقاء.

هذا هـو مغـزى دعـوة البعث الى الوحـدة، انهـا دعوة لتوحيد العرب لا لاجل العرب بل لاجل خدمـة الاسياد، ودليلنا على زيف الادعاء ما قـام بـه البعث حين يئس من تلبيــة العــرب لاراجيفــه حيث مــزّق صفوف العرب بين عشية وضحاها بضربة قاصمة لا

قبل للعرب بها فأوجد بذلك في صفوفهم صدعاً لا يُرأب. ولا ندري اين صارت شعارات وأناشيد الوحدة التي تغنى بها البعث طويلاً والتي ملأت اركان الدنيا وصدرت منهم بنبرة الناسكين المخلصين. أو لم يكن سعي البعث لزجّ العرب في حرب ضد الجمهورية الاسلامية باسم القادسية خدمة للاستعمار وهل غزو الكويت وضرب المملكة العربية السعودية ودول الخليج الا ادلة على كذب ادعاء البعث. فالحقيقة هي ان الاسياد الذين يحكمون البلاد العربية مختلفوا الاذواق والاهواء فتحايل بعضهم في الاستحواذ على العرب فرسم هذا الخط للتمويه على العرب ليسهل عليه عملية السطو. ويبدو ان الرقباء أو الشركاء قد التفتوا الى هذه الحيلة بعد ان تمكنت الفكرة من ايجاد موضع قدم لها في الارض العربية ولهذا نرى البعث في تراجع مستمر بعكس ما كان عليه قبل انفضاح امره، وان فروع الحزب في البلاد العربية اما معطلة بالمرة أو مراقبة بشدة.

 الهدف الخفي من الدعوة إلى الحرية:

وهي السم الذي يريد البعث دسه للعرب جميعاً بعد ان قتل به شعب العراق. فالمجتمع العربي مجتمعٌ مسلم يجري الاسلام في عروقه رغم تهافت اغلب ابنائه على الدنيا وزللهم في

مزالقها، فالعقيــدة راكــدة في قلــوبهم ومعالمهــا واضــحة لا لبس لأحــد فيها، اعتنقــه النــاس طوعــاً ويفتخرون بالانتماء اليه.

ان هذا الاسلام الحـاكم على الجـو العـربي هـو عقبة كبيرة في طريق الكفر العالمي الـذي يسـعى بجد من اجل استلام زمـام الامـور في دول العـالم. فهم من جهـة عقيـدتهم معـادون للاسـلام يكيـدون للنيل منه، ومن جهة اخرى مستطمعون في الارض الاسلامية والمسلمين، وبلـوغهم الاهـداف مـع بقـاء الاسلام امر لا يمكن تحقيقه، فلماذا لا يستغل العدو غفلـة المسـلمين عن دينهم بعـد تخـديرهم بمخـدر فعال.

وهكذا بدأ طبيبهم بعلاج داء المسـلمين بعـد ان اجــبرهم حمى الاضــطهاد والظلم الاجتمــاعي على البحث يمينـاً وشـمالاً عن طـبيب معـالج وكـان في رأس قائمــة الــدواء شــراب الحرية، حريـة يتطلـع المسلم الى سوقها مرغما بسبب سوء ما ناله دون التوجـه الى مضـاعفاتها فليتحـرر المسـلم من كـل قيد، قيد الحرام والحلال، قيد الاصول والاخلاقيـات، قيد الحكمة والتدبير، فما عليه الاّ ان يأكل ويشــرب وينـام ويتنقـل ويعمـل بأمـان، هـذا غايـة مـا يريـده المسلم اليوم في ظل الارهاب والجوع الـذي ذاقـه من يد الاستعمار المـداوي، ولا حـق لاحـد ان يحـدد

الحرية التي وصفها طبيب الاستعمار، بان يرتضي بعض الحرية، ويختار طوعاً القيود التي فرضها الدين والاخلاق فذاك الذي يرفضه دعاة الحرية لانهم يريدون الحرية الهادفة التي توصلهم الى مآربهم، لذا نرى المنقذ الجديد البعث العربي يحارب القيود التي يرغب الناس فيها، فمن يتقيد بدخول المساجد فهو جاسوس يجب قتله ومن يتقيد بمعايير النبل والشرف فهو متخلف مدسوس يجب تأديبه ومن دل على خير فهو مزاحم لحريات الاخرين وجبت ازاحته، هذا ما رايناه من حرية البعث، فكم من الوف قتلوا لا لجرم سوى انهم كانوا من المصلين، وكم من الوف سجنوا لانهم امروا بمعروف أو نهوا عن منكر، وكم من العلماء اعدموا ظلما من غير سبب وكم من مئات الالوف شردوا وطردوا من مساكنهم لانهم قالوا ربنا الله.

فهنيئا للعرب والمسلمين بحرية البعث. ومقابل كل ذلك وتحت عنوان حرية الاديان لا بأس للاساقفة من ضربهم النواقيس ليل نهار، ولا مانع للكهنة من تجديد العهد في صوامعهم بدوي المزامير فلتحيا اليهودية والمسيحية في ارض الاسلام تحت ظل حرية البعث ولتعش الكنائس والاديرة، والموت للمسلمين والخراب لمساجدهم.

فما اظلمها من حرية وما اقساها على الاسلام في

ارضه، ومـاذا يمكن ان يسـتنتج المتأمـل من حريـة حزب البعث بعـد هـذا الواقـع المـرّ. لقـد قـال اللـه تعالى في كتابه الكريم {وقـل للمؤمنـاتِ يغضضـن من ابصارهنَّ ويحفظن فروجهنَّ ولا يبدين زينتهنَّ الا ما ظهرمنها}.

 وتقول حرية البعث ان الحجاب من سـمات التخلف والرجعية.

وقال تعالى{ الرجال قوامون على النساء }.

ويقول البعث عكس ذلك.

ويقول الله تعالى{ انما الخمر والميسـر والانصـاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه}.

 ويقــول البعث للنــاس ان اعملوهــا بحريــة وامان.

وقـال تعـالى { ومن يعظم شـعائر اللـه فانهـا من تقوى القلوب }.

 وحريـة البعث تقـول بغلـق المسـاجد وقتـل العلمـاء ومحـو الشـعائر واباحـة المحرمـات، فلـو أحصيت حانات الخمر في مدينة بغداد لرأيتهـا اكـثر من مساجدها.

وقال تعالى { لا اكراه في الدين }.

ويقول البعث (من لا يدخل خيمة البعث ليس لـه حـق الحيـاة) وعلى لسـان كبـار مسـؤليه. ومن

جملـة حريـات البعث حريـة الفكـر والـرأي وفي تطـبيقهم لشـعارهم هـذا لا ينبغي لمفكـر لا يخضـع فكره لخـزعبلات البعث ان يبقى على قيـد الحيـاة، والعشـرات من خيـار المفكـرين والعلمـاء ممن اعـدمهم الحـزب بسـبب تعبـيرهم عن آرائهم خـير دليل على ما نقول.

فأية حريـة هـذه الـتي يعلن عنهـا البعث؟ أبعـد الذي رأيناه نصدق نـوح ضـمير مفكـري البعث على اضـطهاد الشـعب العـربي المسـلم؟ ام نقـول ان الحرية ثغـرة فتحت في سـاتر المسـلمين للهجـوم على الاسـلام في عقـر داره؟ والحـق ان الهـدف الغير المعلن من طبل الحرية هو هـذا الاخـير ولقـد اثبت الحزب ذلك عملياً.

ان هذين الهدفين اعـني الوحـدة والحريـة همـا من اهم الامور التي يحتاج اليها المسلمون والعـرب في الواقع ولأنهما مورد الحاجة فقد استغلت بخباثة لتكتيف العرب واسرهم بهـا وهم لا يشـعرون ولـولا فضـل اللـه على المسـلمين بهتـك اسـتار العملاء المجرمين لكان الويل في انتظارهم.

 واما الغرض من الاشتراكية:

فهي المصيدة الواقعية التي اعتمد عليها العـدو في تحقيق غرضه، فلا ينبغي ان تكون الامـوال بيـد

النـاس بـل على النـاس ان يعيشـوا سواسـية على قـوت البطن لا غـير والفـائض يجب ان يـوهب الى بيت مال المستعمرين ليتصرفوا فيها كما يشـاؤون، فليس لاحد من العراقيين ان يملك اكـثر من نفقتـه باســتثناء رمــوز البعث العملاء، فلهم اجــرهم من الاموال والعقارات، ولا بأس لعضـو القيـادة مثلاً أن يملــك ربــع العــراق مقابــل خــدمتهم الخالصة، فلا يذهب ما يستملكه البعثي سدىً، لان العبد ومـا في يده لمولاه نعم، لا يحق للعراقي الحر امتلاك الزائد عن قوتـــه الضـــروري، وقـــانون الاشـــتراكية في المرصاد لمن تسول له نفسه تخطي حدودها.

لقد اقتنصت الاشتراكية من العـراق وحـدها مـا تمكن بـه الاسـياد من شـراء مواقـف دول عديـدة لصالح عملائهم، وكذا شراء ذمم عربية في منـاطق من الوطن العربي لتكون جراثيم الوبـاء في امـاكن تواجـدها لنشـر المـرض بين العـرب، كمـا اسـتفاد الاستعمار من بيت ماله في العراق لضـرب الثـورة الاسلامية في ايران، فماذا يجـني الاعـداء اكـثر من هـذا، ولئن تمكنـوا من مـدّ سـماط الاشـتراكية الى خزائن العرب ـ وهذا هو هدفهم ـ فقـد اوتـوا خـيراً كثيرا وحصدوا ما لم يحصده احـد قبلهم، فمـا احلى الاشتراكية اذن للاستعمار

وما امرّه على الشعوب.

هـذه هي الاهـداف الواقعيـة وراء تهـريج البعث بهــذه الشــعارات، ولم تكن حصــيلة المكتســبات الماديـة والمعنويـة عـبر عمـر البعث غـير تخسـير بالنسبة الى هذه الشريحة من العـرب والـتي ابتلت بتجربـة البعث. وبـات المتعامـل مـع هـذا النظـام ـ سـواء من المنتمين الى صـفوفه أو غـيرهم ــ على يقين بمخـاطر النتـائج المتوخـاة من مسـيرة البعث بعــد تشــخيص الايــادي الــتي تقــف وراء الحــزب. والجميـع باسـتثناء الرمـوز يتطلـع الى يـوم الخلاص من بلاء نزل بساحتهم بسبب جهلهم.

الغاية تبرر الوسيلة

تتفـاوت انظمـة الحكم في طـرق تعاملهـا مـع الشعوب، فمنها من استطاعت تطـبيع شـعبها على منهج حياتي خاص لا يتعارض مع الاسس الـتي بـني عليها نظام الحكم، باستخدام طريقة الترويض التي تسـوق الشـعب صـوب الخضـوع الطـوعي لبنـود قوانينهـا المجعولـة اساسـاً لتحقيـق اهـداف خاصـة بمذهب النظام، فلا يلاقي مثل هذا النظـام متـاعب كبيرة اثناء تحميل مراده على الشـعب، وبالتـالي لا نجد القهر في حدود تلـك الانظمـة بالاسـاليب الـتي نعرفهـا وواقـع الحـال في مثـل هـذه المجتمعـات ـ خارج حدود تعريفهم الموسوم بالتمـدن ــ هـو انهم

سـيطروا على شـعوبهم بطريقـة سـجن العقـول ضمن خطة ترويضية شأن الحيوانات المعلمة، وهي جريمة في حق البشـرية اضـافة الى كونهـا صـياغة دنيئـة اثبتت ضـحالة المسـتوى العقلي والحضـاري لتلك المجتمعـات. وهـذه الحكومـات الـتي روضـت النـــاس على تلقي مطاليبهـــا استســـلاماً ودون اعـتراض تكـون غالبـا غنيـة عن اسـتخدام القـوة والعنف في تطبيق اوامرها.

ومنها من لم يحالفها الحظ في ترويض الشعب الدرجـة المطلوبة، وانمـا نـالت نصـيباً محـدوداً من النجـاح، فـترى نهج هـذا النظـام مثقفـاً لينـاً تـارة ووحشي المطلع تارة اخرى.

ومنها التي حُمّلت على الشعوب فهي غير نابعة من أصـل ولا هي محـدودة المعـالم، بـل مصـائد سـميت بأنظمـة فرضـت على الـدول مغلفـة بشـعارات يرددهـا بعض العمـال وقـد كشـفت الشعوب زيفها بعد فوات الاوان، فرفضت الانصـياع الطـوعي لأوامـر حكامها. وهـذه هي الحكومـات المستبدة التي تتفـاوت اخلاقياتهـا بتفـاوت افرادهـا فمنهـا الحمـل الوديـع ومنهـا الثعلب المـاكر ومنهـا الوحش الكاسر.

وحـزب البعث الحـاكم في العـراق من اخس هـذه الاقسـام والطريقـة الـتي اتبعهـا في تحميـل

فكرته الدخيلة خير شاهد، اذ حمّلت حكومتها على الشعب قسراً في ليلة ظلماء، وتبين بعد كشف الغطاء زيف الشعارات وخبث النوايا وارتد الناس على اعقابهم بحثاً عن مخرج، ولما اصطدم رؤوس الحاكمين بصخرة الواقع، ولما تحسس العملاء تلكأ المحكومين في تنفيذ الاوامر، نزعوا بُرد الزيف، وبرزوا بجلباب الحقيقة فإذا هم كلاب مسعورة، تريد اجتثاث جذور الخير وتبيح من اجل ذلك كل مكروه، فقتل النفوس وهتك الحرمات ونهب الاموال كلها وسائل منطقية في نظرهم، ولابد للشعب من ان يدين بدين البعث ولو بحد السيف والويل لمن يقول لا للبعث.

هكذا امتشق جند الرذيلة سيف البطش، وزرعت الرعب في القلوب وانهارت من قساوتها النفوس، فزلت اقدام خوفاً وسلكت اقدام طريق الخنا هرباً من العذاب، وبدأت امراض اهل الدنيا تترسخ في ارجاء العراق من رواج الفجور، وعلقت ارواح المذبذبين بجيد العاريات ورنين الدراهم حتى اعتاد كل على شاكلته، الفاسق طبيعة وجرأة والمؤمن خوفاً وضعفاً، وبلغت قلوب المؤمنين الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديدا ونزل حديث ـ القابض على دينه ـ على ارض الواقع، وما كان كل ذلك الا بسبب اباحة البعث لكل وسيلة مهما بلغت دناءة

وخسة من اجل التحكم في رقاب الناس خدمة للاجانب، فالحزب دخيل على العراق ومبدؤه مخالف تماماً لمبدأ الشعب العراقي المسلم، وقد بذل هذا الحزب جهده في قتل اخلاق شعب العراق ودينه ليحل محله اخلاق البعث باجبار الناس على سلوك منهجه. ولأجل ان نلقي الضوء على جانب آخر من النظرية البعثية لابد ان نشير الى السبل والوسائل التي استخدمها النظام في تعامله مع الشعب العراقي الذي رفض البعث بعد اتّضاح الامور، وهي بمجموعها تدل على البطش والارهاب واللامسؤلية فمنها:

1ـ اختيار ايادي البطش من اوباش الناس لتنفيذ الجرائم موفراً لهذه الايادي القذرة مستلزمات العدوان من سلطان ودعم.

2ـ اباحة القتل على الظن والتهمة في معارضة النظام، اما غيلة أو في زنزانات التعذيب.

3ـ إكراه الشعب على ترك القيم الاصيلة السائدة تحت شعار بعث الامة وسوقها نحو المدنية والتقدم بهدف مسخ الاخلاق الاسلامية.

4ـ سن قوانين خاصة في اطار فكر الحزب في مجالات الاقتصاد والتعليم والعلاقات الاجتماعية وغيرها اوكل تطبيقها الى مجلس حكومة لا دخل لاحد من الشعب في تعيين فرد من

افراده.

5ـ بناء قوة نظامية رهيبة واستخدامها في اذلال الناس واجتثاث كل معارض اجترأ على الحزب بقول أو فعل.

6ـ استخدام اخبث السبل الاستخبارية والرقابية في متابعة الناس ومراقبة كل
صغيرة وكبيرة تصدر منهم حتى بات المرء يخاف ظله تحت راية الحزب والثورة.

7ـ جعل دوائر الدولة مراكز قمع وموظفي الدوائر رجال شرطة فلا تمييز بين دائرة مدنية أو عسكرية أو أمنية، كما لا تمييز بين الافراد، فالجميع يرتدي الزي الزيتوني البعثي والكل يحمل السلاح والحديث في اروقة الادارات جميعها عن الثورة ومنجزاتها وعن المخالف والموالف. وقد لا تميز دائرة عن اخرى اذ لا تجد اية لافتة في واجهة الدوائر تشير الى عنوان بل كلما مررت على مبنى من مؤسسات الدولة تتطلع على الشعارات التي غطت واجهة المبنى (وحدة حرية اشتراكية)، (امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وهذا غيض من فيض في تعامل البعث مع قضيته وشعبه. واما وسائل تعذيبه التي ثبت استخدامها بالقطع واليقين في سجونه ضد المعارضين المعتقلين فحدث عنها ولا حرج

واليك نماذج منها:

اما القتـل فللبعثـيين طـرق متعـددة ايسـرها الـرمي بالرصـاص والتعليـق على أعـواد المشـانق وأعسـرها الـذوبان في حـامض الكبريتيـك والـثرم والتمثيل. واما التعذيب فسأقتصر على ذكر الطرق الـتي وجـدت آثارهـا على اجسـاد الكثـيرين من الصابرين على ضرّاء البعث فمنها:

1ـ حرق الجسم بالمكواة واطفاء اعقـاب السـكائر في العيون.

2ــ الصـعق الكهربـائي في اجـزاء حساسـة من الجسم كالاذن والخصيتين.

3ـ ربط الايـدي من الخلـف ثم تعليـق الشـخص من ذلك الرباط في السقف ولمدة طويلة.

4ـ القاء المتهم حافياً في غرفة صغيرة ارضيتها من الابر الحادة الطويلة.

5ـ نفخ البطن عن طريق الشرج بمنفاخ هوائي حـد الانفجار.

6ــ اجلاس المتهم على قنينـة غليظـة بعـد خلـع ملابسه الداخلية.

7ــ اسـتغلال اعـراض النـاس في انـتزاع الاعـتراف بجلب زوجة المتهم أو اخته أو بنته وتعريتها كـاملاً امامـه والوعيـد بانتهـاك حرمتهـا ان لم يعـترف بالتهمة الموجهـة اليـه وعشـرات الطـرق الدنيئـة

الاخـــرى في انتظـــار من القى البعـــثيون القبض عليه. وهذه امور عادية في سجون البعث، وبــات كل عراقي يعرف مـاذا يعـني الوقـوع في قبضـة البعث. ومن اجـل ذلـك يحـاولون اتقـاء شـر هـذا البلاء بالتظـاهر بـالولاء والتصـفيق والـرقص مـع الراقصين وفي غـير هـذه الصـورة يعـد العـراقي عـــدواً للبعث والـــذي ذكرنـــاه من التعـــذيب في انتظاره.

ان الذي ذكرته هو قليل من كثير اردت الاشارة بها الى الوسائل التي يبررها البعث من اجـل غايتـه الخبيثة وليطلع عليها من لا يعرف هذا الحـزب حـق معرفتـه وليتـبين مبلـغ البلاء الـذي اصـاب العـراق والعراقيين الذين اخذوا على حين غـرة ووقعـوا في شراك الكفر فذاقوا وبال جهلهم واهمـالهم وهـاهم يصـــرخون فلا مســـمع ويســـتغيثون ولا من مغيث. وهذا بعينه جـرم آخر، تـرى لمـاذا التسـتر العـالمي على هذه الجرائم وهي منتشـرة في ارجـاء العـالم في عصـــر عـــدّوه أرقى العصـــور ثقافـــةً واكملهـــا مدنيةً؟! هل ذلك فلتة غير مقصودة ام هو رمـز من رمـوز المدنيـة الحديثـة الـتي لعنت شـريعة الغـاب بلسان النفاق.

التغاضي العالمي
عن الجرائم التي ترتكب في العالم

كان الناس ايام الاستعمار القـديم يـدركون مـع تفاوت اسباب سقم المواقف ازاء الاحداث العالمية وما يجري في ساحات الدول الضـعيفه، فهم يـرون بوضـــوح التـــدخل الاجنـــبي في بلادهم وعمالـــة السلطات الحاكمة ويلمسون آثار همجية المتسـلط الـــذي تمكن منهم بســبب ضـعفهم، فاستسـلموا للأقدار وتأملوا طيلة فترة تحملهم للأذى الفرج دون جدوى، ذلـك لأن المصـالح الماديـة والسياسـية هي الـتي كـانت تتحكم في ضـمائر حكومـات الـدول القوية الحاكمة فلا تجد للأنسانية والعدالة معنى في قـاموس السياسة، فـالمهم تحقيـق المصـالح ولا يضير بعد ذلك تدمير اقتصاد بلد أو قتل شعب. ولما كـانت القـوة هي اللغـة الوحيـدة في السياسـة العالمية آنذاك لم يكن للضعفاء نصـيب غـير تحمـل آلام العبودية والسكوت عمـا يجـري، ولا غرابـة في ذلك في ظل شريعة الغاب التي كانت سائدة، انمـا الغريب ان نرى في العصر الحاضر الموسوم بعصر التقـدم والثقافـة والمدنيـة والادعـاءات الطويلـة مأساة اعمق مما كـانت عليهـا في زمن الاسـتعمار القديم.

اننا نرى شعوب ما يسمونه بالعالم الثالث تئن من ثقل البلاء وجور القانون في عصرٍ تتحدث فيه الدول العظمى والدول المتقدمة عن العدالة واحقاق الحقوق وفي زمن ضاقت الارض بلجان حقوق الانسان ومحاكم عدل ومجالس مختلفة الاسماء والعناوين. عصر لم نجد فيه الا التظاهر بالانسانية والتمدن، ولم نسمع غير ادعاء السعي من اجل اسعاد البشر، وبازائه نرى العذاب المحدق بالانسانية في ارجاء العالم وعلى ايدي مدعي الاصلاح انفسهم. ومع قليل من التأمل يدرك العاقل سر اللعبة في هذه الظاهرة فبمجرد رفع الستائر عن مسرح العالم الكبير تتجلى فصول المسرحية في اوضح صورها وهنا يضحك من يضحك لمشهد ويبكي من يبكي لآخر وعندها يزول العجب.

ان السكوت العالمي اعلاماً واجراءً عما يحدث ـ رغم كثرة المحافل المصطنعة لاحقاق الحقوق ـ لم يكن عبثاً ولا غير مقصود، فان جذور تلك الخبائث من صنع القوى المسيطرة على العالم فلا يمكن ان تكشف الغطاء عن امور تفضح امرها أو تعلن عن اسرار تسعى هي في كتمانها بل ولا تسمح لاحد مهما كان التفوه بحقيقة ما يدور خلف الكواليس، وبات هذا الحظر قانوناً عاماً في العالم،

والمخالف الذي تجرأ بفضح بعض الحقـائق وتحـدى بالصراخ في وجه الطغاة يرى مجلس الامن والامم المتحدة ولجنة حقوق الانسان والاعلام العالمي كل اولئك في انتظار ادانته ويصدر الحكم فوراً في حقه على انه ارهابي خطير ينبغي تشـكيل تحـالف دولي ضدّه وتبقى الاحكام تترى معلنة حرباً لا هوادة فيهـا ولا نهاية الا بالاستسلام أو الموت.

هــذه هي ســنة الاســتعمار الحــديث ذلــك الاخطبوط الذي ابتلت به شعوب الارض في العصر الحــديث، ومن مفــردات هــذه القاعــدة مســألة العـراق، فلا غرابـة بعـد هـذا البيـان في السـكوت العـالمي عن الوحشـية والهمجيـة مـا دامت تجـري لمصلحة الاسياد

ان الذي كـان وراء خلـق حـزب البعث وفكرتـه الجهنميــة لغــرض الهيمنــة على خــيرات العــراق وشعبه، لا يهمه ما يلم بشعب العراق بقدر ما يهمه التســتر على ســر الحــزب وارتباطه، وكمــا ان الاستعمار القديم كان يهتم فقط بجنـوده ومصـالحه في الـدول المسـتعمرة دون شـعوب تلـك الـدول كذلك هو اليوم في زيه الجديد فالذي يهمـه رمـوزه الذين ينوبون عنـه والمصـالح الـتي يجنيها، ويحـاول بكل حوله المحافظـة على هـذا الوجـود النيـابي ولا يهمــه بعــد ذلــك مــا ينــال الشــعوب من عــذاب،

فالحفاظ على كتمان امر الاحـزاب والافـراد الـذين انتخبهم لتنفيذ المهام امر لا مفر منه، ابعـاداً لتهمـة الاستعمارية التي بـاتت وصـمة عيب تأباهـا المدنيـة المزعومة التي تروج لها في العصـر الحاضر!! لكن السارق سارق مهما تفنن في حرفتـه أو غالـط في طريقته. وتبقى العمليـة الاسـتعمارية مـرّة في كـل الاحــوال والظــروف ســواء بالتــدخل المباشــر أو بتوسط الايادي اذ لابد فيها من الظلم وفعل القــبيح مع الشعوب حيث تستلزم عملية التلصص الترهيب والتجويع وهما اذ بلغا حـدهما يتبعـان انين الشـعوب وضجيجها واذا كانت النتيجـة لامحالـة تلـك الصـورة فلا معــنى اذاً لإبــراز الــدور بــل لابــد من الانكــار والكتمان ليبعدوا انفسـهم عن سـهام التهم مكتفين في الظاهر بترويج الشـر الـذي سـلطوه في خفـاء على الشعوب ليظهروه بمظهر الحـق المـبين جهـد الامكان اغراءً للشعوب وتدليساً للعيوب.

إن الظلم في انحاء العالم لم يخفف من عذابه عن الشعوب حتى يومنا هذا بل

ربما تعدى حدوده على ما كان عليه سابقاً وقـد علت اصــوات الاســتغاثة من كــل مكــان تطــرق مسامع اهل الدنيا. وقد يحاول احياناً بعض اصــحاب الضمائر ممن لاحول له ولا قوة الاستجابة لصرخات المظلومين لكن اصحاب الحول من الدول يلزمـون

الصمت بل يحولون دون تقديم العون من اية جهة اخرى فلا ينظر مجلس من مجالسهم في شكوى امة ظلمت، ولا يتجرأ بوق اعلامي واحد نشرحقيقة من الحقائق التي تود الدول المستكبرة اخفاءها بسبب هيمنتها على العالم وتسخيرها الالسن والايدي لخدمتها فيجب ان تخفى معالم جرائمها وان عظمت.

نعم لقد سخرت الدول الاستكبارية طاقات العالم ولا تستخدمها إلا من اجل تحقيق مصالحها، واكثر من ذلك انها خرقت قوى مستقلة الظاهر في صورة مجالس دولية كمجلس الامن الدولي، ومجلس الامم المتحدة، ومنظمة الصليب ولجنة حقوق الانسان وغيرها، وما هي في الواقع الا اجزاء من مستعمراتها، فلا تدين هذه المجامع الاّ ما يدينه المستكبر، ولا تجرّد سيفاً الاّ لإعانة الذئاب في استرداد فرائسها من فم الثعالب، والعالم يرى بوضوح ان قرارات هذه المجالس تدور مدار منافع الظالمين، وان المظلوم لا نصيب له من تلك المنابر الضالة المضلة، فهي لا تنعقد الا بأمرٍ من اولئك فاذا جاء دور اختيار الرأي كانت كما قال الشاعر:

اذا قالت حذام صدقوها   فإن القول ما قالت حذام

لقد اثبتت المجالس العالميـة، ووسائل الاعلام، خضوعها المطلـق لارادة الاسـتكبار العـالمي، حـتى انه لم يبـق مجـال للشـك في كونهـا الجـزء المتمم للمخطـط الاسـتعماري للهيمنـة على العـالم، وقـد أوجـدوها للتغريـر واغـواء الشـعوب واعطـاء طـابع الشرعية للأعمـال اللامشـروعة الـتي ترتكبها، فهي في الواقع السلاح الأمضى بيد الشر العالمي.

إن نظـرة دقيقـة في قـوانين هـذه المجـالس ومواقفها من قضايا دوليـة سـابقاً ولاحقـاً، تكشـف النقـاب عن وجههـا الـواقعي المغطى بشـعارات الاستقلالية والانسانية والعدالة، فهـل ينتظـر شـعب العراق خـيراً من تلـك المجـالس بعـد الـذي يـراه؟ وهل يتوقع من تظلماته وقفة شريفة لا يراد مقابلها التـذلل والخضـوع ثمنـاً، وهـل ينتظـر من وسـائل الاعلام العالمية ـ سلاح المجـرمين ـ نقـل الحقـائق بأمانة؟ هيهات ذلك. ربما يسمع هنا وهنـاك كلمـات تشعر بتعاطف جهة خاصة مع قضية ولكن بدراسـة جوانب الموقف يتضح ان هذه الكلمـات لم تكن الاّ لمصـلحة أو طمـع في شـيء لا غـير، فمثلاً حينمـا تنتقد بعض وسائل الاعلام حزب البعث ـ عندما يبان الضـعف في معسـكر البعث البتـة ـ وتـبين جانبـاً صغيراً من جرائم البعث تراها من جانب آخر تـروج لاخ آخر للبعث ليكون البديل، فـاذا قـال الشـعب لا

لــذاك، قــالت تلــك الوســائل بلا تــردد لا للشــعب وانقطع الانتقاد والخطاب.

إن التجارة السياسية ما زالت قائمة على قــدم وساق، وسوق الاستغلال رائج اشد رواج، والتنافس على كسب المزيد مستمر، والكل يهتف بالمكاسب وان كـانت على حسـاب الاخـرين، فـان ذلـك جـائز ومباح في المنطق السياسي كما ان موالاة الاقوياء سـنة متوارثة، اذ ان القـوي يجب ان يحـترم لقوتـه وان ارتكب اقبح جناية، فلتهدد امريكا مثلاً من تشاء فهي على حــق لانهــا القــوة العظمى وانهــا تريــد الحفاظ على النظام واقـرار الامن في الارض فـأي بأس في سحق جند امريكا شعب بنما بسبب رفض الرئيس البنمي الجديد الخضـوع لأمريكـا وأي خلاف في القاء شرطة واشـنطن القبض على رئيس بنمـا الــرافض باتهــام التجــارة بالمخــدرات ونقلــه الى واشنطن للمحاكمة!!! فما اقبح هذا المنطق، ولقـد علم الصـغير والكبـير ان المليـارات المكدسـة في صــناديق رجــال المــال والسياســة الامريكيــة قــد جمعت من تجارة المخـدرات أو ممـا هـو اخس من المخـدرات، فلمـاذا حـلّ ذلـك عليهم ولا يحـل على رئيس بنما؟

لقــد جنــدت امريكــا معهــا الغــرب المتملــق المتخلف التابع بل العبد، لتذليل العرب بحجـة خطـأ

يرتكبه عميل لهم اسمه صدام ـ ولا ريب لعاقل في ان ما ارتكبه هذا العميل لم يكن الاّ بأمر من امريكا نفسها ـ ليقود جيشاً جراراً تحت شعار انقاذ الكويت ليسحق به شعب العراق دون ان يمس صداماً واعوانه وعشيرته بسوء. ولا ادري ما الفرق بين استعمار صدام للكويت وبين استعمار امريكا لها اذا كانت هيمنة دولة على دولة اخرى جريمة، وهل اصبحت الكويت بعد عاصفة الصحراء حرّة كما يزعمون؟ لقد سكتت المحافل الدولية عن فلسطين وشعبها منذ اغتصابها من قبل امريكا، واستحقرت مسألة تشرد الشعب الفلسطيني الى يومنا هذا في حين ذرفت دموع التماسيح على سيادة شعب الكويت، واقامت الدنيا ولم تقعدها من اجل استردادها الى أهلها. وهذه مسألة اخرى تكشف النقاب عن دجل السياسة العالمية.

ومسألة اخرى هي مسألة الجمهورية الاسلامية الايرانية فلقد عشت فيها فترة ورأيت من الحرية في هذا البلد ما أخشى عليهم منها ومع ذلك نسمع ابواق الاستعمار تبكي على ضياع الحرية في ايران. والعقل يشهد على انها لاتبكي الحرية ابدا لان الدول المثقفة المتمدنة القوية اثبتت للعالم في البقاع التي دنست بأقدام مرتزقتها انها لا تؤمن بالحرية وانها لا تعرف سوى نفسها وعملائها،

وبكاؤهـا على الحريـة الضـائعة في ايـران انمـا هـو على المشردين من العملاء، وهم بذلك يريدون بناء ارضيّة للتآمر باسم الحرية من اجل ارجــاع عملائهم الى الحكم، وعلى هذا اما ان ترضخ ايـران لمطالبهـا الدنيئـة وامـا ان تبقى ابـواق العدالـة العالميـة تلعن ايران حـتى وان كـانت الحريـة بكـل معناهـا مطبقـة فيها.

هذه امثلة بسيطة من آلاف الامثلة التي ترشد المـرء الى حقـائق الاحـداث، فاللعبـة مكشـوفة ولا عجب من التغاضي العالمي عن جلّ الجـرائم الـتي ترتكب في أرجاء الارض، فالأقويـاء هم المجرمـون والاقمـار الـدائرة في افلاكهـا شـركاء في الجريمـة وسبب مشاركتها اما الخـوف من القـوي أو الطمـع في الحصول على بقايا من اشلاء الفرائس واخــيراً اذكر شاهداً جديداً على تواطئ الدول على الجرائم والتدخل السافر في شؤون الشعوب بـل وسـحقها من اجل تحقيق مصالحها.

الكــل يعلم ان العــراق بلــد يضــم مــذاهب وقوميـات مختلفـة وغـير خفي ايضـاً اضـطهاد هـذا الشعب من قبل زمـرة حـزب البعث، والمـتيقن ان الاكـراد في شـمال العـراق والشـيعة في الوسـط والجنوب هم اكثر مظلومية من بقية فئات الشعب، ولقـد تعرضـت الفئتـان لالـوان العـذاب فـترة حكم

البعث، وكـان القسـم الاكـبر من حملات البطش والابـادة الجماعيـة من نصـيب الاكـراد بـادئ الامـر وبمرئى ومسمع من العالم المثقف في عصر الذرّة ومع ذلك لم نسمع الاّ النزر اليسـير من الادانـة في قضـية الاكـراد ومن بعض الجهـات خاصـة ولم تكن اكثر من مقدار ارتباط بعض مصالحها بالقضية لامن اجـل الانسـانية، وامـا قتـل الشـيعة في الفـترة الموازية لمأساة الاكراد، فلن تسمع شـيئاً عنهـا في محافـل العـالم المتمـدن ولا في اذاعاتهـا وصـحفها بالمرّة.

وهكـذا ذبح صـدام بـأمر المـوكلين لـه شـعب العراق الى ما قبل عاصفة الصـحراء في حين لـزم العـالم الصـمت وكأنـه لم يحـدث شـيء ولم يُهـدر بسـيف الجلاد حقـوقٌ للبشـر ورأينـا كيـف كـان اسـتقبال الـرؤوس العفنـة الـتي تتمشـدق بـالقوة والغلبة لهذا السفاك الاثيم محتضـنة ايـاه في بغـداد تارة وفي دولها اخرى كما رأينا وفاءها بتعهداتها في حمايته حيث انهالت على العراق سيل المسـاعدات العسكرية والمستشارين لتدريب ازلام صـدام على ارقى آلات الدمار من البندقيـة الى القنبلـة النوويـة والتسـتر على جرائمـه بـل والدعايـة لـه على انـه البطل القومي بلا منازع.

واستمر هذا الموقف المشين من تلـك الـدول

الى ان جــاء دور مســرحية حــرب الخليج، عنــدها تغــيرت المواقــف فجــأة وبــدأ أصــدقاء الامس انسحابهم التكـتيكي في جبهـات الـدعم الاقتصـادي والاعلامي والتسـليحي، واسـتمر الانسـحاب صـوب خطوط المواجهة حتى شكلت ــ بحسـب الظـاهر ـ جبهة مضادة بل ودقت طبول الحرب حتى افتعلتهـا واثارت عجاجها واحترق بنارهـا العـراقي الـبرئ في حين ســلم صــدام حســين وحزبــه من شــررها ومـازالت امريكـا واقمارهـا تصـول وتجـول وسـط نقعهــا المثــار ولا احــد يعلم الى الآن على وجــه الحقيقة ماذا جرى ولماذا وماهي النتائج.

وليس هذا الذي اردنا تقديمه هوالشـاهد، انمـا الشـاهد في الفصـول الـتي تلت عاصـفة الصـحراء حيث هب الاكراد والشيعة في انتفاضة لا مثيـل لهـا ضـد الحـزب الحـاكم، فمـاذا كـان موقـف العـالم ووسـائل اعلامـه من تلـك المسـألة؟ حيث تكبـدت شيعة العراق من القتلى على يد جند صدام حسـين ضعف مـا تكبـده الجيش العـراقي من اصـابات في حــرب عاصـفة الصـحراء على يـد جيش التحـالف، وتحملت من الخســائرالماديّة مــالا تقــل عن كــل خسائر العراق خلال الحرب، ولم تخل مدن العراق من الســكان خلال حــرب الخليج بينمــا خلت اكــثر المحافظـات في حــرب صـدام من جــراء القصـف

المـــدفعي الكـــثيف، ولم تتعـــرض المقدســـات في العـــراق لاهانـــة متعمـــدة من قبـــل جيش التحـــالف الكـــافر بينمـــا اهينت مقدســـات الشـــيعة بالهـــدم والتخـريب المتعمـد في حملـة صـدام، ولم اسـمع فـترة حـرب الخليج بهتـك عـرض من قبـل قـوات التحـالف في حين هتـك جنـد صـدام الاعـراض في مـدن كثـيرة من مـدن الشـيعة. ومـع ذلـك مـرّت الاذاعـات والصـحف والمحافـل على القضـية مـرّ الكـرام بكلمـات لا تتعـدى ذكـر الانتفاضـة الشـعبية ومحاولة صدام قمعها، في الوقت الذي رأينا تجنيـد كـل وسـائل الدعايـة العالميـة لحـرب الخليج وكـأن الانسانية التي كانت تسحق بمـرأى المتحـالفين في العراق هي غير الانسانية التي نالهـا صـدام حسـين بسـوء في الكـويت لتسـتدعي هـذه الاخـيرة حربـاً عالميـــة بكـــل معناهـــا دون ان تســـتحق الانســـانية العراقية ذكرا...

وهذا هو الدرس البليـغ في نتـائج حـرب الخليج والقرارات التي اتخذت ضد صـدام فانـه لمـا انتهت الحرب واستتب الامـر لصـدام بعـد قمـع الانتفاضـة اقتصرت قـرارات مجلس الامن الـدولي على بعض الشروط التي تخضع صداماً بشكل اكـبر لاوامـرهم كالحد من قدرة العـراق العسـكرية ودفـع غرامـات للجهات المتضررة وتدمير اسـلحة الـدمار الشـامل

التي اهدتها نفس دول التحالف الى العراق ابان الحرب العراقية الايرانية واخيراً تحديد منطقة امنية للاكراد في شمال العراق ومنع القوات الحكومية تجاوزحدودها صوب الاكراد وتكفلت الامم المتحدة تطبيق هذا البند بشكل خاص في حين تنصلت عن مسؤلية خط العرض الجنوبي الذي فرض لحماية بعض الشيعة في الجنوب.

ولعمري فقد بات هذا الخط نسياً منسيا حتى ان صداما جال فيما وراء هذا الخط وصال فقتل واحرق واباد بمرأى من التحالف حتى وصل جيش صدام حسين مرّة اخرى الى حدود الكويت بعد اكثر من سنتين ولم تحرك امريكا ولا مجلسها المسمى بمجلس الامن ساكناً سوى ارسال بعض الطائرات لالتقاط الصور فقط، فالمهم حدود الكويت اما حرية الشعوب والانسانية المعذبة فلا شأن للمحافل الدولية بها، اما الملايين المشردة من الشيعة والبيوت المحروقة والاموال المنهوبة والارواح المزهوقة والكرامات المسلوبة فلا دخل لاحد فيها....

فماذا يعني هذا في نظر حقوق الانسان؟ وماذا تقول امريكا والغرب فيما جرى على شيعة العراق؟ احقاً لم يحيطوا علماً بما فعله صدام ـ وكيلهم الرسمي في العراق ـ أم الحق ان ما جرى

على شيعة العراق كان بـأمر منهم وبهـدف ابـادتهم لكي لا تقــوم لهم قائمــة في العــراق بعــد اليــوم لضمان امن وسلامة عميلهم فانه اذا ابيدت الشيعة لا يخاف على صدام حسين من ثورة شبيهة بالثورة الاسلامية في ايران... ففي اي عـالم نعيش، وعلى من يمرر زيف الشعارات الجوفاء التي تصك الآذان من ابـواقهم المختلفة؟ لتلجم افـواه العبيـد وليقض اجــراء الــدولار مــا هم قاضــوه، فســاعة صــحوة الشعوب آتية لا ريب فيهـا حينهـا لا تنفـع الظـالمين معذرتهم ولهم سوء الدار.

وبعد هذا السرد السريع للاوضـاع الـتي سـبقت أو قارنت ظهور حـزب البعث في العـراق، وكشـف الملابسات التي احاطت ثورة 17 ـ 30 تموز ودور الاستعمار في الساحة والاشارة الموجزة الى حزب البعث ورمــوزه واهدافه، نــود الاشــارة هنــا الى المحصلة التي كانت نصـيب العـراق من آخـر لعبـة استعمارية لعب ادوارها رجـالات البعث الحـاكم في العراق عبر سني حكمه، فاضافة الى ما ذكرناه من ســلبيات نظــام الحكم من الارهــاب السياســي والتحطيم العلمي والاقتصــادي وتلــويث اصــول المجتمع العراقي فقد عانى الشعب في ظل البعث من عــدة حــروب داخليــة وخارجيــة انهكت قــواه وشلت معنوياته واوصلت به الى شفا هاوية لايؤمن

وقوعه فيها مع بقاء النظام واسـتمراره في الحكم.
نــذكرها بتفصــيل ليقــف القــاري على جــانب من حقيقة وضع الشعب العراقي المبتلى، فمنها:

1ـ الحرب البعثية الكردية.
2ـ الحرب البعثية الشيعية.
3ـ الحرب البعثية الايرانية أو قادسية صدام.
4ـ الحرب البعثية الكويتية أو أم المعارك.
5ـ الحرب البعثية ضد الشعب أو انتفاضة 1991 م.

الحرب البعثية الكردية

الكـورد شـريحة مهمـة من الشـعب العـراقي تقطن شمال العراق لها تقاليدها ولغتها الخاصة بها، عـانت من الاضـطهاد قـديماً وحـديثاً معانـاة يعجـز القلم عن بيانها، فلقـــد ابتلت هـــذه الامـــة ببلاءين سياسيين عظيمين عبر تاريخها اذاقاها مُرَّ العـذاب، وهما:

ـــ **الاول**: اســتغلالهم من قبــل الــدول والفئــات السياســية الخارجية: بســبب موقــع كوردســتان الجغـرافي وقـوة بـأس الكـورد وملائمـة تضـاريس مناطقهم لاستغلالها قاعدة ضـغط على الحكومـات العراقية من اجل انزالها عند رغباتها، وقد اسـتغلت المنطقة واهلها تـارة من قبـل الشـرق واخـرى من قبل الغرب وبأسلوب خبيث.

لقد اوحت تلك الجهات الى الكورد الذين بلغت قلــوبهم الحنــاجر بســبب ظلم الظــالمين والــذين تطلعوا الى النجاة من قيود المتسـلطين من حكـام العـــراق، اوحت اليهم ان التاييـــد والمســـاندة في انتظارهم لو البسوا فكرة التحرر ومطالبة الحقــوق ثــوب العمــل وتشــكيل تنظيمــات مســلحة وشــن الغــارات على المراكــز والمعســكرات الحكوميــة الموجودة في شمال العراق وتكررت هـذه الوعـود

مـرّات عديـدة ومن جهـات مختلفـة عـبر العقـود الاخيرة، وربما قدّمت مساعدات عسـكرية بسـيطة تحت هـذا العنـوان كحسـن نيـة من تلـك الاطـراف كـانت في الحقيقـة طعمـاً قـدموه لتغريـرهم في مواصلة العمل على امل اسـتمرار هـذه المسـاندة حتى بلوغ الاهداف، حتى اذا شدد الشعي الكـوردي ضغطهم على الدولـة وضـيّقت الارض على النظـام ورفعت الحكومة راية الاستسـلام ملوحـة بالرضـوخ واجتمع الطـرف الاجنـبي مـع وفـد الدولـة وعقـدوا صفقتهم انقطع المـدد والاسـناد عن الاكـراد وذهب الـذي اغـرى بهم جانبـاً وكأنـه لم يكن هـو المـورط لهم، وعنـدها تنتهـز الحكومـة الفرصـة للصـولة من جديد فتكر دون رحمة لتهلك الحرث والنسل، وهـذا بلاء تكرر مع الشعب الكوردي لمرّات عديدة.

الثاني: التفرقة والانقسام:

ان العقـل يحتم على امـة تريـد تحقيـق هـدفها وحدة كلمتها، امـا ان تريـد هـدفاً وهي مصـرة على الانقسام على نفسها وتكتلها في زمر شـتى فـذاك مـا لا يؤيـده منطـق سـليم، فلا بلاء ولا ضـعف ولا ضــياع الاّ في التشــتت واختلاف الكلمة. والقضــية الكوردية من هذا البعد لا تختلف عن قضـية العـراق الكبرى وشعبه المشتت، فكأن الاقـدار شـاءت لهم ذلك. فالكورد شأن الاقليات المظلومـة في العـالم صـبروا على الظيم دهـراً، فلمـا بلـغ السـيف فيهم حده انتفضوا اعتراضاً وبدأوا بـالكلام قبـل الحسـام فصـرخوا في وجـه الباطـل وعلت منهم الاصـوات، فكــان الجــواب من الطغــاة الحــاكمين الرصــاص والاعتقالات وبات الامر على هذا المنوال حتى ظنوا ان لا مفـر من القتـال ــ ولا يخفى ان اصـل التنفـر والانزجار الذي زُرِع في نفوسهم كـان بسـبب عـدم مراعـاة الحكـام لحقـوقهم كجـزء من الشـعب وان بــذور المعارضــة كــانت شــعبية خالصــة ولكن المستغلين انتهزوا هـذه الفرصـة فخلقـوا لانفسـهم موضـع قـدم في سـاحة القضـية الكرديـة وعاشـوا متسترين خلف بعض الوجوه وقد غيبوا لحن القـول في ضجيج الهتاف بالشعارات التي دوّت من حناجر الشـعب الكــردي ومزجــوا ســم سياســاتهم بعين

البراءة كما سنوضح ذلك لاحقاً ــ ولكن كيف يتم لهم ذلك وهم مجردون من السلاح وعدوهم اكثر قوة واشد بأساً؟.

لم يحل طغيان العدو بينهم وبين االتفكير الجاد في مسألتهم ولم يجد اليأس منفذاً الى قلوبهم، ورغم كل المخاوف والظروف الخطيرة المحيطة بهم عزموا على المواجهة والاصرار على رفض الظلم، وشكلوا أول نواة للمقاومة باعداد ما استطاعوا من قوة تحت لواء بعض زعمائهم المعروفين، ثم بدأت هذه القوة بالتوسع شيئاً فشيئاً بعد انتشارخبرها في اوساط الجماهير الكوردية، وجاهدوا ردحاً من الزمن فنصر في يوم وهزيمة في آخر وتقدم في جبهة واندحار في اخرى حتى شاعت اخبار النهضة الكوردية في الاوساط العالمية.

ولست ادري ماذا اقول في اسباب ضعفهم المشهود، أأقول انهم لم يتمكنوا من جمع كامل كلمتهم بسبب اهمالهم؟ أم أقول انه بسبب جهل ـ أو خيانة ــ بعضهم حدثت ثغرات في جبهتهم تلك الثغرات التي طالما دخل العدو منها لضربهم؟ أم اقول ان المستغلين اساؤا الاستفادة من صفاء قلوبهم وصدق نواياهم فمدوا ايديهم الخبيثة في اوساطهم بحثاً عن موضع قدم وكلف ذلك تقطيع

اوصالهم وتفرق كلمتهم؟ والاّ فلأي الاسباب نسند تعدد القضية الواحدة الى قضايا تشتت القوى حيث يأخذ كل طرف نصيبه منها ليعمل باستقلال؟ ولقد جرّ هذا البلاء وراءه الويلات اذ ما اصابهم مكروه بسبب شيء بقدر ما اصابهم بسبب هذا التفرق.

ان ما ذكرناه الى الآن عن الكورد وقضيتهم عبارة عن اشارة مختصرة تحاشينا فيها الخوض في تفاصيل مسائل القضية عبر تأريخها اردت سردها لتكون مقدمة توضح ارتباط هذا الفصل الذي نريد بيانه بالفصول السابقة للقصة، فلقد جاء بعث عفلق ليحكم العراق شأن الحكومات السابقة، وقد لعب جولة مع الشعب الكوردي فأردنا هنا بيان جانب من هذه الجولة، فماذا كان نصيب الكورد من هذا الحزب الوطني جداً؟

يظهر من تصرف حزب البعث مع الكورد عبر سنوات حكومة البعث انه كان منذ البداية عازماً على اجتثاث جذورهم والقضاء عليهم قضاءً تاماً، اذ انه ما استلم السلطة حتى عبأ كل ما استطاع من عدّة وعدد وهيأ كل مستلزمات حرب الإبادة عالمياً واعلامياً، فمواقف الدول الصديقة لحزب البعث قد توحدت، والمساعدات العسكرية السخية انحدرت كالسيل العرم، ودعوات للخدمة الالزامية والاحتياط باتت لا تنفك عن الاذاعة والتلفزيون،

ونادى الظالم يا خيل الشـيطان اركـبي وركـع بعض عبيد الدنيا من علمـاء بغـداد وبعض المـدن الأخـرى امام دنانير حزب البعث فشروا بآيات الله ثمناً قليلا وحرفوا الكلم عن مواضعه وحكمـوا بغـير مـا انـزل اللـه بفتـوى الجهـاد ضـد الشـعب الكـوردي لصـالح عفلق وشبلي ويوحنا، في حين رفض علماء الشيعة الانصياع لمطاليب البعث ولاقوا ما لاقـوه من جـراء الرفض ذاك من تنكيل على يد السلطات.

وهجم البعث على الكـورد في شـمال العـراق بوحشـية لا توصـف واصـدر اوامـره لجيشـه بقتـل الذكور وسبي النساء والاطفال ونهب الاموال وهتك الحرمـات كمـا فعـل فرعـون ببـني اسـرائيل بـل واكـثر!!! وأريقت في شـمال العـراق دمـاء لا يعلم مبلغهـا الاّ اللـه وكـان الهـدف منهـا الابـادة لا غـير، ولكن مشيئة الله حالت دون مـا يريـد البعث. ولقـد رأيت آثار الجريمـة بعيـني سـنة 1975 في القـرى المهدمـة والبسـاتين والمـزارع المحروقـة والجبـال السوداء اين ما توجهت في الشمال، فآثـار القنابـل والصـواريخ وشـظاياها في كـل شـبر.... ولكن هـل راى احد في العالم اجمع انسانياً واحداً من رؤسائها وملوكهـا ومجالسـها الدوليـة انكـر على هـذه الفئـة المتسلطة على رقاب الناس فعلتها الشنيعة هـذه؟ اللهم انا ما وجـدنا في ارضـك من اصـحاب الحـول

من نهى هـؤلاء الطـواغيت عن منكـر فعلـوه. اللهم ان لاكت جهة ما بين لحييها شيئاً فلم يتعدى الغــزل السياسي المعسول.

هذه سيئة واحدة من سيئات البعث المنظـورة، وهي القليل من كثير ويلات هذا الحـزب الـذي كـان نصيب جزء من شـعب العـراق وهم ملايين الكـورد الذين لا ذنب لهم سوى رفضهم الباطل ومطـالبتهم بعض الحقوق مثـل حـق الحيـاة والعيش باطمئنـان ضـمن تقاليـدهم وفي ارضـهم، في حين لم يسـلم بــاقي العراقــيين من نــار هــذه الحــرب ودخانها، فاضـافة الى مـا هـدر من امـوال طائلـة وطاقـات وسلاح فقد قتـل اكـثر من سـتين الـف من الجنـود العراقيين ـ كماصرح به صدام نفسه ـ الــذين زجّهم الحزب بالاكراه في هذه الحرب وهـؤلاء المسـاكين هم ابناء العراقيين من المحافظات الاخرى... فماذا قــدم حــزب البعث بحــرب الابــادة هــذه للعــراق والعراقيين؟ وماذا جنى من كل هذه الجرائم؟ وهل اضاف لبنة الى صرح التقدم المزعوم الــذي ينــادي به البعث أو قدّم خدمة للعروبة التي يتغنى بها؟

والمزري ان البعثيين بعـد اخفـاقهم في عمليـة الابادة يمنون على من تبقى من الكـورد وسـلم من سـيف الجلاد يمنـون عليهم فضـل الحـزب والثـورة ويقولـون ان منجـزات الثـورة ومكتسـبات الحـزب

احيت العراقيين بعد موت وبعثت فيهم روح الحياة، وبما انكم يـا اخواننـا الكـورد عراقيـون يجب عليكم الانتماء الى حزب البعث العـربي الاشـتراكي، ولئن اجاب بعض الاكراد استهزاءً ان حزب البعث عــربي بزعمكم فكيف ننتمي اليـه ونحن كـورد؟ قـالوا في جــوابهم ان خيمــة الحــزب واســعة فمــع تســميته بالعربي الاّ ان فكرته عالمية... ويا للمهزلة!!!

لا يفوتني ان اذكر اتفاقيـة الجزائـر عـام 1975 م الـتي منهـا انطلـق السـهم القاتـل نحـو الشـعب الكوردي المضطهد كدليل على ما ذكرناه من ابتلاء هذا الشعب بالسياسات العالمية، اذ انه بتوقيع تلـك الاتفاقية بين شاه ايـران وصـدام حسين، وقع اسوأ انهيـار في الحركـة الكورديـة عـبر تاريخهـا الطويـل لتبقى في ركودها فترة طويلة.

وفجأة غير الحزب استراتيجيته وموقفـه اواخـر السبعينات وقبيل الثورة الاسلامية

في ايــران. فبــدأ يتقــرب من الكــورد بتقــديم خــدمات في شــمال العــراق ودق طبــول الاخــوة العربيـة الكوردية، واسـتنفرت وسـائل اعلام البعث لهذا الغرض فظن الناس مرة اخرى بـالبعث خـيراً، فـان اقـاويلهم وافعـالهم تنبئ عن ذلك، وقـد خفي على الجميع ان هذا السخاء وهـذا الخضـوع لم يكن حباً بـالكورد ولا كرمـاً من اخلاق البعث، وانمـا كيـد

اخفــاه رمــوز البعث في صــدورهم فــانهم كــانوا يعلمون انهم مقبلون على حرب اشدّ ضراوة واكـثر عنفاً ضد الجمهورية الاسلامية الايرانية، فلقـد كلـف الاستعمار حزب البعث بزج العـراق في الحـرب، اذ لا يمكن ان تقف امريكـا وحلفاؤهـا مكتوفـة الايـدي ازاء مــا وقــع في ايــران، فتحررالشــعب الايــراني بالنسبة للاستعماركارثة كبرى، ولابـد من قمـع هـذا الشــعب والحيلولــة بينــه وبين مايريد، ولهـذا يجب افتعال حرب، وبسبب مقبول لدى الرأي العام، وما ايســر افتعــال اســباب صــراع بين ايــران وجارتهــا العراق ليكون المســتعمر بهـذه الذريعـة في خدمـة العراق.

ان مثـل هـذه الحـرب المتوقعـة تتطلب امـورا كثـيرة على رأسـها تحقيـق وحـدة كلمـة العراقـيين ومنهم الكــورد، فلابــد اذن من كســب ودهم فــترة الحرب على اقل تقدير بالتظاهر بحسن النية وطي صفحة الماضي والدعوة الى الاخاء، وصـرف مبـالغ في مشــاريع خدميــة في شــمال العــراق ليطمئن الكورد من حسن نية الحزب.

كما ان من الامور المطلوبة ايضاً تـأمين العـدد الكــافي من المقــاتلين لان ايــران دولــة كبــيرة وبامكانها حشد عـدد كبـير من الجنـد فلابـد للعـراق من تأمين العدد المطلـوب من المقـاتلين، والكـورد

فئة كبيرة ويمكن جرّ شبابها نحـو القتـال وبـالتقرب منهم يكـون هـذا الامـر ميسـورا، فـالعراق عـراق الجميع والخطر يهدد البلد بأسره فلابد لابناء العراق من عربه وكورده التطـوع للـدفاع عنه، ولقـد قالهـا صدام بلسانه (اللي ما يتطوع ما هو من شعبنا). ثم ان مثل هـذه الحـرب تتطلب امنـاً في الـداخل كي تحصر القيادة همهـا في جبهـات القتـال ولا يشـغله في الداخل شاغل ومع عدم كسب الاكـراد لا يمكن تحقيق مثل هذا الامن، إذ ربما استغل الكورد وضـع الحرب وشـرعوا في حركـة لم تكن في الحسـبان، يؤدي ذلك الى ارباك في جبهات حـرب لا مفرّمنهـا بعد ان اتخـذ الاسـياد قـرار الحـرب، فلابـد اذن من خضـوعٍ مفتعـلٍ، واشـادةٍ اعلاميـةٍ بـالكورد، وشـراء الذمم المريضة منهم زيـادة في الاحتيـاط لتضـمين الامن في منطقة كردستان بتشـكيل افـواج الـدفاع الوطني واغداق المال عليها بسخاء.

هذه هي الاسباب الخفية وراء سياسة اللين مع الاكراد منذ بدء الاضطرابات في ايـران اواخـر عهـد الشاه، وقد كانت العملية في ظاهرها مكسباً وطنياً لكنهـا كـانت في البـاطن كمـا اثبتت الايـام خديعـة تحاشـوا بهـا شـرَّ الاكـراد مـدة الحـرب من جهـة وايقاعهم في حفيرة الغدر بقتل ابناءهم في جبهات القتال من جهة اخرى. وخـير دليـل على كـون تلـك

السياسة من خدع البعث هو ما قـام بـه البعث بعـد انتهاء الحرب العراقية الايرانية مباشرة، فبعد اعلان ايران قبول وقـف اطلاق النـار امـر صـدام حسـين قواتـه بالتوجـه فـوراً الى شـمال العـراق لخـوض معركة ابادة جديدة سمّيت بخاتمة الانفال، ومن لم يسمع بخاتمة الانفال؟

لقد اراد البعث هذه المـرّة اكمـال رسـالته الـتي عجز عنها عـام 1975 م وذلـك بهجـوم كاسـح على كامل كردستان لتحقيق نفس الاهداف السابقة. وقد قرأت رسالة سـرّية للغايـة وعلى الفـور صـادرة من القيـادة العامـة الى كافـة وحـدات الجيش ـ اذ كنت حينهـا في خدمـة الاحتيـاط اعمـل في مكتب احـدى الوحـدات ـ تـأمر الرسـالة بقتـل الـذكور ممن بلـغ العاشرة فما فوقها ميدانياً، وأسر النساء والاطفـال، وهدم كل بناء قائم بما فيها المساجد ومسـاواتها مـع الارض، وحرق كافـة المـزارع والبسـاتين، ومصـادرة الممتلكات أو تدميرها.

كما رأيت التطبيق العملي لهـذه القـرارات خلال عمليـات الانفـال عـام 1988م في منـاظر بشـعة تقشعر منها الجلود، فقد كـانت النـيران تلتهم الحيـاة في الجبال والوديان، فما سلمت شجرة قائمـة على اصـولها من شـررها، ودخـان الجريمـة لبّـدت آفـاق السـماء، وفي الارض لا تسـمع الاّ عويـل النسـاء

والاطفال وهم يساقون قسراً الى شاحنات عسكرية لتنقلهم الى حيث لا يعلمـــون ورجـــالهم بين قتيـــل مضـــمخ وجـــريح يجـــود بنفســـه ولائـــذ بـــالكهوف والمغـــارات طلبـــاً للنجـــاة من غـــير اطمئنـــان في حصـــولها، لأن الجيش في كـــل مكـــان كـــالجراد المنتشر.

واليـك مشـهد مـروّع واحـد ممـا شـاهدت من قصص خاتمة الانفال المأسـاوية، وهي قصـة عائلـة مؤلفة من أب وأم وابنين وزوجة الابن الاكـبر الـذي لم يتجـاوز العشـرين من العمـر كـان جديـد العهـد بالزواج، القي القبض عليهم في حملـة المـداهمات لتفتيش القرى شرقي شيخان، ونقلـوهم الى مقـر الفوج، كان الخوف قد استولى عليهم تماماً بعـد ان احاط بهم كردوس من العسـكر المـدجج بالسـلاح، وبـأمر من ضـابط التوجيـه السياسـي اخـذ بعض الجنـود بجلابيب الاب والولـدين يجـرون بهم نحـو المصير المحتوم الى سمت الـوادي المشـؤوم ليتم اعـدامهم هنـاك، والام والزوجـة تنظـران وتعلمـان لماذا اخذ الجند الاب وابنيـه بعـد ان اخبرهمـا بعض الذين احتوشوهم بادئ الامر.

اما كيف اصف مشاعـــر اُم تفقـد ولـدين وزوج امـــام عينيها، أو مشاعـــر زوجـة لم تتهنـأ بزواجهـا وهي تـرى زوجهـا الشـاب بيـد ذئـاب لا تتـورع عن

نهشه فذاك الذي لم اجد سله عبارات تليق بالتعبير، فكيف اصف ما شاهدت من ثكل وجزع واضطراب بعد سماع اصوات رشقات البنادق من جهة الوادي... لست ادري... ثم يؤذن مؤذن خذوا النساء، ويسرع عدد من الجلاوزة نحو الاسيرتين وقادوهما صوب عجلة عسكرية واركبوهما مرغمتين وهما بين جرح فقد الأعزّة وروع ما ينتظرهن من جفاء العدو السافل. هذه كرامة واحدة من عشرات بل مئات الالوف من امثالها من كرامات حزب البعث العربي الاشتراكي المدّعي زوراً ما ليس فيه، وهكذا وبمثل هذه الاعمال الدنيئة يخدم حكام البعث شعب العراق فما أقبحهم وأقبح فعالهم؟.

الحرب البعثية الشيعية

تشكل الشيعة ما يقرب من ثلاثة ارباع سكان العراق وهم يتمركزون في وسط وجنوب العراق، ومع اكثريتهم لم نجد عبر التاريخ أي دور لهم في ادارة العراق، والسر في ذلك واضح، فقد علمت الشيعة ان الاستعمار يهوى غيرهم من الذين آثروا الحياة الدنيا، ولذا لم تجد ثمة حرص كبير منهم على نيل كرسي الحكومة، وليس هذا بالمهم انما الكلام في تعامل السلطات الحاكمة مع هذه

الطائفة، فهي على كثرتها الساحقة أقـلّ الطوائـف حقوقاً واثقلها حملاً بالواجبات مضافاً الى ما يرافـق ذلك من سوء ظن الحكام وما يعقب ذلك من رقابة حركاتهم وتحديـد فعاليـاتهم واغلاق ابـواب الخـروج بـوجههم، والتحـدث معهم بلغـة السـيف كلمـا دار حديث أو وقعت واقعة. ولسنا بصدد بيان تفصـيلات حياة الشيعة عبر العصـور هنا، وانمـا نريـد الاشـارة بايجاز الى ما عانته الشيعة من حكومة البعث اثباتـاً لمدعانا ان حزب البعث لم يأت لخدمة العراق.

تربع البعثيون على كرسي الحكم وجاؤا بـدينهم الجديد وهم يريدون اكراه كامـل الشـعب العـراقي على اعتناقـه والشـيعة من جملـة المـدعوّين. ومن المتيقن ان الحزب قد اتقن هـذه المـرّة خطتـه في مواجهة مسـألة المـذاهب اذ انـه على علم مسـبق بالاجواء المذهبية الحاكمـة في العـراق بعـد اتّعـاض الحزب من تجربة عام 1963، فكيف واجه الحـزب شيعة العراق وما هي نتائج المواجهة؟

لا نعني باختصاصنا الشـيعة بـالبحث ان الحـزب قد كنّ عـداءه لهـذا المـذهب فقـط دون المـذاهب الاسلامية الاخـرى، فـالبعث عـدوّ للـدين الاسـلامي بكل مذاهبه وقد احاطت ناره كل اهل الاسـلام، الاّ ان تعامله مـع الشـيعة كـان من طـراز خـاص فقـد اجتمعت علـل متعـددة في اختصاصـهم بمثـل تلـك

المعاملـة ولأنهـا المـذهب الاقـوى والرمـز الـديني البارز في العراق، فلو استطاع البعث القضاء عليـه سهل تركيع المذاهب الاخرى الاقل قـوة والاضـعف جنداً. ولذلك اتبع الحزب سبيل النفاق فأظهر الولاء لبعض المذاهب بل نسب نفسه اليها رافعـاً باسـمها راية الاسلام متحدثاً عن الايمان آناء الليل واطـراف النهار. ومن اراد الوقوف على نفاق البعث فليطـالع مقالة (عبد الله المؤمن صدام حسـين) المطبوعـة والموسومة بـ (خندق واحد لا خنـدقان) فـالحزب اذ يعلن علمانيته ويشرع عملياً في حرب مـع الاسـلام يأتي صدام فيقول: ـ نحن لسنا حياديين بين الايمان والكفر، نحن مع الايمـان ــ يقـول هـذا وهـو يطبـق عملياً توصية الحزب بقتل الايمان.

لقـد حـاول البعث في الصـولة الاولى اتّبـاع سياسة الدّس والنفاق مع الشيعة فهو يـدرك مـدى خطورة اعلان الحرب ضدهم، فقواعد الشيعة ثابتـة وحصـونهم منيعـة وجنـدهم كثـير وقيـادتهم رشـيدة مسموعة الكلمة فعليه لابد اولاً من ضعضعة بنيانهم ومن ثم الاجهـاز عليهم. والقيـادة الشـيعية متمثلـة في علمائهـا المتمركـزين في الحـوزات العلمية، ومعسـكرات تجمـع الشـيعة منتشـرة في ارجـاء العـراق فمسـاجدهم وحسـينياتهم في كـل مكـان، ومروجوا الشريعة من العلماء والخطبـاء لا ينفكـون

عن توجيـه الجمـاهير في كـل مناسـبة والشـعائر الحسينية قائمة على قدم وساق في مواكب مهيبـة تجذب اليها الصغير والكبير.

ووضع مثل هذا لا يناسبه استخدام القـوة مهمـا بلغت، وكانت الاحداث تشير آنـذاك الى صـراع في قيادة البعث حول كيفية التعامل مع هذه القضية، اذ حاول المتسرعون منهم التعامل بحزم منـذ البداية، ولـذلك اسـتهدفوا القيـادة الدينية، ومـا صـدر منهم تجاه زعيم الشيعة الفقيـد السـعيد آيـة اللـه السـيد محسـن الطباطبـائي الحكيم معـروف مشـهور، واقتحام الحسينيات ومصادرة آثاثها ومنـع المـواكب وتهديـد الخطبـاء وغيرهـا مـا زالت في الاذهـان، واسـتمروا كـذلك حـتى لمسـوا الآثـار السـلبية لتصـرفهم على الحـزب في الوسـط الجمـاهيري حينها توقفوا مؤقتـاً ليـدبِّروا مكـراً جديـداً، وبالفعـل ظهرت وجوه هنـا وهنـاك تعتـذر عن سـوء التعامـل وتعـد النـاس بخـير فـأطلقوا شـعار حرّيـة اقامـة الشـعائر بـل وشـاركوا النـاس مجالسـهم اظهـاراً لحسن النوايا وشارك الـرئيس احمـد حسـن البكـر في الخطة الجديدة بحضوره شخصياً بعض مجالس العزاء ايام محرم الحرام، وشوقوا الخطباء بتقـديم مساعدة مالية لكل خطيب كما ساهموا في وليمـة عاشوراء التي تقيمها الهيآت يوم عاشوراء.

كل هذا كان وجهاً واحداً من وجوه الخطة، واما الوجه الآخر فقد تمثل في مدّ يـد الغـدر الى مركـز القيـادة في النجـف الاشـرف والمراكـز الاخـرى بملاحقة النشـطين من العلمـاء العراقـيين وترحيـل العلماء غير العراقيين بهدف تخلية هذه المراكز من عناصر وجدوها قوة دعم للمذهب، واستنفر النظام وسائل اعلامه لتغطية هذه الجرائم بالسفسطة من جهـة وتصـعيد غوغـاء طبـول مشـاطرة النـاس شعائرهم بين الجماهير من جهة اخرى.

بهذه اللعبة نجح بعض الشيء في تحقيـق جـزء من اهدافه، فقد نـال بمـا فيـه الكفايـة من العلمـاء والحـوزات العلميـة وتم تسـفير الآلاف من رجـال الدين من غيرالعراقيين الى خارج العراق كما القي القبض على عدد كبير من العلماء العراقـيين. ولكن رغم محـاولتهم الجـادّة في الهـاء جبهـة النـاس بالمداراة الخادعة والتكتيم فـان النـاس قـد اعربـوا عن سـخطهم بعـد انتشـار خـبر الاعتقـالات والتسفيرات، فشعر النظام بخطورة موقف النـاس وتوقـف مـرّة اخـرى بشـكل مـؤقت عن الملاحقـة لتـدارك الوضع، اذ ربمـا يسـتغل المنـاوئون هـذه الظروف في تأليب الناس على النظام، وخير عمل ينبغي القيام بـه في المرحلـة الراهنـة هـو الاعتـذار عما حصـل وكسـب رضا ذوي النفـوذ من العلمـاء،

وهكذا ارسل الحزب وفـداّ على مسـتوىً عـال الى النجف الاشرف لزيارة العلماء ولتقـديم العـذر عمـا وقـع والقـاء لـوم ذلـك على جهـات لا مسـؤلة في الدولة وتبرئة ساحة قيادة الحزب والثـورة من تلـك الاعمال اللا انسانية ووعـدوا بـأن هـذا الامـر لا ولن يتكـرر مـرّة اخـرى، ولاثبـات حسـن النوايا وصـدق الحــزب التمســوا من بعض العلمــاء تقـديم دفـاتر اقامــة من تبقّى من غــير العراقــيين لتجديــد مــدة اقـامتهم كمـا وعـدوا بـاطلاق سـراح المسـجونين وتمديد تأجيل الخدمة العسكرية للمشمولين بها من طلاب العلـــوم الدينية، فلجمـــوا بـــذلك الافـــواه واطمأنت النفوس لقسم الشيطان، واحتـووا بـذلك زخم ضجيج الشعب.

ومــرّت الايــام على النــاس وهم في احلام اليقضة بانتظار وعد عرقـوب، في حين كـان البعث عازمـاً في سـرّه على تحقيـق هدفـه في النيـل من الشيعة وما أقصـر حبـل كـذب البعث، إذ مـا مـرت ايام الاّ وعاد البعث للصولة من جديد قاصداً النـاس هذه المرّة. واليـك خلاصـة المكـر الـذي مكـره في هذه المرحلة:

كــان من جملــة وعــود البعث منح الشــهادة الجنسية العراقية لغير العراقيين اصلاً والمتجنســين بالجنســية العراقيــة وهم كثــيرون يعــدون بمئـات

الالوف وفيهم من ولد جده وابوه في العراق وكلهم من الشـيعة. وطلبـوا من اولئـك تقـديم معـاملاتهم لكن الناس كانوا في شك من عاقبة الامر فامتنعت الاكثرية من الاقدام وما خطا نحو هذه المصـيدة الاّ عـدد قليل، فـانتهز الحـزب هـذه الفرصـة للتحايـل وتقـــديم الطعم للممتنعين فمنح هـــذه القلّـــة الشـــهادات المطلوبـــة في زمن قياسي، وانتشـــر الخـــبر بين النـــاس بوفـــاء الدولـــة بوعـــدها فهبّ المشـمولون بـالقرار الى إدارات الدولـة لتقـديم اسمائهم ومستمسـكاتهم، فضـبط النظـام عنـاوين الجميـع على ان ينتظـروا في بيـوتهم لحين تبليغهم بالحضور لاستلام الشهادات، وجـاء اليـوم الموعـود يوم تبليغ الناس بمراجعـة دوائـر الجنسـية لاسـتلام هبـة البعث على ان يحضـر كـل افـراد العائلـة دون استثناء...

وتوجه الناس صـوب مـديريات الجنسـية زمـرا فـاذا الشـاحنات بمختلـف انواعهـا مسـطرة امـام الدوائر ويستقبل العوائـل موضـفوا الدولـة باسـتلام مالـديهم من مستمسـكات عراقيـة وهـدايتهم الى الشـــاحنات مـــرغمين، وهكـــذا تحـــركت قوافـــل الشـاحنات صـوب المنذريـة في الحـدود الايرانيـة وانتشـــر الخـــبر بســـرعة فامســـك من تـــاخر عن المراجعـة عن الـذهاب لكن النظـام كـان قـد عقـد

العزم على ترحيل المتجنسين فما ان حل الظلام حتى انزل الحزب قواته من الجيش الشعبي المدجج بالسلاح لاخراج كل اولئك الذين قدموا اسماءهم ضمن قوائم المتجنسين قسراً من منازلهم دون ان يسمحوا لهم بحمل شيء من امتعتهم وآثاث بيوتهم، وساقوا الجميع في طوابير نحو الحدود.

لقد ترك اولئك المساكين كل ما يملكون ولم يكن نصيبهم سوى ما عليهم من الملبس. وفي اليوم الثاني وما تلته من الايام نزلوا الى الشوارع ليلقوا القبض على كل غير عراقي من عامة الناس أو من رجال الدين حمل دفتر اقامة أو لم يحمل وكان الهرج والمرج صبغة تلك الايام وقعت فيها احداث لا يحتملها عقل فلرب أب اختطف في الشارع واطفاله لايعلمون عنه شيئاً ولرب ابن خرج لشراء حاجة فلم يعد، ولقد اثبت البعث كل وحشيته في تلك الايام في مفردات كثيرة جداً في طول العراق وعرضه اذكر واحدة منها على سبيل المثال:

في صبيحة يوم من تلك الايام السوداء يخرج اب من بيته لشراء الخبز من خباز قريب، هذا الاب له طفلان صغيران قد توفيت امهما، تركهما في نومهما وعند خروجه اقفل الباب بالمفتاح خشية ان

يتأخر فينهضان فلا يجداه ويخرجان، وبينما هو في انتظار الدور عند الخباز تمر مفرزة من مفارز البعث ويخونه الحظ فيقع في ايديهم ليجروه الى المصير المعلوم، يتوسل اليهم ويناشدهم بمقدساتهم كي ياخذوه معهم الى بيته ليحمل الطفلين لكن الجلاوزة لم يسمعو منه قولاً، ويشرح لهم مسألته ويخبرهم بانه اقفل الباب على طفليه ولا احد يعلم بهما وربما يموتان لكن الشيطان قد استحوذ على اولئك السفلة واصروا على عدم تلبية مطلبه وسحبوه نحو مركز الشرطة لغرض ابعاده عن العراق ولولا فضل الله على الطفلين البريئين بهداية صديق لابيهم ليعمل جدّه في سبيل انقاذهما بعد ان علم بقصة الرجل لكانا من الهالكين.

بهذه الصورة شن البعث هجومه الجديد والجدير بالذكر ان النظام قد استغل غطاء التسفير لطرد الكثير من العراقيين الاصلاء حملة المستمسكات العراقية البحتة بعد اخذها منهم واتهامهم بانهم غير عراقيين وما نقموا منهم الا انهم شيعة يظهرون الولاء لاهل البيت في شعائرهم ومشاعرهم.

هذا ما جرى على المتجنسين من شيعة العراق واما ما دار في ساحة العلماء ورجال الدين في

خضـم هـذا الضـجيج فـاني لاعجـز من ان اذكـر المآسـي والهتـك والمشـاهد الـتي تنـدى لهـا جـبين التاريخ. ومرت الايام العصـيبة تلك، وهـزت قسـاوة البعث ضمير كـل العراقـيين، وزرع هـول السـطوة الرعب في قلـوب الشـيعة، وهم بـدأو يـدركون مـا يلـوح بـه حـزب البعث في اجتماعاتـه ووسـائله الاعلامية. فالبعث قد اطمئن من قوتـه وابـرز منهـا الجانب الشديدالحازم رسالة للناس باطاعة الاوامر وتحذيراً لمن فكر في غير ذلك بغـير حسـاب. وبـدأ التصريح بالاهداف البعيـدة هيّنـا مـا دامت الفـرائص قـد ارتعـدت من زمجـرة المـارد وصـدرت الاحكـام علانية بمنع التجمعـات الدينيـة والشـعائر الحسـينية في كافة محافظـات الشـيعة والويـل لمن لا يمتثـل للاوامر.

وبدأت حملات الاعتقالات في صفوف الشـيعة تحت ذرائـع مختلفة. واسـتهدفت هـذه المرحلـة العناصر التي ثبت عبر السـنوات الماضـية تمسـكها بالمذهب والدين من شباب الشيعة. فاعـدم الآلاف بتهمة ادارة المواكب الحسينية والمشـاركة الفعالـة في الهيئـات وآلاف اخـرى بتهمـة تـرددهم على المسـاجد ومواضـبتهم على الصـلاة فيهـا حـتى اصـبحت الحسـينيات والمسـاجد فخـاً يقـع فيـه من دخلها بقصـد أو بغـير قصـد هـذا اضـافة الى حملـة

اعدامات واعتقالات واسعة النطاق لائمة الجماعات في اكثر المساجد الشيعية وفي كافة المحافظات العراقية.

وهكذا استطاع البعث اقفال المساجد والحسينيات في وسط وجنوب العراق والغرض كان جرد الشيعة من سبل تجمعها ووحدتها من ناحية والايحاء بخطورة التظاهر بمظهر الدين في الوسط الاجتماعي مقدمة للهجوم على اصل الاعتقاد في قلوب الناس للقضاء عليها واحلال عقيدة البعث محلها وقد حاولت الشيعة ابراز سخطها ومعارضتها لتصرفات الحزب في انتفاضات محدودة ايام عاشوراء والاربعين وانتفاضة سنة 1975 م لكنها قمعت باسرها بسطوة البعثيين وراح ضحيتها آلآف اخرى من خيرة علمائها وشبابها.

لقد حاول الحزب أيام حملته على الشيعة تغطية جرائمه اعلامياً لتضليل الرأي العام، فهو في الوقت الذي منع إقامة الشعائر الحسينية ولاحق الخطباء في كل مكان، استعان ببعض المأجورين لإلقاء خطب أيام المناسبات في أماكن خاصة دفعاً لتهمة محاربة الشعائر والحيلولة دون استغلال أعداء الحزب ذلك في التشهير بالبعث. حيث كانت خطب هؤلاء لا تتعدّى ترويج شعارات البعث وبيان

منجـزات الثـورة والـدعاء للسـيد الـرئيس على ان تنتهي الخطبـة ببيـتين من الرثـاء ليتم الإمـر باسـم اقامة العزاء... وصوت من هـذه الاصـوات في كـل مدينـة كـاف كطعم للإعلام، كمـا لم يـرو بأسـاً في إذاعة قصة مقتل الحسين عليه السلام احيانـاً عـبر الراديو للتظاهر بمشاركة الناس في شعائرهم. ولم تسلم المساجد أيضاً من هـذه الحملـة فقـد اغلقت أكثر مساجد المـدن الـتي تسـكنها الشـيعة الاّ تلـك الـــتي عينت وزارة الأوقـــاف أئمتهـــا من وعـــاظ السلاطين الذين لا يأتم بهم الاّ عدد من رجال الأمن وبعض المغفلين.

وأما الحوزات العلمية فهي الأخرى أوشـكت أن تغلق أبوابها بسبب اعتقال قسم من طلابها وهـرب الآخرين الى خارج العـراق فـترى النجـف الأشـرف كـبرى الجامعـات الدينيـة في العـراق والمعروفـة بكـثرة طلابهـا وحركتها، خاليـة الصـفوف، معطلـة المـدارس، متوقفـة النشـاط، لمس آثـار العـدوان عليهـا كـل من زارها، حـتى ان السـلطة نفسـها أدركت خطـورة بقـاء هـذه الظـاهرة على سـمعة الحزب فسعت في شراء ذمم عـدد من الـذين رأوا في التقية عذراً مبيحاً للتعامل مـع البعث فشـروهم بثمن بخس على أن يكونـوا لسـان الحـزب ويـده اضـافة الى دس عـدد كبـير من رجـال الأمن في

الحوزة العلمية بعد الباسهم زي رجال الدين وقد أُمر هؤلاء واولئك بالتواجد في الأماكن العامة خصوصاً في صحن الروضة العلوية ليكونوا بمرأى القادم الى مدينة النجف ليدفعوا بذلك ما شاع في الوسط العام من ان الحزب قد قضى على العلماء وأخلى الحوزات العلمية من طلابها، وهم في نفس الوقت عيون للنظام في أماكن تواجدهم.

واستمرّت الأوضاع على هذا المنوال في جبهة الشيعة بين قتل بطئ وتخريب مستمر للصرح العقيدي العملاق الذي احتفظوا به عبر القرون دون ان يكلّ البعث في جهد أو يقف عند حد. وفي طول هذا الصراع الذي استخدمت فيه وسائل الحرب الحارة كان لإعلام البعث الدور البارز في التأثير على أجواء المعركة لصالح الحزب فالكذب والافتراء والدجل والنفاق وكل ما يتصور من خبث كانت تجري على السنتهم ومن أقلامهم في حين كانت الشيعة مسلوبة القلم واللسان، فقد منع خطيبهم من الكلام وعالمهم من البيان والكتابة بل وحتى عامة افرادهم منعوا من التحدث في امور الدين والمذهب، وبات الحديث عن الدين جرم يجر الى الاعتقال أو الاعدام، واما الكتب الدينية والعقائدية فقد اعتبرت من الممنوعات ولم تكد ترى كتابا مذهبياً يعود الى الشيعة مطروحا في

السوق بل وكتاب واحد منها في يد انسان يكفي لاتهامه بالانتماء الى حزب معاد للنظام واعدامه.

وبقيت الأوضاع على هذا الحال حتى أواخر السبعينات دون فتور، خسرت فيها الشيعة الكثير من قادتها وجنودها ولم تكد ترى يومها في الأفق ما يشير الى انقشاع غيوم العذاب التي لبدت سماء الشيعة في انحاء العراق، وفجأة تغير لحن قول البعثيين وتغيرت المواقع والمواقف وبان الأرتباك واضحاً في جبهة السلطة، وقد ادرك اهل التحليل سر ذلك، حيث لاحت فعالية بركان ثورة اسلامية شيعية على الحدود الشرقية للعراق.

لقد جن جنون البعث وهو يرى الانتصارات المتلاحقة للثوار المسلمين، وشاطر الأسياد قلقهم على مستقبل المنطقة واستجاب لهم ارتجالاً في مشاركتهم للوقوف بوجه الثورة الايرانية، وكان هذا القلق هو منشأ الاضطراب البعثي فتارة يدفعه الحقد الاعمى الى التعجيل في الهجوم الكاسح على ما تبقى للشيعة فيصول بقساوة في جبهة، وأخرى يفكر في مهادنة مؤقتة تمهيداً للمعركة القادمة مع ايران ـ والتي تطوع البعث بها خدمة لمصالح الأسياد في المنطقة ـ فينسحب بهدوء في جبهة. وهذا التلون أوقع الكثيرين في وهم أن انقساماً وقع بين قياديي الحزب. فمن جهة ضيّق

الحزب الخناق على علماء الدين بالقتل والحبس والمطاردة ومن جهة بدأ بحملة اعلامية واسعة من خلال الحلقات الحزبية المنتشرة في كافة أنحاء العراق تدعوا الناس الى وحدة الكلمة والتكاتف من أجل بناء العراق وتبشر بعهد جديد، وتم تبديل رأس النظام (البكر) برمز كان وراء كل ما أصاب العراقيين من بلاء وهو(صدام)، وافتتح عهده بوعد الرفاه، وبدأ صدام نفسه بالتقرب من الشيعة بل وادّعى أنه من أحفاد علي والحسين، وخرق لنفسه مشجرة نسبية يوصل فيها نسبه الى الامام علي (ع)، وقام بزيارات للمشاهد المشرفة تحت غطاء إعلامي وسيع وكتبت صحف العراق في عناوين بارزة ونقلت الاذاعات أنباء زيارة الحفيد لمرقد جده، وحتى صواريخ الـ (اسكود) الروسية باتت تحمل أسماء شيعية، ومن لم يسمع بصواريخ الحسين والعباس.

لقد ظن صدام وحزبه انه يمكن كسب الشيعة بالوعود والتظاهر بالتقرب منهم ليتمسكوا بالحزب والثورة في الظرف الذي ظهرت بوادر التحول في ايران قبل هروب الشاه، وكان لابد للحزب من اتخاذ الاجراءات اللازمة تمهيدا للمرحلة القادمة حيث كلف الحزب بشن الحرب على ايران فيما لو اطاحت الثورة بالشاه العميل القديم، فعملوا ما

وسعهم العمـل من اجـل ان يخـدعوا الشـيعة. ومـا كانت كل تلـك الألاعيب الاّ لـذلك الغـرض الخـبيث، ولكن سـرعان مـا خـاب ظن صـدام وحزبـه حيث أظهـرت الشـيعة بكـل جلاء بهجتهـا بانتصـار الثـورة الاسـلامية وعـبرت عن ولائهـا لهـا باظهـار الفـرح وتوزيع الحلويات، فلما ثبت ذلك للمجرم أسـفر هـو ورفاقه عن وجوههم القبيحـة وصـبوا جـام غضـبهم على الشـــيعة من جديـــد فعـــادت الاعتقـــالات والاعدامات والتسفيرات بابشـع صـورها. ولـو قـدّر لأحـد حصـر القتلى والمفقـودين من الشـيعة خلال هـذا الصـراع لبلـغ رقمـاً لا يتصـوره عقل. فـأين منجزات الثورة والابواق الفارعة من هذا الاضـطهاد وهذه الخسائر؟

الحرب البعثية الايرانية

(قادسية صدام)

لم يكتـف البعث بالـذي جـرّه على العـراق من ويلات طيلة سنوات مـا قبـل الحـرب حـتى أسـرع متطوعاً في قبوله أوامر الاستعمار بافتعال الحــرب ضد الجمهورية الاسلامية ليـدخل بـذلك العـراق في معمعــة هــو في غــنى عنها، ومن يجهــل مآســي الحروب ومن يرغب في الدمار والقتل.

كانت ايران قبل الثورة مستعمرة أمريكية بكـل معـنى الكلمة، فرمـز النظـام (الشـاه) عريـق في العمالـة للاجـانب كمـا كـان ابـوه من قبل، وشـعب ايــران المســلم الــذي أذيــق المــرّ من الســلطة الشاهنشـاهية صـمم على تحريـر وطنـه من هيمنـة الاستعمار. وبقي الصـراع على أشـده بين السـلطة والشـعب، وعـبر كفـاح طويـل وتضـحيات جسـيمة وصــمود منقطــع النظــير تمكن من القضــاء على النظـام الفاسـد تحت ظـل قيـادة اسـلامية حكيمـة بزعامــة الامــام الخمــيني (قــدس ســره) والعلمـاء الاعلام فكــانت ثــورة اســلامية بحق. ومضــى هــذا الشعب المجاهد يسير قدماً لترسـيخ اركـان الدولـة وبناء ماهدمه الشاه عبر عقـود لتأسـيس جمهوريـة اسلامية نموذجية تكون مثالاً يحتذى به.

كان الاستعمار في الايـام الـتي سـبقت انتصـار الثورة في شغل شاغل وسعي دائب للحفـاظ على الحكومة الشاهنشاهية وانقاذ محمد رضا بهلوي من هـذه الورطـة وبالتـالي الحفـاظ على منافعـه في المنطقة. لكن صمود الشعب بـدد آمـال الاسـتعمار واستمرت الثوره رغم دسائس المسـتعمرين حـتى يوم النصر العظيم وتلقى الاستعمار بذلك صفعة لم يصفع مثلها قط. لـذلك وبعـد اليـأس من كـل حيلـة في انقـاذ الشـاه بـدأ يفكـر في التخطيـط لضـرب الثـورة بـاي شـكل معبئـاً جميـع طاقاتـه للحركـة الجديـدة مسـتنفراً جميـع عملائـه في المنطقـة من العرب وغير العرب.

لقـد كـان زعيم الثـورة الامـام الخميـني في العـراق فسـعى الاسـتكبار وهـو يعلم ان زنـاد قـدح الثورة متمثل في هـذا الرجل، سـعى لزعزعتـه من مقره عساه بذلك يربك خطط الثـوار ليسـتفيد هـو من الوقت، فارسل اشارته الى قيادة حـزب البعث للقيام بهذه المهمة وقد استجاب العملاء فوراً لامـر الاسياد فـأوعزوا الى الامـام بـترك العـراق. وتوجـه الامام صوب الكويت لكن السلطات الكويتية حالت دون دخولـه اراضـي الكـويت وعلم الامـام (قـدس سره) ان المـوامرة منسـوجة من قبـل وان الـدول الاسلامية عربية كانت أو غيرها لن تسمح له بدخول

اراضيها فلا فائدة في المزيد من المحاولات مع تلك الـدول، ويتخـذ القراربحكمـة عاليـة بالتوجـه الى فرنسا وكان وراء هذا القرار هدفان مهمان هما:

1ـ وضع المدنية الغربيـة الـتي منهـا فرنسـا امـام امرين لا ثالث لهما وهمـا الاول القبـول حفاظـاً على سمعتها الدولية ومـا طبّلت لهـا من ادعـاء الحريـة وحقـوق الانسـان وبـذلك ينـال الامـام مقصـوده بايجـاد موضـع قـدم لادامـة القيـادة والثـاني الـرفض وفي ذلـك الفضـح العلـني لشعارات الحرية التي يتبجحون بها امام العالم.

2ـ اثبات عمالة دول العـالم الثـالث ومنهـا الـدول الاسلامية التي رفضـت اسـتقبال الامـام بايعـاز من الغرب. واختارت فرنسـا الطريـق الصـحيح بمنح الامـام حـق اللجـوء السياسـي وكسـبت بـذلك تقـدير المسـلمين من مؤيـدي الثـورة الاسلامية.

كـان هـذا هـو الـدور الرسـمي الاول لحكومـة البعث في خدمة الاستعمار وقد أدّت الـدور بشـكل علـني وسـافر، وبـادرت بعـد عمليـة اخـراج الامـام بسلسلة من الاجراءات القمعية ضـدّ أنصـار الامـام من العلماء الايرانيين والعراقـيين، ورغم ذلـك فقـد كانت النتيجة النهائية على العملاء ولصالح الثـورة اذ بلغت بما فعله الاعداء ذروة الـبراءة وبالتـالي ذروة

القوّة بازدياد الانصار ومضاعفة النشاط والفعاليات.
لم يكن اخراج الامام من العراق الامر الوحيد الذي استلمه البعث من الاسياد، فالأحداث قد كشفت ان المهام التي أوكلت اليه كانت متعددة، فهناك امر آخر كان لزاماً على البعث قبوله وهو الاستعداد للحرب فيما لو نجحت الثورة في ايران، ولو تتبعنا الاحداث داخل العراق في تلك الفترة الزمنية القصيرة لتبين بجلاء الدور المفضوح للبعث. ونحن هنا نتعرض باختصار لتلك الامور التي تنبئ عن نوايا الاستعمار الغربي في تحميل الحرب على الشعب الايراني الثائر بهدف القضاء على الثورة في مهدها بقوّة السلاح، وقبول العراق اجراء هذا الدور، ومنها أيضاً نتحسس نظرية الاستكبار في المسألة وكيف وضع سقوط الشاه ونجاح الثورة في الحسبان منذ زمن ليس بقليل قبل نجاح الثورة. فمن تلك الامور:

1 ـ التغيير المفاجئ في سياسة البعث الداخلية وموقفه من الاقليات والمذاهب بالدعوة الى الوحدة والاخوّة وقيم الاسلام والحريّة وتعبير الرأي وما شابه ذلك ـ وقد كانت كل تلك لاجل اغفال الشعب وتوفير الامن والتماسك الداخلي التي هي من المستلزمات الضرورية زمن الحرب ـ.

2 ـ اغداق المال بسخاء وتوفير فرص العمل ورفع المستوى المعاشي واشغال الناس بالامور الماديّة ليكونوا في معزل عما يجري في الساحة السياسية.

3 ـ تبديل رأس النظام ــ احمد حسن البكر ـ الغير الكفوء بصدام حسين ـ طرزان العراق ـ في مسرحيّة كوميدية.

4 ـ تشكيل قمة عربية في بغداد باسم توحيد الصف العربي وتحرير فلسطين. وقد تبين ان القمة شكلت لتنسيق المواقف بتحميل كل دولة دوراً من المسؤولية في الحرب القادمة التي لا مفرّ منها مع ايران وتعيين نصيب كل دولة منها من المال والرجال.

5 ــ دعوة مفتوحة لملايين المصريين بدخول العراق تحت شعار العراق بلد العرب وبحجة مساعدة مصر في محنتها الاقتصادية اضافة الى كونهم ايدي عاملة تسهم في بناء العراق، ومن المضحك ان نسمع أبواق الاعلام البعثي في تلك الفترة وهي تبث شائعات تعبر عن نوايا وأهداف الحزب من هذه العملية وأن القيادة ترى بأنه قد آن الاوان للعراقي في أن يعيش حياته في ظل البعث ملاّكاً سيداً مديراً لأعماله ويدع الاعمال الشاقة الاخرى لأيدي عاملة غير عراقية ــ شأن بعض دول الخليج ـ

ويضـحك بعض المسـاكين من المغفلين فرحـاً ورضاً بهذه البشارة. ولقد خُدع المصريون أيضاً بشعار مساعدة مصر، اذ كـان مـراد البعث من جلب هـذه الملايين من الشـباب المصـري هـو استخدامهم في أمرين:

الاول: ان البعث مكلف بحرب لا قبل للعـراق بها ولابد اذا ما شبّت من زج العراقيين جميعاً في نارهـا وحينئـذ تواجـه المصـانع والمتـاجر والمزارع نقصاً كبيراً في الايدي العاملة ولابـد من املاء هذا الفراغ.

الثـاني: ان شـعب العـراق ليس بالشـعب السهل الذي يـؤمن سـطوته، والبعث يعـرف ذلك جيداً، اذ ربما فكرت طائفة منه والحرب مسـتعرة في امـر مـا وقـوة البعث منشـغلة بـالحرب، فلابـد اذن من قـوة بديلـة يثـق بهـا البعث لاستخدامها في قمع اية حركة محتملة في الداخل. وكان هذا هـو الهـدف الاهم وراء دعوة هذا العدد الهائل من العرب والمصريين خصوصـاً، فلقـد أشـارت التقـارير الى ثلاثـة ملايين أو أكثر، وكـان العـدد في الواقـع أكـثر من ذلك بكثير فمن شمال العراق الى جنوبه ومن شرقه الى غربه وأينما ولّيت وجهك فثمّ وجـه المصـريين، ولم تـر في مكـان مـا من

العــراق عشــرة من العراقــيين تخلفــوا عن جبهات القتال لعذر الاّ ورأيت حولهم خمسين مصرياً . وهكـذا اسـتطاع الحـزب حشـد أكـبر طاقة عربية واستخدامها في مآربه ولقد رأى العالم كم تطـوع من هـذا الجمـع المغـرر بـه في قادسـية صـدام المشـؤومة وكم احـترق منهم في لهيبها.

6 ـ انهمـاك البعث في اسـتغلال أقصـى طاقـات العـراق الهندسـية وتحت شـعار خدمـة المنـاطق النائية لتعبيد الطرق الحدودية بشكل مريب حيث كـانت شــبكة الطــرق كلهــا تــؤدي الى الحــدود الايرانيــة ومن امــاكن لم تكن مظنــة اســتفادة المـدن الحدوديـة منهـا فمنهـا خطـوط بمـوازاة الحدود شمالاً وجنوباً ، ومنها طرق تقطع الصحراء عرضاً الى حيث لا سكن ولا زرع ولم ندرك يومها سرّ هذا العمل الدؤوب الذي كـان لا يتوقـف ليـل نهار.

7ــ انشــاء جســور وقنــاطر متعــددة على الانهــر الصــغيرة والكبــيرة ومنهــا تكميــل بنــاء جســر السـندباد الضـخم على شـط العـرب وبسـرعة قياسية، وظن الناس في البصـرة ومـا حولهـا ان العراق يفكر في توسيع ومضاعفة فعالية الطريق الدولي بين البصرة وميناء خرمشهر الايراني بعــد

سقوط الشاه الذي بان التزلزل على كرسي عرشه.

8 ـ استخدام الايدي العاملة المحلية في المناطق الحدودية بشكل كثيف تحت غطاء تحكيم مخافر الشرطة في انشاء الملاجئ الكونكريتية المحصنة وحفر شبكة وسيعة من قنوات المواصلات ومواضع الرمي.

9ـ وصول كميات هائلة من الاسلاك الشائكة عن طريق ميناء البصرة، وقد سألت أحد الاصدقاء وكان يعمل موظفاً في الميناء عن عمله فقال متعجباً عملنا هذه الايام تفريغ حمولات السفن من الاسلاك الشائكة ولا اعلم ماذا تصنع الدولة بهذا المقدار من الاسلاك فلقد فرّغنا الى الآن من الحمولات ما يكفي لتسليك كافة العراق وما زالت السفن تتواصل، وكان ذلك قبل الحرب بخمسة أشهر تقريباً وذهبت الى الميناء فرأيت عين ما ذكره الصديق.

10ــ فتح معسكرات لتدريب المدنيين في انحاء العراق.

11ـ دعوة عدة مواليد للاحتياط وايقاف تسريح الذين انهوا الخدمة الالزامية.

12ـ توسيع دائرة ودَور ما يسمى بالجيش الشعبي، فقد كان دوره الاساس المحافظة على أمن

الداخل، فصدرت الاوامر الى قيادات هـذه القـوة الحزبيـة المحضـة بضـرورة توزيعهـا خـارج حـدود المــدن وضــمن قطعــات الجيش تحت عنــوان المعايشة وفسر صدام حسين هذا التصـرف بـأن القيادة على وشك اتخاذ قـرار يتضـمن زيـادة في مرتبات أفـراد القـوات المسـلحة فلكي لا يؤآخـذ رفـاق الحـزب قيـادتهم بهـذا التصـرف فقـد رأت القيادة المصلحة في ان يعيش رفاق الحـزب مـع الجيش فـترة ليقفـوا على صـعوبة مهنتهم ويثبت لديهم استحقاق افراد الجيش لهذه الزيادة.

وهكـذا يرفـد الحـزب الجيش النظـامي بـزخم جديد من القوة، ويطعمه بخيرة رجالات الحزب من الرفـاق ــ ولا أحـد من الجيش أو الجيش الشـعبي عرف سر اللعبـة في حينهـا ــ فإضـافة الى كـونهم قوة اضـافية فهم أيضـاً عين سـاهرة أمينـة للحـزب في الوسط العسـكري. ومـا كشـف سـر التصـرف هذا الاّ الحرب بعد وقوعها.

13ـ انهماك جهاز الاعلام في تهيئة الطعم الاعلامي اللازم للحــرب عالميــاً ومحليــاً بانتــاج الافلام والمسرحيات وكتابة المقـالات والكتب الـتي تثـير النعرة القوميـة والطائفيـة كفلم القادسـية، الـتي كلفت الحكومـة العراقيـة ملايين الـدنانير، وقـد هيأت كل تلك القنابل الاعلامية بخفاء بُعيد انتصار

الثورة، وقد فاحت رائحة النفاق من هذا المنتـــوج الخـــبيث عنـــدما أعلن البعث عن نوايـــاه تجـــاه الحكومـة الاسـلامية، ففي الـوقت الـذي رحبت الشعوب العربيـة بانتصـار الثـورة في ايـران بـدأ الاعلام البعثي يدعو العرب الى المقاطعة واتخـاذ الموقف المعـادي وصـبغت الحـرب بعـد افتعالهـا على انهـا حــرب عــرب وعجم وانهــا القادســية الثانية.

14ـ انشـاء طريـق ـ الخـط السـريع ـ الـذي ربـط العراق بالكويت والسـعودية من الجنـوب وبتركيـا والاردن من الشمال والغرب، اسـتعان البعث في ذلك بـاكبر الشـركات العالميـة لاتمامهـا في زمن قياسي وقـد ثبت ايـام الحـرب حين انحـدر سـيل السـلاح والعتـاد من كـل جـانب على العـراق ان وجود هذا الطريق كان من ضروريات الحرب.

15ـ تكديس مواد تموينية بكميات هائلة خارج حدود البرامج والخطط التموينيـة لاي بلـد حـال السـلم كانت تنبئ عن أحداث غامضة مقبلة.

هـذه الامـور وعشـرات أخـرى من التصـرفات الموحية بالاستعداد المسبق لهذه

الحرب كانت تجري داخل العراق قبـل الحـرب ابتداءً من انتفاضة الشعب الايراني في عهد الشـاه حـتى انتصـار الثـورة ثم أخـذت هـذه الاسـتعدادات

طابع السرعة والجدية بعد الانتصار.

وبدأ حكام البعث بتحيّن الفرص لخلق الاسـباب المعـذرة للـدخول في الصـراع مـع ايـران، وكـانت البرقية الجوابية التي بعث بهـا الامـام الخميـني ردّاً على تهنئـة صـدام حسـين بمناسـبة انتصـار الثـورة القدحـة العلنيـة الاولى لاظهـار مكنونـات العقيـدة البعثية بالوضع الجديد، فلقد جاءت في برقية الامام عبارة والسلام على من اتبـع الهـدى. واتخـذ صـدام حسين من ذلك ذريعـة لاتهـام الامـام باهانـة رئيس العراق، واهانته تعني اهانـة شـعب العـراق. وهكـذا اسـتغل هـذه الفرصـة في زرع بـذور الكراهيـة في القلوب وهو يعلم جيداً ان اسلوب كتابـة الامـام هـو الاسلوب الاسـلامي الـذي كـان متـداولاً في العهـود الاسلامية وكتاباتها. بذلك رأى البعث نفسه في حـل من حياكة باقي خيوط المؤامرة وبدأت المســرحية بفصلها الاول وكمايلي:

1ــ التحرشــات الحدوديــة وحشــد الجيش في الحدود بذريعة حمايـة امن الدولـة في حـدودها الشرقية.

2ـ الخروقـات الجويـة الاسـتطلاعية المسـتمرة ومنهـا مسـألة المروحيــة الــتي اجــبرت على الهبوط في الاراضـي الايرانيـة من قبـل قـوات الجمهورية الاسلامية.

3ـ شن حملة اعلامية واسعة ضد زعماء الثورة وخرق الاتهامات لهم وخلق جو التوتر السياسي.

4ـ التدخل السافر باسم العرب في شؤون إيران الداخلية كاثارة مسألة حقوق العرب في خوزستان ومسألة الجزر الثلاث ابوموسى وطنب الكبرى والصغرى. والمشادة الكلامية بين وزير خارجية العراق ووزير خارجية ايران الاسبق قطب زاده في احدى الاجتماعات الدولية غير خافية حيث يدّعي الوزير العراقي المسؤلية تجاه حقوق العرب ويرده قطب زاده بالمسؤلية تجاه المسلمين، وهي تهديدات مبطنة في ساحة الحرب الكلامية قبيل الحرب.

5ـ طرح مسألة شط العرب وحقوق العراق حيث يرى العراق ان الشاه قد غصب حق العراق أيام كانت الحكومة العراقية مشغولة بحرب داخلية مع الاكراد.

6ـ اختلاق قضية جامعة المستنصرية واتهام ايران علناً بالتضلع في مؤامرة اغتيال وزير عراقي وما اعقبت من قتل عدد من طلاب الجامعة.

7ـ اتمام عملية الاتهام في اليوم التالي باستخدام عناصر من المخابرات في الهجوم على موكب تشييع ضحايا المستنصرية على ان يكون محل

وثبـة المجـرمين المدرسـة الايرانيـة الموجـودة في شـارع الرشـيد لاثبـات صـدق ادعـائهم بـالامس، فـالمهم اثبـات ان الجريمـة الجديـدة مصدرها مؤسسـة ايرانيـة وهـذا يكفي لالصـاق التهمة بايران. واذن فايران معتدية وقد تدخلت في شـؤون العـراق الداخلية، ومـا على صـدام حسين الآن يعلن طبل الحرب في كلماته التي لا تنسـى وهي: (واللـه واللـه واللـه ان الـدماء التي اريقت في المستنصرية لن تذهب سدى).

ومن تلك اللحظة ترقب العراقيون الحـرب. وهكـذا انتهى الفصـل الاول الـذي عكس النوايـا والاسـتعدادات ليبـدأ الفصـل التـالي بتصـاعد التحرشـات الحدودية، واليـك بعض مشـاهداتي عن بدايات هذا الفصل:

كنت اقضي عطلة دراسية في احدى القصـبات الحدوديـة وارى صـنوف الجيش المتجـه صـوب الحدود وعملها الـدؤوب في حفـر المواضـع وايجـاد السـواتر الترابية، وكـان من بين العسـكر المتواجـد في تلك الجبهة بعض الضباط والجنـود من معارفنا، كانوا يزورونني في القصبة بين حين وآخر. سـمعت في احـدى الليـالي أصـوات انفجـارات ورشـقات بنادق، وتكررت في الليالي التالية، وبعد أيـام قليلـة من هذه الأحداث جاءني بعض الجنود من معـارفي،

فســألتهم عن ســبب الــرمي الليلي فــأخبروني بالتفصــيل عن الكمــائن والكــر الليلي على نقــاط الحدود الايرانية، واضافوا ان القوة في هذا القــاطع تلقت اوامر بتنفيذ مهمة تـدمير سـد ايـراني قـريب من الحدود، وان الوضع في الحدود يسير من ســئ الى أسوأ.

لم تمــر على تلــك التحرشــات الليليــة الا أيــام، حتى رأينا بطريات المدفعية المسـتترة في بسـاتين القصــبة ومــا حولهــا وهي تفتح نيرانهــا على مدينــة ايرانية قريبــة في رشـقات متفاوتـة ولمـدة يـومين دون رد فعــــل من الايرانـــيين، وتصـــاعد اصـــوات اعتراض أهالي المنطقة على هذا العمل، خوفــاً من ان تــرد ايــران على التصــرف العــراقي بالمثــل فيصيبهم الاذى.

وفعلاً ردت ايران بعد يومين، وبما ان المدفعية العراقية كانت منصوبة خلف

البيوت والبساتين المحيطة بالقصبة، وكان الرد الايراني يستهدف اسكات مصادر النـيران العراقيـة فقد لاحت بعض القذائف بيوت القصـبة وقتـل على اثرها بعض الابرياء، وهكذا بدأ الاهالي بالنزوح وكان ذلك يوم 4 /ـ 9 /1980 اليوم الـذي طالمـا ادعى صدام بان ايران كانت هي التي بـدأت الحـرب فيه.

وهـو اليـوم الـذي أمـر فيـه صـدام حسـين جيشـه

بالتحرك لتحرير منطقة سيف سعد على انها اراض تابعة للعراق حسب الترسيم الاخير للحدود لم تنسحب منها القوات الايرانية، وخلال ساعات اجتازت القوات العراقية حدود سيف سعد واحتفل الرفاق في كل مكان بهذا النصر. وبذلك اصبحت مسألة الصراع المسلح الامر الذي لا مفرّ منه، وبدأت الارض الحدودية في تسخين مستمرحتى يوم 1980/9/22المشؤوم.

أعلن العراق رسمياً عن حرب شاملة مع ايران، في خطاب القاه صدام حسين يوم 22/ـ 9 يوعز فيه الى قواته بالهجوم على ايران برّاً وبحراً وجواً، واضعاً اتفاقية الجزائر الموقعة بين الطرفين عام 1975م تحت قدميه، واعلن رفضه من جانب العراق، فأشعل بذلك فتيل نار لا يحيط بآثارها واضرارها الاّ الله. واستمرّ الهجوم بعنف ودخلت القوات العراقية بعد تقديم خسائر كبيرة في العمق الايراني في الجنوب والوسط والشمال وهي تدمّر الحياة كدأبها فقتلت الاحياء وسلبت الممتلكات وخرّبت المنشآت والمدن.

ويعلن حكام بغداد ضمّ منطقة وسيعة من الجنوب الغربي الايراني الى العراق ورسم ذلك في خريطة جديدة طبعت في الكتب المدرسية وغيرها، وكان يومها في غفلة وسوء تقدير اذ لم

يحسب لفشله البعيد في هذا الصراع أي حساب ليصير بالتالي مثار سخرية الصغار والكبار يوم ردّ بخفي حنين في 8/8/1988 والغريب ان حكام البعث لم يدعوا في أوائل أيام استيلائهم على بعض اراضي خوزستان تابعية هذه الاراضي للعراق بل ادّعوا أن هذه الاراضي عربية وانهم بعد اكمال تحريرها سوف يطلقون عليها اسم دولة الامارات العربية الشرقية.

ان الحديث عن حرب السنوات الثمان طويل طول ايامها، ومرّ مرارة جراحها وآلامها ومساوئها ولا يسعه كتاب، ونحن اذ أشرنا اليها في هذه الوريقات فلأنّا أردنا ان نشير الى الكوارث التي جلبها حزب البعث على العراق. ولمّا كانت هذه الحرب المدمّرة احداها كان لابد من الاشارة الموجزة الى بعض جهاتها لا جميع تفصيلاتها. فبعد ان ذكرنا الدور النيابي لحزب البعث عن الاستعمار في شن هذه الحرب وتطرقنا الى الاسباب الحقيقيه وراءها والملابسات التي احاطت الاعذار التي وجّهوا بها شرعية الحرب واغفلوا بها الرأي العام والشعب العراقي بالخصوص بقي ان نشير الى جهات اخرى توضح دور العمالة البعثية بصورة اجلى.

المعروف انه ما وقع صراع في جهة ما من

الارض الاّ وسارعت دول العالم باتخاذ موقف سياسي أو عسكري من تلك المسألة، وقد وقعت صراعات كثيره عبر التاريخ توزعت قوى العالم فيها على طرفي النزاع فدولةعظمى مع جبهة واخرى مع الجبهة المضاده، واقماركل دولة منها تدور في فلكها، وغالبا ما كانت دول العالم تتوزع في جبهتين بتفاوت بسيط في ميزان العدد والقوة سواء في الصراع بين دولتين مختلفتين أو فئتين متصارعتين في دولة واحدة فالحرب العربية الاسرائيلية والفيتنامية والكورية واخيراً الحرب الافغانية وغيرها الكثير كانت نتائجها تابعة لكفاءة القوتين المتصارعتين اساساً فامريكا تخسر مرّة كما في فيتنام والاتحاد السوفيتي تخسر اخرى كما في اليمن الجنوبية مثلا وكذا المسألة الافغانية. فما من صراع في العالم الاّ واقدام العمالقة في منطقة الصراع كل مع جبهة.

وكان المؤمل ان تكون الحرب العراقية ايضاً من مصاديق هذه القاعدة، لكن الذي ثبت هو مخالفة هذه الحرب لتلك الموازين فالدول القوية المتضادة كانت هذه المرّة مع طرف واحد وهذا الذي يثير الدهشة، ففي مدى ايام الحرب الباردة بين امريكا والاتحاد السوفيتي ما رأينا دولة وضع السوفيت فيها اقدامهم الاّ ووقفت امريكا من تلك

الدولة موقف المعادي وما من دولة مالت بموقفهـا نحو امريكا الاّ وحرّض السوفيت شعب تلـك الدولـة على الثورة والاطاحة بحكومتهـا تحت غطـاء حركـة وطنيـة تحررية. لـذا من العجيب ان نـرى تصـافح امريكا مع الاتحـاد السـوفيتي في العـراق، فالعـالم باسـره يعلم ان البعث دخـل العـراق تحت سـتار الاشتراكية وبدعم اساسـي من الاتحـاد السـوفيتي، وما ثبتت اقدام الحـزب الاّ بقـوّة السـلاح الروسي، ومعاهـدة الصـداقة والتعـاون الطويلـة الامـد بين البلدين خير دليـل على عمـق العلاقـات، وفي مثـل هذه الحالة كان المتوقع ان تقف امريكا من العراق موقف المتنفر سيما وان العراق كان يتجاهر بعدائه لامريكـا ويـدعو الى محـو اسـرائيل ويكيـل الشـتم للعـرب بسـبب تهـافتهم على امريكـا وتهـاونهم في مسألة استرجاع فلسطين وتحرير القدس... فمـاذا كان وراء هذا التصالح؟؟.

واما مواقف الدول الاخرى من القضـية فكـانت معروفةً نتعـرض لبعضـها باختصـار، ففرنسـا كـانت صريحة في موقفهـا سياسـياً في المحافـل الدوليـة وعسـكرياً في سـاحات القتـال، فطـائرات المـيراج وصواريخ الاكزوسيت وطائرات السوبر إتندار الـتي استأجرتها مـع طياريهـا الى العـراق لضـرب ايـران والخبراء العسكريين وراديو مونتكـارلو الـتي اطلـق

العراقيون عليها اسم (مونتي بغداد) كلها شواهد حيّة على دخولها الحرب لصالح صدام. في الوقت الذي لم يسجل نقطة ايجابية واحدة في السياسة الفرنسية لصالح الشعب الايراني منذ نشوب الحرب والى الايام الاخيرة منها.

واما بريطانيا فمعروفة في تعاملها مع الاحداث وذيليتها في العقود الاخيرة غير خفية على احد، فهي تعاملت مع القضية بمكر الانكليز حيث حاولت التظاهر بمظهر المحايد من جهة، ومن جهة اخرى تمد اخبث يد مساعدة الى العراق، فالمواد الاوليّة للغازات السامّة وبعض المصانع المنتجة لها ومواصير المدافع العملاقة التي يصل مداها الف كيلومتر وغيرها كانت تشحن الى العراق عن طريق ايلات والعقبة، وفي مواقفها السياسية كانت المقرّرة لآراء امريكا وان كانت تميل ببعض لسانها الفارغ على العراق منتقدة الجرائم البشعة التي كانت ترتكب بين حين وآخر خلال ايام الحرب في تصريحات موجزة وان كانت تعلم ان السم الذي أباد المدنيين الابرياء في حلبجة مثلاً كانت سموم بريطانية.

واما الصين فقد كانت في حيرة من امرها فمن جهة دخول الغرب في هذا الصراع لصالح العراق ظلماً كانت تود الوقوف مع ايران لما كان

يترتب على مثل هذا الموقف من مصالح مستقبلية للصين ولكنها بسبب قـوة التحـالف المضـاد لايـران ترددت في العواقب واحتملت هزيمة ايـران، فتبنت الاعتزال العملي ظاهراً والاستسلام قولاً لمقــررات مجلس الامن والامم المتحــدة الــتي كـانت تمليهـا امريكا.

امـا بـاقي الـدول فقـد كـانت تـدور في فلـك التحالف العالمي قولاً وعملاً، والمنصف يرى وكـأن العالم قد اجتمع في العراق لمحاربة ايران باستـثناء دول ثلاث مستضعفة اعلنت مسـاندتها لايـران وهي سـوريا وليبيـا من العـرب وكوريـا الشـمالية، ولـو تفحصنا اسباب مواقفهـا لرأيناهـا اعلاميـة سياسـية اكثر من كونها عملية واقعية، فان ايران لن تستفيد من قـوّة تلـك الـدول شـيئاً لضـعفها في ذاتها، ولم تتجرأ دولة اخرى غير هـذه الثلاث في اظهـار رأيهـا الحقيقي في هـــذا الصـــراع، والاجمـــاع الـــدولي المشؤوم قد تم على ضرب الثورة الاسـلامية الـتي اعلنت استقلال ايران التام وعدم تبعيّتهـا لأيـة قـوّة في العالم تحت شعار لا شرقية لا غربية.

ومـا كـان هـذا الموقـف بعيـداً أو غريبـاً اذ أن موقــف الاسـلام من الظلم والظـالمين معــروف، وغـيرخفي أيضـاً مظلوميـة مليـار مسـلم في هـذا العـالم الواسـع على يـد الاسـتكبار. وبقـاء الثـورة

الاسلامية يعني انتعـاش الاسـلام، ويعـني زرع بـذور الامل في قلوب المسـلمين، ويعـني اخـيراً احتمـال ولادة حركات اسلامية جديدة تحذو حـذو ايـران في التخلص من التبعيـــة والاستضـــعاف. فالـــدول الاستعمارية اذن مهددة من قبل هذه الثورة الفتية، ولابدمن التكاتف ووضع الخلافـات جانبـاً للانقضـاض سـويّة على هـذا الوليـد في مهـده، وبهـذا يرتفـع العجب، اذن لا غرابة في أن نرى الاتحاد السـوفيتي وبجانبها امريكـا وبريطانيـا وفرنسـا والمانيـا وبـاقي الاقمار على مائدة واحدة وفي خيمـة حـزب البعث العربي الاشتراكي. فـالحرب في الواقـع هـو حـرب الدول الاسـتعمارية مـع الشـعب الايـراني المسـلم الثائر الذي تحرر للتوّ من قيود المستعمرين، والذي ينبغي ان يـدفع ثمن الحـرب هـو الشـعب العـراقي المسكين، فلتقرّ عيون البعثيين بهذه العمالة وتعساً لحظ الشعب العراقي العاثر.

وبـدأت معـدّات القتـل والتـدمير تنحـدر نحـو العـــراق عن طريـــق الاردن والمملكـــة العربيـــة السعودية والكويت وتركيا الدول المتاخمة للعـراق، ومليارات الدولارات من مواد مختلفة ملأت أسـواق العراق، والاستعمار واقماره قـد تعهـدوا بتلبيـة كـل احتياجات العراق العسكرية والماليـة وغيرهـا وتمـرّ ليالي الحرب العصيبة وكلما ازداد الكفر ضرباً كلمـا

ازدادت صخرة الاسلام في ايـران صـلابة حـتى كـاد العـالم ان يركـع امـام ابنـاء الاسـلام عـام 1982 لولا...؟

تلقى جيش البعث من جنـد الاسـلام ضـربات ماحقـة وبـدا الضـعف واضـحاً في صـفوف الكفر، ويضطر الشـيطان الاكـبر على الايحـاء لرمـوزه من عبيـد أمـة العـرب من الحكـام بالاسـراع في رفـد الجبهـة العراقيـة بالمقـاتلين من أفـراد الجيش النظامي، فبدأت الأفواج والألويـة تصـل بغـداد على وجـه السـرعة، اذ أرسـلت كـلّ من الاردن واليمن والسودان قطعات عسـكرية نظاميـة كمـا أوعـزت مصر وبعض الدول الأخرى الى رعاياها في العـراق بالتطوع ضـمن مـا يسـمى بـالجيش الشـعبي. لكن هذا الاجـراء لم يغـير شـيئاً من الحقيقـة المـرّة في جبهـات القتـال، فالضـربات المهلكـة الـتي توردهـا القوات الاسلامية على الفيالق العراقية كانت تأخـذ حصتها اليومية من قوات الامداد الجديـدة بين قتـل وجرح وأسـر حـتى بلغت جـراح هـذه القـوات حـداً اضـطرت معـه حكوماتهـا الى تكـتيم أخبـار هـذه الخسائر لأن اعلانها يعـني اعـتراض شـعوبها وخلـق اجواء لا يمكن التكهن بعواقبها...

وتبقى الحـيرة حاكمـة على جبهـة الكفـر من جديد، فجميع المحاولات التي بذلت من أجل وقـف

القتال ـ لغرض انقاذ البعث ـ قد باءت بالفشل امام اصرار القيادة الايرانية في مواصلة الحرب حتى احقاق الحق وكان ظن الاستكبار الذي اوجد هذا التحالف الرهيب أن ضربة مفاجئة قوية كافية في اسقاط الحكومة الاسلامية في مثل الظروف التي يشن فيها الهجوم، فالثورة في بدايتها والجيش الايراني مفكك الاوصال بعد اعتقال كبار جنرالات جيش الشاه وهرب عدد آخر منهم والثوار منشغلون بالوضع الداخلي وليس ثمة قوة تذكر في الحدود قادرة على صد هجوم جيش العراق المنظم والمعبأ بأحداث الاسلحة....

ورغم زحف قوات العراق نحو عمق لا بأس به في الساحة الايرانية الا انه لا مؤشر في وقته كان يشير الى زعزعة النظام. فتوجهت رموز التحالف الى المنظمات الدولية لاعلان وقف اطلاق النار والطلب من ايران الخضوع الى مطالب العراق وكانت تلك الشروط المقررة في نظر الاستعمار تحقق الحد الادنى من القيود التي يجب فرضها على ايران في الوقت الراهن. فالقوات العراقية مسيطرة على مساحات شاسعة من الاراضي الايرانية، مستحكمة مواضعها بشكل جيد وتحت اشراف امهر مخططي الخطوط الدفاعية في العالم، ولا يتصور اقتحامها من قبل القوات

الاسلامية لمدة طويلة يواصلون فيهـا الضـغط على ايران لقبول الاستسلام مقابـل تلـك الاراضي، وقـد غفلوا عن قدرة الله التي منّ بها على جند الاسلام، حيث امكنتهم تلـك القـوة الالهيـة من اكتسـاح تلـك الخطوط جميعهـا ودفـع الجيش العـراقي الى عقـر داره ليقلبوا السحر على الساحر.

وحـاولت الـدول المؤججـة لنـار الحـرب بشـتى الوسـائل ارغـام الجمهوريـة الاسـلامية على قبـول وقــف اطلاق النــار لكن دون جــدوى... فــاجتمعت كلمتهم اخيراً على سـلوك الطـرق الدنيئـة الاخـرى لتحقيق غرضهم فبدأت الصـواريخ المختلفـة تتـوارد ومصانع انتاج السموم بانتـاج اكـبر الكمّيـات وحـتى القنبلة النووية لم يبخلوا بها على صدام حسين.

وجاء دور حـرب الصـواريخ ودك المـدن الآمنـة الآهلة بالسكان بها كما اخذت الطـائرات باسـتخدام اطنان القنابل المحشـوة بالغـازات السـامة القاتلـة في جبهات القتال والقصبات الحدودية ولولا مشيئة الله في اقتناع ايران بقبول وقـف اطلاق النـار لكنّـا نجــد من المآســي مــالا ســابقة لهــا في التــاريخ. فاسلحة الـدمار الشـامل الـتي زُوِّدت بهـا العـراق ـ والـتي كُشِـف عنهـا النقـاب بعـد فـترة من الـزمن وبالضبط بعـد هزيمـة العـراق في حـرب الكـويت ـ كـانت قـد اُعـدت لضـرب المـدن الايرانيـة الكبـيرة

كورقة الاستكبار الاخيرة في هذه اللعبة القذرة ضد ايـران الاسـلام. ورغم انـف الاعـداء فقـد انتهت الحرب بنصرٍ مبينٍ للاسلام وهزيمةٍ منكرة لجيـوش الكفر العالمي. نعم انتهت الحرب في 8/8/ 1988 . ولكن لصالح من؟

ان نظرة احصائية عابرة فيما احترق بنـار هـذه الحـرب كافيـة في اثبـات الخسـارة العظيمـة الـتي مني بها الشعب العراقي من جرّاء الصـفقة البعثيـة الامريكية واليك بعض تلك الأضرار:

1ـ تدمير كامل لبنية العراق الاقتصادية، على رغـم المساعدات المالية السخية التي قـدمتها الـدول الحليفة للعراق فقد خرجت حكومةالبعث ـ مالكة الـ (40) مليـار دولار ـ والمشـاريع العـامرة، خـرجت من الحـرب وهي مدينـة بعشـرات المليارات من الدولارات للدول الخارجيـة وتـدمير أكثر المشاريع الحيوية في العراق.

2ـ قتـل مئـات الالـوف من أبنـاء الشـعب العـراقي المسكين وفقدان مئـات الالـوف وتعويـق امثالهـا منهم.

3ـ تهجـير اكـثر من مليـون مـواطن عـراقي من القـاطنين في المـدن والمنـاطق الحدوديـة من جراء الحرب، وترك ممتلكاتهم من دون ان تقـدم الحكومة البعثية اية مساعدة لهم بعد التهجير.

4ـ تدمير المنشآت الكثـيرة الـتي بـنيت من أمـوال الشـــعب دون ان يســـتثمر الشـــعب شـــيئاً من نتاجاتها، مما اجبر النـاس على تـأمين احتياجـاتهم من المواد المستوردة وبأسعار عالية.

5ـ تدمير الزراعـة والـرعي في العـراق بعـد سـوق العراقيين الى الخدمـة العسـكرية حيث اضـطرّوا الى ترك أراضيهم طيلة سنوات الحرب ـ بسـبب غلق البعث باب التسـريح في وجـوههم ـ اضـافة الى صيرورة الاراضي الشاسـعة شـرقي العـراق مسرح
عمليات عسكرية مما جعلتها غـير قابلـة للاسـتفادة بعد تخريب قنواتها وزرعها بالالغام.

6ـ تدني المسـتوى العلمي في المـدارس العراقيـة بسبب سوق المعلمين بشكل وسـيع الى جبهـات القتال فكانت المدرسة الواحدة لا يتعـدى كادرهـا التعليمي ربع الملاك.

7ـ القضـاء على الطاقـات العلميـة الشـابة بسـوق خـــريجي الجامعـــات على الاطلاق وبعـــدالتخرج مباشـرة الى الخدمـة العسـكرية ولمـدة طويلـة بلغت سنوات الحـرب كلهـا ممـا أدّى الى نسـيان معلومـــاتهم بفعـــل ظـــروف الحـــرب القاســـية والمعاناة النفسية الطويلة.

8 ـ انتشـار الفسـاد الاخلاقي في المجتمـع بسـبب

الشــباب الطــائش المســتورد من بعض الــدول العربية، وتفكيـك العائلـة العراقيـة بغيـاب رجالهـا عنها.

9ــ تحطيم اقتصــاد فئــة كبــيرة من ذوي الــدخل المحـدود من جـرّاء الخدمـة الطويلـة والمـرتب المحدود الذي كانوا يتقاضوه من الجيش.

10ــ تفشــي الفســاد الاداري والرشــوة في كافـة مؤسســات الدولــة ســيّما الجيش ممــا ادّى الى رواج التزوير وانتشار الظلم.

11ـ طغيان روح الارهاب في نفوس البعثـيين، ومـا أعقب ذلك من زرع الخـوف بين النـاس وفقـدان الثقـة بينهم، كـل ذلـك بسـبب اسـتخدام البعث سياسة العنف في تجنيد الناس لغرض زجهم في محرقة القادسية، فلقد صدرت الاوامر من قيـادة الحــزب الى من تبقى من ميليشــيات البعث في الداخل بالقاء القبض على كل عراقي يــدب على الارض صغيراً كان أو كبيراً لغـرض ارفـاد جبهـات القتـال بهم، واي بعـثي لم يـأت بأربعـة اشـخاص فما فوق سيكون هو المرشح للسوق الى القتـال ـ وكانت السواتر الامامية وجبهات القتـال عمومـاً قـد ارعبت النـاس والبعـثيون سـبقوا غـيرهم في الخوف منها ـ ولذلك تـراهم يسـرحون ليـل نهـار في الازقــة والطرقــات بحثــاً عن عــراقي حي

يقدّموه كبش فداء ويدفعوا بـه عن انفسـهم شـرّ البوابة الشرقية للوطن العربي.

والنـاس المسـاكين من الشـيخ الطـاعن في السن الى الطفـل الـذي لم يبلـغ الحلم ــ من غـير المشمولين بالخدمة قانوناً ـ في هـروب دائم ولـواذ عن عيـون البعثـيين. ولـو رأى من لم يـر البعث، الرفيق البعثي الـذي لم يحض بنصـيبه من الافـراد، كيـف كـان يتشـبث في تحقيـق مأربـه بـاللامعقول لولّى من البعث فرارا. فكم خرق السفلة من افراد الجيش الشعبي حدود القانون والشـرع في طريـق ملاحقـة النـاس، وكم اعتـدوا على حرمـات الـبيوت والاشـخاص، وكم شـوهدوا في ظلمـات الليـالي ومعهم السلالم كي يدخلوا الـبيوت من سـطوحها لا من ابوابها، كما امر الله ليداهموا الرجل في غرفـة نومه، وما على الشّـاك في قـولي الاّ ان يسـأل اي عراقي عاش مرارة تلك الايام العصيبة.

12ـ انهيار واضح في معنويـات العراقـيين والجيش بصـفة خاصة، بعـد الهـزائم المتلاحقـة والخسـائر البشرية والمادّية الكبيرة التي مـنيت بهـا العـراق طيلة سنوات الحرب.

13ـ تنازل العراق عن مناطق شاسعة من الاراضي الحدوديـة الغنيـة بالنفـط والفوسـفات لصـالح السـعودية والاردن تحت عنـوان ترسـيم الحـدود

مقابــل مــا منّت بــه الــدولتان على العــراق من موقف في الحرب.
14ــ تشـويه سـمعة العـراق دوليـاً بسـبب ارتكـاب حكام البعث جرائم حرب من قبيل قتل المــدنيين وتدمير المدن واستخدام الاسلحة الكيمياوية ضــد الايرانيين بل والعراقيين أيضـاً في حلبجـة وأهـوار العمارة والناصرية.
15ــ اعـدام الآلاف من الشـباب العـراقي الـرافض للحرب والفار من جبهات القتال واعتقال ذويهم.
16ــ هـدر أمـوال عراقيـة بصـرف البعثـيين مبـالغ ضخمة في شراء ذمــــم الـدول ووسـائل الاعلام لصالح الحزب في الحرب.
17ـ هجرة العقول العراقية الى خارج العراق هربــاً من محرقــة القادســية وارهــاب البعث، وبــذلك ضاعت الثروات العلمية الوطنية.
18ـ الخروج بخفي حنين من ساحة (قادسية صدام المجيدة) فاضافة الى عـدم بلـوغ البعث لاهدافـه التي طبّل لها كثيراً قبل وأثناء الحرب، فقـد حمّل مسؤولية بدء الحـرب والغرامـات المترتبـة عليهـا في قرار مجلس الامن المرقم 598.
هـذه بعض ثمـرات الحــرب، وهـذا هـو حصـاد العراقيين من زرع البعث بعد كل تلك السنين، ومع ذلــك نــرى البعثــيين يتغنــون دون حيــاء بشـعارات

الصمود والعز والشموخ وينشدون لروح النصر التي عرجت الى الملكـوت الاعلى بعـد تركهـا بـدنها من غـير دفن في البوابـة الشـرقية للـوطن العـربي، ويحتفلون بمنح المهزومين من ضباط البعث الـذين حـاولوا عن طريـق البـاس العراقـيين ثـوب الـذل نصرة الحزب أوسـمة شـجاعة. ولقـد كـان من بين هؤلاء الذين منحوا أنواط متعددة م أول (...) الــذي فجر صاعق رمانة في يده ليهرب بتعويق نفسه من واجب بسـيط، ومنهم النقيب (...) الــذي أضـحك الموتى في معركـة فكّـة عنـدما ضـحى بخُرئِه دون دمه، وليس هذا افتراء فقد رآه عدد كبير من افـراد الفوج الثالث لمش (...) وهو يهرول صوب الخطوط الخلفية هرباً من المعركة يسبق ريحـه النتن. والجنـد المنكسر المنهك من خلفـه يعوقـه الضـحك الشـديد من اللحاق به.

واخيراً اليك خطاً بيانيـاً لمجمـل مواقـف البعث وشعاراته حتى نهاية الحرب، فقبيـل الحـرب كـانت الشـعارات هي تحريـر فلسـطين والقـدس، ولا تراجع، العراقي يتقـدم، واسـرائيل لقيطة، واللعنـة على خونة العرب وعلى الامبريالية، وعروبة الجـزر الثلاث في الخليج، تتوج هذه الشعارات قمـة بغـداد لنصرة فلسطين. ثم بدأت هذه الشـعارات بـالافول شيئاً فشيئاً بعد شـروع الحـرب حـتى اختفت تمامـاً

في بدايات عام 1982 الذي يعتبر عام الانهيار التام للبعث وبدايـــة الحركـــة التراجعيـــة في المســـير. فصـــدام حســـين رأس النظـــام الـــذي كـــان يبـــدو متحمساً في الدعوة الى حرب اسرائيل عاد ليظهر امـــام شاشـــات التلفزيـــون ويعلن بصـــراحة ان اسرائيل حقيقة لا يمكن انكارها وأضاف:

"ومن قال من حكام العرب ان اسرائيل ليست حقيقة فهو يخادع نفسه...".

ويتملـــق ســـفير النظـــام البعـــثي في الولايـــات المتحـــدة لاسـيادہ فيعلن في مقابلـة اذاعيـة اذاعتهـا راديو واشنطن: ان العراق يعتبر الساتر الاول للدفاع عن دول تهم امريكـا في المنطقـة طالبـاً بـذلك يـد العـون الامريكية. ولا اعـرف دولـة تهم امريكـا في المنطقـة بشـكل اساسـي غيراسـرائيل اذن يعلن البعث صـراحة ان العـراق سـاتر أول للـدفاع عن اسـرائيل، وأين هـذا من شـعار تحريـر فلسـطين والقـدس. ويمضـي الحـزب في هـذا الاتجـاه قـدماً، ويفتخر صـدام حسـين بنتـائج اسـتغاثاته الذليلـة حين يعلن بفرح كبـير أن سـيادته يحـط علمـاً بالتحركـات الايرانية في جبهات القتال خلال سـاعات. ومـا كـان ذلك الاّ بفضل الاقمار الصناعية التجسسية الامريكيـة وطائرات الآي واكس التي سخّرتها أمريكا في خدمة العبد الجديد.

وتدخل اسرائيل الساحة بشكل مفضوح، فمن جهة تؤمّن للعراق خط الملاحة عبر ايلات والعقبة لتنقل السفن آلات الدمار الشامل من صواريخ ومواد كيميائية ومصانع لانتاج الغازات السامة، وإذا ما جنحت سفينة من تلك المحمّلة بالموت اسرعت السفن الاسرائيلية لنجدتها وهدايتها الى العقبة الاردنية. ومن جهة أخرى ترسل طائراتها عبر الاجواء الاردنية والسعودية والعراقية لتصل الى ضواحي بغداد وتضرب مفاعل تموز النووي دون ان تتصدى لها قوات الدول الثلاث خصوصاً المقاومات العراقية التي كانت تتمثل في أرقى أنواع صواريخ سام الروسية ومئات الطائرات المطاردة والتي كانت في حالة تأهب قصوى. ثم تعلن اسرائيل امام العالم عداءها لحزب البعث وخوفها الشديد من التطور التسليحي العراقي. ترى أي الجهتين نصدق؟ ضربة لمفاعل تموز كدليل عداء، أم سكوت ثماني سنوات على تردد السفن المحمّلة بمعدات الدمار عبر ايلات والعقبة والى دولة تهدد اسرائيل بالفناء كدليل صداقة.

الظاهر ان عملية ضرب المفاعل العراقي كانت مظاهرة اسرائيلية بالعداء لحزب البعث لابعاد سمعة العراق من التشويه، فان اسياد البعث يعلمون جيداً بان الكشف عن المساعدات

الاسـرائيلية للعـراق يعـني سـقوط البعث في نظـر شعب العراق والشعوب العربية. اذن لابد من طعم اعلامي للتغطية وكتمان تلـك المسـاعدات السـرية في الاصــل والــتي يفضــحها أحيانــاً فضــول بعض وسـائل الاعلام. وان كـان ولابـد من دور مسـرحي تقوم به اسرائيل خدمة اضافية للعراق فليكن عملاً مفيـداً، وبمـا ان الوضـع العسـكري العـراقي في جبهات القتال في تدهور مستمر ولا يلـوح في افـق الحرب بصيص املٍ بالنصـر بـل تشـير الـدلائل الى عكس ذلـك فـالقوات الايرانيـة في تقـدم مسـتمر وهي مصـممة على مواصـلة الحـرب حـتى النصر، والاوضاع الداخلية في العـراق غيرامينة، وفي بقـاء المفاعـل النـووي على حالـه مـع احتمـال سـقوط الحكومـة العراقيـة الخطـر الكبـير، فلتكن المهمـة الاسرائيلية هي ضرب المفاعل ففيها الظاهر الجيـد للعداء وفيها ايضاً تحريم العدو المحتمـل من منـافع هذا المشروع الخطير.

وعلى كل حال فقد اثبت البعث بتصرفاته زيـف شعاراته وبقدرما قال لا لأمريكا في شعارات فارغة للاسـتهلاك المحلي في المسـرحية التاليـة اعـني مسرحية حـرب الكـويت، قـال نعم لامريكـا عمليـاً قبلها وبعدها. فأي امر امريكي لم ينفذه البعث اثناء القادسـية وبعـد حـرب الكـويت؟ واي أمـر للاسـياد

رفضه حكام البعث بل اي تصرف مستقل كان للبعث غير امتشاق السيف بوجه العراقيين هذا اذا لم نقل بأن اذلالهم للشعب كان بوحي من الاسياد ايضاً، فلقد كانت الاوامر تترى في كل صغيرة وكبيرة، منها علنية عبرالهواتف، ومنها سرية عبر الرموز.

ومن ينسى سُعاة بريد الامبريالية الذين تطوعوا لنقل تلك الرسائل من والى بغداد وعبر عواصم الغرب. حتى ان عوام الناس باتوا يترقبون وقوع حدث هام بمجرد سماعهم وصول امثال اولئك السعاة الى بغداد. ولربما اتهموا الملك حسين بالذات في انه يسعى تحت غطاء معونة الاخوة العراقيين في قتل شعب العراق انتقاماً لمقتل اقاربه من الملوك الذين حكموا العراق سابقاً على يد الشعب العراقي. اذ انهم كانوا من البيت الهاشمي وقد قتلهم العراقيون أو أعانوا على قتلهم لعمالتهم للانجليز والغرب.

فماذا لدى البعث غير الشعارات التي اكل الدهر عليها وشرب. وما الذي جناه العراق من دوحة البعث النكدة غير ما ذكرناه. وهل دخل بطون العرب غير زقوم القادسية من يد هذه الزمرة التي لبست قميص القومية زوراً.

فليتقدم العراقي بقيادة البعث نحو درك آخر

من دركــات جهنم ألا وهي غــزو الكــويت وحــرب التحــالف. وهـو مـا نـود الاشـارة اليـه في الفصـل القــادم ضـمن عرضـنا لمسـرحيات حـزب البعث العــربي الاشـــتراكي. حيث ارتكب ابطـــال البعث حماقة جديدة بعد انتهاء القادسية لإرجاع الفرع الى الاصل في تلـك التمثيليـة المعروفـة بـأم المعـارك. فمـا هي قصـة الكـويت؟ ومـاذا سـطر البعث على سماط ام المعارك للشعب العراقي المسكين؟.

الحرب البعثية الكويتية
[أم المعارك]

لم يتضح بعد السبب الكامن وراء الغزو العراقي للكويت، فهل كان من اجتهادات صدام حسين، أو كان وحياً من الأسياد؟ وعلى أي حال فقد وقع خارج انتظار العراقيين، إذ لم يتوقع أحد قيام حكومة البعث بأية مغامرة جديدة بعد ان خيّم كابوس الحرب العراقية الايرانية على كامل الاجواء في العراق. ولكن الذي يبدو للمحلل في الوهلة الأولى هو ان يكون السبب كامناً في احساس مسؤلي حزب البعث بالحرج من نتائج القادسية. فقد بدأت الأسئلة تتردد على الالسن بعد انتهاء الحرب عن الهدف من الحرب مع ايران، وعن ادّعاءات الحزب قبل وبداية الحرب والمحصّلة النهائية. والظاهر ان الحزب لم يجد ما يبرر به خطأه الذي كلف العراقيين الكثير، فكر في تجاوز محنة الحيرة هذه بالسعي في ايجاد الطعم الملائم لهذه الأفواه التي باتت تهدد سمعة الحزب في الشارع العراقي، اذ طالما وعد الحزب العراقيين باسترداد حقوق العراق الضائعة بسبب ضعف الحكومات التي كانت حاكمة في العراق، اضافة الى ان الحزب قد منّى الشعب بالغنى والسعادة

ايضــاً، في حين اصــبح نصــيب كــل عــراقي من قادسيتهم الفقر والتعاسة.

لم يـدلّ العقـل الفـارغ لرمـوز النظـام الاّ على رهان خاسر جديد، ولم يوسـوس لهم الشـيطان الاّ في التخطيط للسطو عل الكويت المعروفة بكـثرة الثروة، فالأجواء مساعدة لخطور فكرة مثـل هـذه، والأرضية مهيأة لنسج حكاية مع دويلة الكويت الغير البعيدة عن المنـال سـيّما ودنانيرهـا ولمعـان ذهبهـا أخــــذت بألبــــاب المــــارد المفلس المحجورعليه، فالعراق ومنذ مدّة تدّعي بعض الحقوق في أراضـي الكــويت الحدودية، وهنــاك ادّعــاء من حكومــات عراقية سابقة بتبعية الكـويت للعـراق وحكايـة عبـد الكريم قاسم ما زالت في الاذهان، فالفرصة ذهبية يـا أبـا عـدي وانت القـادر على ذلـك فـأرقى أنـواع الاسلحة من التي تفضل بهـا الاسـتكبار عليـك تحت الاختيــــار ومن يجــــرؤ من العـــرب في التصـــدي. فالعملية متعـددة المنـافع فمن جهـة الاعلام تـرخي الانتصار الحتمي فيها الستار على هزيمة القادسـية، ومن جهة تحريـر الارض واسـتعادة الحـدود فـأرض الكويت بديلة عن الأحواز التي فشلت القادسية في الأحتفاظ بها كأرض عراقيـة محـررة، وفي مسـاحة الكويت الكفاية في بسـط يـد العـراق على شـمال الخليج. ومن جهة المكتسبات الماديـة ففي الـذهب

الكويتي وممتلكات الكويتيين البركة.

هكـذا يمكن تقـريب تصـوير فكـرة الغـزو في العقـل البعـثي وبـه ربمـا يوجّـه تحـركهم في هـذا الاتجاه، وهو تفسير غير بعيد، وان كان يحتمل أيضاً ان تكون مؤامرة أجنبية على العرب للهيمنـة عليهم بشكل أوسع باثبات ضعفهم واحتياجهم المـبرم الى حماية القوى الكبرى، أو مؤامرة على العراق الـذي اغترّ بحسب الظـاهر بمـا حصـل عليـه من السـلاح المتطور فأبى الانصياع التام للأسياد بعـد القادسـية حين أرادت كـل دولـة سـاعدت البعث في البقـاء حلب مـا استطاع من ضـرع العـراق وتـزاحم أهـل الفضـل على صـدام حسـين ليقسّـم ميراثـه من العراق ضحية حـزب البعث فلم يفعل، فحفـروا لـه جبّ الكويت ليقع فيه وينالوا منه حال أسـره مـا لم يتمكنوا منه أيـام حرّيته، وهـذا أبعـد الاحتمـالات. أو أنهـا كـانت مـؤامرة لإبـادة الشـيعة ليس الاّ، وهـذا أقرب الاحتمالات.

فهزيمـة البعث في الحـرب مـع ايـران، وعـدم تمكن امريكـا من الوصـول الى مرادهـا الـذي كـان يتمثل في سقوط الدولة الاسلامية، وضعف حكومة البعث بسبب الحرب، والنسـبة العاليـة من الشـيعة المتواجدين في العراق والمؤيدين للثورة الاسلامية، والدعم المعنوي والمادي المحتمل لهـؤلاء من قبـل

ايران، وآثار هزيمة القادسية على الشارع العـراقي عموماً واستغلال ذلك من قبل المعارضـة العراقيـة في الداخل والخارج للنيل من النظـام البعـثي، كـل تلك مؤشرات لا تبشر بخير بالنسبة لاستمرار حيـاة حزب البعث الوكيل الرسمي للإمبريالية.

واذا ما وضعنا قوّة المتصـارعين على السـلطة من قـوى المعارضـة في المـيزان لوجـدنا ان كفـة الشـيعة هي الارجح على الاطلاق فهي القـوّة الـتي يخشى منها على البعث، فاذا تمّ ضرب هـذه القـوّة فلا خوف على البعث من بـاقي القـوى. وعلى هـذا اتخذ التحالف العالمي القرار بضرب وسط وجنـوب العراق موطن الشيعة بطائرات ودبابـات وصـواريخ تنطلق باسم تحرير الكويت وعلى كامل الحيـاة في تلك المنـاطق ومن ثمّ يتم توجيـه الضـربة القاضـية الى هـــذه الطائفـــة عن طريـــق الامم المتحـــدة ومجلس الامن بفرض الحصار الاقتصـادي الـذي لم يقصد سهم رميته الاّ الشيعة فقط بعد اعفاء صـدام حسين وعشيرته بل وبني مذهبـه من الحصـار بفتح اسواق الاردن واسرائيل وموانئهما بوجـه تجـارتهم، وتكفّل منظمة الامم المتحدة الاكـراد من النـاحيتين الامنية والاقتصادية.

ومـا زال السـر الـواقعي وراء غــزو الكـويت وعمليـــات عاصـــفة الصـــحراء مخفيّ في طيّـــات

الاحتمــالات، وســيبقى الواقــع في هــذه القضــية مشوش المعالم ـ وإن قرب الاحتمال منه ادنى من قاب قوسين ـ حتى بلوغ سنّ اليأس الـذي حكم بـه قانون السياسة على الحق المسجون في زنزانــات الباطل. والاّ لو سمح قانونها بفضح اسرار الأحـداث فوراً لأنـذر بـذلك أسـاس سـوق السياسـة بـالافول ولما وجد الممثلون في العالم بأسره مسرحاً واحداً لعــرض بــرامجهم المســرحية وهــو خلاف فــرض السياسة. فلنـدع أمـر كشـف الحقـائق الى التـأريخ ولنعد الى المسألة البعثية الكويتية من بدايتها.

ان مشــكلة الخلافــات الحدوديــة بين الــدول قديمة قدم السياسة وقلّما نجد دولتين ليس بينهمــا نقــاش حــول الحــدود. لكن المســألة تختلــف في الحدود العراقية الكويتية، ففي الوقت الـذي تـدّعي فيه الحكومة الكويتية الاستقلال التام أرضـاً وشـعباً وضمن حـدودها الحاليـة الشـاملة لليابسـة والجـزر وبحكم المواثيق الدولية، نسمع الحكومات العراقية المتعاقبة بين المدعية لتمام الاراضـي الكويتيـة وان الكـويت بأكملها كـانت جـزءاً من العـراق اقتطعهـا الاستعمار، وبين من يدّعي ان قسـماً من الشــريط الحـدودي مـع جزيـرتي وربـة وبوبيـان هي الأجـزاء المغتصـبة من العـراق. وكـانت هـذه هي المشـكلة الاساسية المستعصية بين البلـدين والباقيـة بلا حـلّ

وسط الى زمن البعث. ولم تقتصر مشكلة الحــدود بين العراق والكويت بل كانت هناك مشاكل مماثلة بين العراق والسعودية والاردن أيضاً.

وبعد نشوب الحرب بين العـراق وايـران وقفت كل من الدول الثلاث موقفاً ايجابياً لصـالح العـراق. وكلمــا ازدادت الحـــرب لهيبــاً وكــثرت الخســائر العراقية كانت أيدي تلك الدول تدرّ بسـخاء الامـوال والمساعدات على صدام حسين. ولولا تلك المعونة لكان سقوط صـدام أمـر حتمي ولهـذا كـان صـدام يرى ملكي السعودية والاردن وأمير الكـويت أوليـاء نعمـة عليـه وعلى حزبـه ولم يبخـل في شـكر هـذا الفضل والتصريح به كراراً، وكلما مرّ زمـان أطـول على الحـرب كلمـا ازداد احتيـاج صـدام الى اخوته، فأستغلت كل من السعودية والأردن ضعف موقــف صــدام وبادرتــا في مفاتحــة قيــادة البعث وصــدام بالذات حـول مشـاكلهما الحدودية، فلم يجـد البعث بـدّاً من الاسـتجابة لمطـالب الـدولتين لأن الـرفض يعني قطع المساعدات الحيويـة وبالتـالي السـقوط الحتمي، اذن اشــبار من أرض العــراق لا تســاوي شـيئاً مقابـل فقـدان الحـزب السـلطة، لـذلك بـذل صـدام حسـين بعض الاراضـي الحدوديـة العراقيـة الغنيـة بـالبترول والفوسـفات الى الـدولتين ليجـزي بالاحســان احســانهما، وبعــد أيــام قليلــة طبعت

الخارطة الجديدة للعراق لاعـوج فيهـا ولا أمتـا على حدودي المملكتين، واغلقت بـذلك ملفـات القضـايا الحدودية بين العراق والجارتين.

مـرّت أيـام على المصـالحة هـذه واذا بـأمير الكويت يزور العراق برفقـة عـدد كبـير من الـوزراء والشخصـيات الكويتيـة واسـتقبلهم صـدام أحسـن اسـتقبال، وعـرض الوفـد الكويـتي فكـرة تسـوية الخلاف حـول الحـدود، فماطـل صـدام في ذلـك وطلب من الوفد تأجيل هـذه المسـألة الى مـا بعـد الحـرب، ودارت مناقشـات طويلـة بين مسـؤلي البلدين لم تسفر عن نتيجة تذكر. وأصـرّ الكويـتيون على صدام لتلبية مطلبهم لكن صداماً كـان يتهـرب من الاجابة، ولحراجـة موقـف صـدام واحتياجـه الضروري للموقف الكويـتي فقـد كـانت المباحثـات رغم عقمهـا يسـودها طـابع اللين، فلا صـدام يريـد اغضاب الكويتيين ولا الكويتيون ييأسون من رضـوخ صدام، لضعفه واحتياجه، وبسبب ودّية اللقاء طالت المناقشات ولم يتعد جواب صدام الوعود بمناقشـة الموضـوع بعـد الحـرب وكلمـات تعبّـر عن عمـق الاخوة بين الشـعبين وان لا حـدود بين البلـدين وان العراق وطن الكويتيين.

ويبدو ان الرئيس العراقي كان يعبر عن عمـق ما في خاطره تجـاه الكـويت بتلـك الكلمـات، وفي

المقابل حاول الكويتيون استدراج صدام صوب التغاضي عن مطاليب اقليمية بتقديم العون السخي للبعث بوضع الكويت في خدمة القادسية سواء باعطاء الاموال النقدية أو بيع النفط بالنيابة عن العراق، أو السماح لقوات صدام باستخدام الموانئ والجزر والاجواء الكويتية لضرب الجمهورية الاسلامية. وترقب الكويتيون بفارغ الصبر انتهاء القادسية عسى أن يفي صدام بوعده.

وانتهت الحرب وتوجهت الانظار الكويتية الى صدام وحزب البعث المعروف بالطابع القومي والداعي الى الوحدة العربية ومضيف قمة بغداد تلك القمة التي وقف فيها صدام حسين باصرار لاقناع الرؤساء والملوك العرب باضافة بند في بيانها الختامي تنص على حرمة استخدام القوة بين العرب انفسهم مهما بلغت الخلافات، ومن خالف من الدول العربية هذا البند فعلى بقية العرب الوقوف ضد تلك الدولة ومحاربتها!!! فماذا جنت الكويت بعد القادسية؟

أثارت الكويت مسألة الحدود من جديد، وبخلاف ما انتظرت كان جواب البعث الرفض الصريح للطلب، بل ومطالبة الكويت باسترجاع الاراضي العراقية في العبدلي والمطلاع ووربة وبوبيان مما أثار دهشة الكويتيين. لم يكتف البعث

بالرد القولي هذه المرّة بل قرن قوله بعمل جدّي خطير حيث أرسل قسماً من جيشه نحو الحدود الكويتية، وعند ذلك شعر الكويتيون بخيبة الامل. وتوجهت السلطة الكويتية نحو الاخوة والاصدقاء طالبة النجدة والعمل على منع صدام حسين من الاعتداء على الاراضي الكويتية، واستجاب الجميع لنداء الاستغاثة وشرعت الاتصالات من جهات عدّة مع بغداد سيما الدول العربية، لكن صداماً أنكر مزاعم الكويت ونفى التهديد المسلح.

ولما سُئل عن سبب تواجد قواته على طول الحدود الكويتية أجاب بأن هذه القطعات هي التي كانت متواجدة في القاطع الجنوبي من الجبهة أيام الحرب وبعد قبول ايران لقرار مجلس الامن ووقف اطلاق النار سحبت هذه القطعات من الجبهة لاغراض التدريب والمناورة وليس ثمّة نية عدوانية وراء هذا التحشّد ولأجل اطمئنان مسؤولي الكويت الحّ الرئيس المصري حسني مبارك على صدام حسين ليتعهد له بعدم استخدام القوّة ضدّ الكويت ويتعهّد الأخير بذلك، كما بذلت المملكة السعودية صاحبة الفضل الاكبر على صدام حسين في قادسيته كل جهودها لاحتواء المسألة.

وبدأت جهودها بدعوة الطرفين للاجتماع في المملكة وبإشراف الملك نفسه ووافق الطرفان

على هـذا الاقـتراح وانتعشـت الآمـال لسـاعات معدودات وسارعت الوفـود الى المملكـة ولا حاجـة لـذكر تفصـيل المحادثـات فلقـد اعطى تفاصـيلها وبدقّة الملك فهد بن عبد العزيز في عدّة مناسـبات أثناء وبعد الحـرب العراقيـة الكويتية. ولم تـدم تلـك المباحثـات طـويلاً إذ عبّـر البعـثيون عن رأيهم في اجتماع السعودية بما ينـبئ عن اصـرار في أمـر لم يدرك الاطراف مغزاه وبدأت الحشود تتجـه صـوب البصرة من سائر انحاء العراق بكثافة.

كان صدام حسين قد بيّت نية غزو الكـويت من قبـل لكنـه نـاور مـع الاطـراف الوسـيطة أيّـام التحضـيرات لهـذه المهمـة وبعـد ان تمّ كـل شـيء توكـل على اللـه في منتصـف ليلـة ظلمـاء لإرجـاع الفـرع الى الاصـل وضـم الجـزء الى الكل، وزحـف جيشه بأمر مباشر منه ليحسـم صـبيحتها المشـكلة ويضـع النقـاط على الحــروف في مسـألة اختلاف الحدود مع دولة الكويت، فلا دولة باسم الكويت بعد اليوم بل هي محافظة الكـويت العراقية. لكن هـذه المسرحية بـدأت بفصـل كوميـدي مضـحك لا بـأس بالتعرض له تبياناً لبعض حقائق وصور حــزب البعث العربي الاشتراكي.

ان قيادة الحزب لم يعلن في اليوم الاول شـيئاً عن جريمة الغـزو وكـانت القضـية بحسـب الروايـة

البعثية كالآتي: **اعلان من مجلس قيادة الثورة** في بغداد صبيحة يوم الغزو جاء فيه أن انقلاباً وقع في دولة الكويت قام به عدد من أبناء العروبة وبتأييد مطلق من شعب الكويت العربي المسلم الشقيق. واضاف: لقد زلزلت الارض زلزالها بقارون الكويت... الخ واستلمت الفئة المؤمنة مقاليد السلطة في البلاد وان حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق إذ يهنئ الثوار من الصميم ويبارك لهم خطوتهم الجبّارة يعلن عن وقوفه بكل قوة مع القيادة الجديدة... هذه المضامين كانت تشكل نبأ البعث الذي طرق أسماع العراقيين وشعوب العالم من إذاعة بغداد منذ الساعات الاولى للغزو. والبعث ان كان يريد بذلك تمرير كذبة على شعوب العالم فهو يعلم جيداً أن تصديق ذلك غير ممكن بالنسبة لشعبي العراق والكويت فكلا الشعبين على يقين بما حدث، اما العراقيون فقد دروا بوجهة أبنائهم الذين استضعفهم صدام حسين بل أحاطوا بالغزو علماً قبل وقوعه. وأما الكويتيون فقد عرفوا اللصوص بسيماهم وفي لحن قولهم، فأرتال الآليات العراقية والدبابات التي باتت تجوب مدنهم وجنود صدام الذين أسرفوا فيهم القتل لا يحتاجون معها الى دليل يثبت أن الغزاة بعثيون.

وهكـذا ينتهي المشـهد الاول بـاحتلال الكـويت تحت غطاء الانقلاب المزعوم ليبدأ المشـهد الثـاني وهو الاعلان عن القيادة الجديدة في دولـة الكـويت وتعـيين مجلس وزراء، ووزراء والتهـاني والتأييـد تتبادل بين بغـداد وقيـادة الكـويت الرشـيدة واعلان حكومة البعث عن الاستعداد لتقديم العون وتوسـيع أفق التعاون الاخوي بين البلـدين الشـقيقين، ويتبـع ذلك دعوة القيادة الكويتيـة المصـطنعة قـادة البعث في العـراق الى الوحـدة الاندماجيـة بين البلـدين ويلبي البعث تلك الدعوة في غضون ساعات وتمت الوحـدة بين البلـدين في أقـلّ من أربـع وعشـرين ساعة، وقد أعلن عن هذا الاتحاد رسماً وأُفهم علناً.

وتمضي المسرحية في مشاهدها المضحكة في عرض سريع، يغير أجواءها بسرعة صوت الاستنكار العالمي لهذه اللعبة القذرة، فلقد أصبح العالم يـوم الغـزو بين مصـدق ومكـذب، ولكن سـرعان مـا انكشفت الحقيقة إذ أن تشرّد شعب كامـل لا يمكن أن يبقى مكتوماً ببوق الكذب فالحقائق التي حملهـا المشرّدون من أبناء الكويت عن الاوضاع في بلدهم وقعت فوراً في قبضـة وكـالات الأنبـاء ومـا أمسـت المحطات الاذاعية إلاّ وحديث غزو العـراق للكـويت في صدر نشراتها الاخبارية وبتفصيل دقيق.

ويسـتنجد حكـام الكـويت فجـر يـوم الغـزو بـا

لاصــــدقاء ولكن دون جـــدوى فــــالقوّات الهائلـــه المدججة باحدث الأسلحة سلبت كل فرصة لتقـديم النجدة، فيلتجيء مسـؤولوا الكـويت وعلى راسـهم الامـير الى المملكــة العربيــة السـعودية هربـاً من قبضة الغزاة وطلبـاً لمخـرج لهـذه الازمة.. ويجتمـع مجلس الامن فـوراً ليـدين العـراق صـراحة ويقطـع الطريق على البعث في توجيه الجريمة بادلّة دامغة لايمكن لصدام انكارها. وهكذا يضطر صدام حسـين في رفع الستار عن مسـرح الـدجل البعـثي بعـد ان فضـحت شـمس النهـار اثـار تلصصـه فظهـر ليعلن على رؤس الاشهاد دون خجل عن كذب الادعـاءات والبيانات البعثية التي صدرت من القيادة والتصـريح بان العمل كان من فعله وانه غزا الكويت لانها جزء من العراق اقتطعها الاسـتعمار منـذ زمن ولابـد من رجوعه الى الأم، كما اعلن عن ضم الكويت رسميا وانهـا المحافظـة التاسـعة عشـرة وانــه قـد عيّن محافظاً لادارة شؤونها.

هكذا انكشفت الاوراق واسفر حزب البعث عن وجهه القبيح واسـاليبه القـذرة في معالجـة الامـور. والعجيب اصــــراره على مشــــروعية فعلتـــه رغم الاسـتنكار العــالمي وادانــة مجلس الامن وتهديــد الدول العظمى له واستمراره في غيـه دون مبـالاة ودون التفكـير في عــواقب الامــور ومـا يمكن ان

يجلبه من ويلات على شعب العراق المبتلى الذي كان مازال يئن من القادسية السوداء. ولاءات صدام حسين معروفة مشهورة... أما ماذا جرى على الكويتيين والكويت فذاك ما عاشه شعب الكويت ايام الاحتلال وقد كشف الاعلام جانباً من الجرائم التي ارتكبت بحق هذا الشعب المسكين...

ان تلك الجرائم وان كانت الجزء البسيط من جرائم صدام حسين وحزب البعث الذي نعرفه وحزبه نحن كعراقيين، لكنها كانت كارثة بالنسبة للكويت ولايستطيع شرح دقائقها الا الذين احترقوا بنارها فالذي عندنا من حقائقها لاتتجاوز المفردات التي نقلها بامانة بعض الجنود العراقيين الذين شاهدوا جوانب من الجريمة بأم اعينهم من تلك المشاهد التي تقشعر منها الجلود، فما اقبح حزب البعث وما اقبح فعاله، فالقتل واسر المدنيين وسلب اموال الناس والاعتداء على الاعراض وكل جريمة مخلة هي سمة من سمات هذاالحزب. اما حصة شعب العراق من ملحمة صدام الجديدة هذه ـ والتي يهمنا ذكرها ـ فيمكن توزيعها في وجبتين مختلفتين. سماط ايام الاحتلال وسماط اكبر بعد الرد الدولي وتنازل صدام عن الكويت.

اما الوجبة الاولى فقد اشتملت على:

1ـ سمعة مشوهة للعراق بسبب القبائح التي

ارتكبها البعثيون في الكويت.

2ـ اجبار العراقيين على اكل الحرام بعد توزيع المواد المسروقة من مخازن الكويت. وعرض ما نهبه البعثيون من أموال الشعب الكويتي المسلم في الاسواق العراقية.

3ـ اشتراك الناس في التظاهر بالرضا من الجريمة بعذر الخوف بداية الغزو وما البسهم ذلك من شعور بالحزن والألم بسبب عذاب الضمير اضافة الى الاحراج الذي واجهوه من سوء فعل القيادة البعثية.

اما الوجبة الثانية: فهي اكثر مرارة ولقد أنست أم المعارك أيام القادسية رغم قلة مدتها، وأذكر هنا بعض نتائجها:

أ ـ تحطيم القوات المسلحة العراقية بعد ان خسرت آلاف الدبابات والمدرعات ومئات الطائرات وتدميرالمطارات ومخازن العتاد والمعسكرات.

ب ـ تدمير شبه كامل للمرافق الاقتصادية ومنها المصانع والمنشآت النفطية والجسور ومراكز الاتصالات ومنشآت توليد الطاقة وغيرها الكثير.

ج ـ أكثرمن مائةالف ضحية اخرى أضيفت الى قائمة خسائر العراق البشرية.

د ـ اهانة الشعب العراقي بما فرض عليه من

العزلة الدولية باسم معاقبة صدام.

هـ ـ تدني الحالة المعاشية للعائلة العراقية بشكل خطير جراء الحصار المفـروض وابتلاء الشـعب بـأمراض اجتماعيـة كثـيرة نتجت من الحصـار والفقر اضرت بشخصية العراقي.

و ـ عدم تحقيق أي مكسب إقليمي من ذاك الذي كان يدّعيه البعث قبل أم

المعـارك، بـل كـانت النتيجـة عكسـية حيث فقـد العراق الكثير من أرضه وموارده في

التخطيـط الـدولي الجديـد الـذي فرضـته الامم المتحدة على صدام.

ز ـ فرض الوصاية الدولية على العـراق وإشـراب العراقيين كأس العبودية من جديد.

ح ــ هـدر أمـوال الشـعب الفعليـة والمسـتقبلية بتعريضها للتدمير وتحميلهم مليارات الـدولارات من الديون تعويضاً لخسـائر أم المعـارك والـتي فــرض مجلس الامن على العــراق دفعهـا الى الكـويت ودول التحـالف المتضـررة من جـرّاء الحرب في الوقت الذي لم يتم فيه بعـد تحديـد خســائر ايــران وفــق القــرار 598 الحــاكم بالتعويض بعد تحميـل العـراق مسـؤلية إشـعال نار القادسية.

هذه هي بعض أصناف الطعام المسـموم الـتي

ســطّرها البعث على مائــدة أم المعــارك وقــدّمها وليمة للشعب المسكين الذي بات يتلوّع من مرارة الطعم العفلقي منـذ أول يـوم عـاد فيـه الفـرع الى الأصل وبمـرأى ومسـمع من شـعوب العـالم أجمع.

لكن هل كانت هذه الوليمـة هي آخـر مـرارة ذاقهـا الشعب من يـد أبطـال التحريـر من رفـاق الحـزب والثورة؟ الجواب في المشهد التالي.

حرب البعث ضد الشعب
الانتفاضة الشعبية عام 1991م والقمع البعثي

الغريب ان حـزب البعث لم ينفـك عن الحـديث باســم الشــعب منــذ دخولــه العــراق والى الآن، وتفسيره كل تقلبات الحـزب على اسـاس مصـلحة الشـــعب والامة. في حين لم يكن نصـــيب الامـــة العربيـة والشـعب العـراقي من هـذا الحـزب غـير الدمار والخسران. فاي شعب هذا الذي يذرف عليه البعث دموع التماسـيح؟ وايـة امـة تلـك الـتي ينـوح عليها صدام حسين؟.

ان ملاحظة الاحداث الـتي رافقت مسـير ثـورة البعث في العراق تضـع النقـاط على الحـروف في جواب السؤال المتقـدم، فالشـعب في نظـر البعث لايعني اكـثر من اعضـاء القيـادة القطريـة والرفـاق اعضاء قيادات الفرق والشـعب مسـؤلي منظمـات الحـــزب في انحـــاء القطر، الـــذين ردد وا القســـم بشـرف الحـزب ومقدسـاته في البقـاء على العهـد البعـثي والتفـاني من اجله. امـا ملايين العراقـيين سـواهم فهم غوغـاء لاتشـملهم كلمـة الشـعب في المنطـق البعـثي لـذا فـان سـعادة الشـعب تعـني سـعادة اولئـك النفـر وإن تمّت تلـك السـعادة على حساب كل شـعب العـراق. فالرفـاق هم كـل شـي فهم العـراق وهم الماضـي وهم المسـتقبل وليس

من العجب ان نسمع صدام حسـين بعـد ان انتفض الشعب العراقي باجمعه عام 1991 وهو يقـول ان هؤلاء الغوغاء يتآمرون على ماضي العراق وحاضره ومستقبله. فالعراق في نظر صـدام حسـين يتمثـل في عصـابة البعث ولا عـراق من غـير البعثـيين ولتوضيح هـذا المطلب ولبيـان عمـق الكارثـة الـتي حلّت بـالعراقيين بتـولي حـزب البعث العـربي الاشتراكي زمام الامور في العراق لابد من الاشاره الى اهم حـدث في تـاريخ العـراق والـذي وقـع بعـد انتهاء حرب الكـويت لنختم بـذلك هـذا الشـطر من مسلسـل البعث الاجـرامي ولننتظـر الايـام المقبلـه لـنرى مـا يقدمـه من ارشـيفه من حلقـات جديـده مكنونة في خزانة اسراره.

لقد انتهت الحـرب الكويتيـة الـتي اطلـق عليهـا صـدام حسـين اسـم (أم المعـارك) وجـورج بـوش اسم (عاصـفة الصـحراء) بكيـل اكـبر من الخسـائر والمآسي لتضاف الى بيدر كوارث حزب البعث في ارض العـراق المبتلاة، وبلـغ الشـعب بنهايتهـا نهايـة اليأس والجزع، فلقد زلـزل من جـرّاء فعـال البعث زلزالاً شديدا ووصل الكبت في صدورهم الغليـان اذ طال الصبر على البلاء فبدأت بـراعم الغيض تقلبهم ذات اليمين والشمال ولذعـة الجـراح يفصـم عـرى اللجام لتنطلـق الالسـنة بالهـذيان، ودوّى بـذلك لهم

ضجيج مزق استار الخوف التي اسدلها البعثيون على النفوس بحد السيف.

وكانت للنهاية المخزية لأم المعارك الدور الكبير في توفير المناخ الملائم للعراقيين المستضعفين ليعبّروا عن رايهم ويقولوا كلمتهم الفصل في حق الحزب الذي طالما استغل ضعفهم في مآربه وسار في مسالك الهالكين تحت غطائه وباسمه زوراً ودجلا ليبيع في سوق الاستعمار الشعب باسم الشعب وينقل خيراته الى جيوب الاجانب تحت شعارات مصلحة الامة والوطن الزائفة كل تلك المدة... .

لقد همهم الشعب المسكين بكل ثقة في افتعال مسألة الكويت من قبل الاستعمار كسائر افاعيله التي نفذها البعث نيابة عنه بعد لمسه نتائج الجرائم القديمة والوهن الذي اصاب قواه جرّاء تحمله اعباء الالاعيب السابقة، فما لشعب العراق واراضي الكويت واموال الكويتيين، اما يكفيه نزف الجراح عن الفكر في جرح جديد. انها كانت ارادة البعث بوحي من عدوٍ للعراقيين ذلك العدو الذي شوق الاردن واليمن ومصر قبل احداث الحرب على التكاتف مع العراق وبايجاد كتلة عربية جديدة تحت عنوان دول التعاون العربي لظاهر المصلحة العربية في حين كان يحمل في باطنه خبث

الاستعمار في ضرب العرب بواسطة العرب انفسهم. فهذه الدول الاربع تشكل حزاماً حول شبه الجزيرة العربية بكامل دولها الخليجية ومن طمع في هذه البقعة الغنية بالمواد فلابد له من ان يؤمّن الجبهات المتاخمة التي يمكن ان تكون منفذاً للرقباء وقت الكر على هذا الصيد الدسم فلم تكن الكويت وحدها المقصودة بالغزو بل كانت الخطوة الاولى لجس النبض العالمي بها في طريق المضي قدماً نحو بقية الاهداف...

وثبت بهذا الجس يقضة الرقباء الذين عبروا عن وجودهم في تكتل دولي ضخم كما ثبت ايضاً ضعف اللص الجديد الذي اراد استغلال عصا البعث. وما يدريك من هو؟ فلربما كان احد منافقي الحلفاء انفسهم وقف بوجهه الآخر في الجبهة المضادة دفعاً للشبهة والاّ فالمتيقن ان القصة لم تكن من تاليف واخراج صدام حسين وحده كما زعموا ذلك، وتلقى العراقييون صفعتهم في هذه اللعبة من جبهة التحالف المضاد تلك الصفعة التي ايقضتهم من سبات طويل حيث لمسو ضياع كل شيء المال والنفس والكرامة.

ومنه ارتفعت الاصوات البريئة فبدأت الصيحة اول الامر من اقرب نقطة للمنطقة الساخنة وهي البصرة حيث هب اهلها الى الشوارع وهم يرون

اثـار الهزيمـة في وجـه الجيش البعـثي المنـدحر ويتحسسـون عمـق الانهيـار في نفـوس الكتـل المدججـة بالسـلاح ويسـمعون عـبر وسـائل الاعلام العالميـة كلمـات الذلـة والهـوان من ممثلي صـدام حسـين في اجتماعـات صـفوان والمتمثلـة في نعم لكل شيء وما يعني ذلـك بالنسـبة لشـعب العـراق وكرامة العراق. فينتهز الناس فرصة الهزيمـة هـذه للانقضاض على المهزومين في مراكزهم ليسـتولوا ما استطاعو على اسلحتهم ليتكلموا بهـا مـع حـزب البعث الذي اثبت انه لا يجيد الا لغة السلاح، وتمكن الجمهـور من السـيطرة على مركـز المدينـة بعـد اسـقاط اوكـار العملاء من المنظمـات الحزبيـة ومراكز الامن والاستخبارات والشرطة والاسـتحواذ على ما فيها من سلاح وعتاد.

وشاع الخبر بسـرعة الـبرق في انحـاء العـراق وانتعشت بذلك الآمال في نفوس العراقيين ودخـل الرعب واليأس في قلوب البعثيين. وبـدأت اذاعـات العـالم بنشـر خـبر انتفاضـة النـاس في البصـرة، والعالم بما فيه الاستكبار في ترقب حذر لمجريـات الامور والتوقعات باتت اكيدة في حـدوث امـر هـام قد يضع نهاية للحكم البعـثي المتسـلط على رقـاب الشعب العـراقي... وبـذلك ازداد العراقيـون ايمانـاً بفرصـة العمـر فرصـة الانتفاضـة والثـورة وسـيلة

للنجاة من كابوس البعث الرهيب.

لقد بـدأت شـعلة الغضـب الكامنـة في نفـوس عامة الناس بالاتقاد لتدفع الانسـان في لاأباليـة مـع علمه بما ينتظره من المخاطر نحو سـاحة التحـدي تلك الساحة التي منعهم من الظهـور فيهـا الخـوف الناجم من ارهاب البعث. واتخذت المـدن العراقيـة طبعاً غـير مـألوف من قبـل حيث انطلقت الحنـاجر بكل إيمان وثقة بقول كلمـة الفصـل المـوت للبعث والموت لصدام ليسقطوا بذلك كل شعارات الزيف التي تظاهر بها الحزب الحاكم منـذ توليـه السـلطة وبالاخص شعار البيعة المفتعل الـذي دأب البعـثيون في تحميله على الشعب ليثبتوا بذلك شعبية النظام ومحبوبية القائد الرمز....

ولم يكتــف العراقيّــون هــذه المــرّة بــاطلاق الشعارات بل قرنوا قولهم بفعـل بطـولي بـالهجوم الشـعبي الشـامل على اوكـار العمالـة في المـدن والقصـبات بقلب مطمئن بالنصـر ويـد خاليـة من سلاح وقد شاء الله لهم الغلبة بادئ الرأي اذ أدخـل في قلـوب البعثـيين الـرعب ليتمكن الجمهـور من السيطرة على مراكز قوة السلطة في المحافظات بعد قتلهم جمعاً من رجالات البعث الذين وقفوا في صـدورهم دفاعـاً عن حـزب البعث كمـا قتـل من الناس جمـع على يـد البعثـيين، ولاذ بـاقي البعثـيين

بالفرار وقد شملت هذه الثورة اربع عشرة محافظة من محافظات العراق وتحررت الواحدة تلو الاخرى مع كامل اقضيتها ونواحيها في ايام معدودات واصبح الشعب هو السيد فيها دون منازع اذ لم يبق للنظام فيها اثر.

وحاول بعض الجهات التشويش على هذه النهضه بالتشكيك في اصالتها واتهام ايران تارة بأفتعالها وامريكا تارة اخرى ولأجل القاء الضوء على هذا الجانب نطرح بعض الأسئلة ثم نجيب عليها. ترى من كان في الحقيقة وراء ما حدث في العراق؟ فهل امتثل الشعب العراقي لأوامر بوش كما زعم البعض؟ أو كانت الجمهورية الاسلامية الايرانية وراء ذلك كما ادّعى آخرون؟ أم كانت الانتفاضة من اختراع العراقيين انفسهم دون اي تدخّل اجنبي؟

إن الجواب على هذه الأسئلة ـ اضافة الى كونه ضرورة لا مفرّ منها لكل من تطرق في هذا الموضوع ـ مسؤلية يجب ان يتحملها أي عراقي يدّعي الاخلاص لشعبه ووطنه وأي مسلم تعاطف مع قضية هذا الشعب. اذ ليس من السهل الحكم على انتفاضة شعب راحت ضحيتها مئات الألوف من البشر ما لم يكن الحكم مبنياً على اساس ثابت يظهر الحق بجلاء ليكون تبياناً للشعب العراقي

ودرساً للشعوب المضطهدة الاخرى.

من اجـل ذلـك قـدّمنا الخـوض في تفاصـيل الاجابـة عن سـؤال (من كـان وراء الانتفاضة) على بيان الجوانب الاخرى فنقول:

1ـ اوضاع الشعب قبل الانتفاضة: ان أحـوال الشعب العراقي لم تكن بخافية على أحـد طـول مدة حكم البعث، فما تلقاه الشعب من سياسات هذا النظام من الخسائر المعنوية والمادّيـة كـانت كافيـة لزعزعـة عقيـدة المواطـنين بمن فيهم المنتمين الى الحـزب بـالحزب وقيادته، فـالقلوب كانت مليئة حقداً وكراهية، والكبت جرّاء سـلطان البعث وقسوته صار من سمات حيـاة العراقـيين، فمن يتجـرّأ في انتقـاد النظـام ومـا كـان مصـير الآلاف التي خانهـا اللسـان بكلمـة غـير الحصـاد؟ لـذلك كـانت البـواطن متنفـرة والتظـاهر بـالولاء والتصـفيق للنظـام واجب لمن اراد البقـاء وليس أدل على ذلك من قول صـدام حسـين المشـهور (الذي لا يدخل تحت خيمة الحـزب ليس لـه حـق الحيـاة) وهـو بـالقطع واليقين يعـني مـا يقـول... لكن باضـعاف هـذا القـدر من التظـاهر كـانوا يتطلعـون الى فرصـة النجـاة من مأسـاتهم اذ طالت مدة البلاء فمنذ سـنة 1963 هم في هـذه الحالة المأسـاوية، وهي مـدّة من العـذاب كافيـة

لنفاذ صبر أي شعب مهما كان جلـداً. فلقـد بلغت الآلام حـداً تمنّى العـراقي معـه المـوت أو النجـاة بأية وسيلة وهذا القـدر من المضـايقة أزاح جانبـاً من حاجز الخوف الذي كان مسـتولياً عليهم قبـل ذلك اذ بدأ الناس بالحديث والتظلم واظهار عــدم الرضا من السلطة حتى استولى هذا الجو الجديد على مجالسـهم ومحـافلهم لاسـيما أثنـاء حـرب الكويت فمـا من اثـنين الاّ ويـدور بينهمـا الحـديث عن مآسـي الماضـي والحاضـر وكيفيـة الخلاص لكن في الجو الخالي من عيـون السـلطة. فـإذن كانت الارضية الجماهيرية مهيأة تماما لقبول بذرة اي تحول.

2ـ تأثير الإعلام المضاد لحكومـة البعث في الوسط الجماهيري: لا ينكر أحد تاثير أصـوات المعارضـة الداخليـة أو الخارجيـة عـبر الإذاعـات المختلفة فالنـاس يسـتمعون دون شـك لإذاعـات العـالم سـيّما لنـدن ومونتكـارلو وصـوت أمريكـا وإذاعة طهران أملاً في سماع المفرح من الأخبار الـتي تخص العـراق وكـانت لتلـك الإذاعـات الأثـر الإيجابي بكشف حقائق كثـيرة كـانت خافيـة على شرائح كبيرة من الشعب.

لكنّ هذا التأثير لم يكن أكثر من حصـولهم على حجج جديدة ضد الموالين لحزب البعث يحتجون بها

اضافة الى ادلتهم وإلاّ فالعراقيون يعلمون جيـــداً أن أغلب تلك الابواق كانت مع صدام حسين الى قُبيـل غزو الكويت وشهادة أعداء الأمس أكثر نفعاً وتأثيراً من شهادة صديق فها هو عدو الامس يعترف بكثـير من تلك الجرائم التي ارتكبها صدام ضد شعبه بتأييد منه في حين رأينـاه قـد لـزم جـانب الصـمت وقت وقوعها فكان في هذا الاعلام قوّة دفع للمجتمع في الســير نحــو حقوقــه لا أن يكــون الأســاس في تحـريكهم. فالشـعب قـد بـدأ تحرّكـه عنـدما كـانت الاذاعات تلك مشـغولة بالمـدح والثنـاء على صـدام وحزب البعث، متهمة الشعب بالتعنصر والعمالة.

أمّا مطالبة الرئيس الأمريكي جـورج بـوش من الشعب العـراقي التحـرك لإسـقاط صـدام حسـين عبر اذاعة صوت امريكـا فلم تكن أكـثر من منـاورة أراد بها أمرين:

- **الاول:** إثبـات مركزيتـه وشخصـيته للأمريكـيين باستجابة الشعوب لندائه ليستغل ذلـك ورقـة في كسب الأصوات اللازمة للانتخابات القادمة.
- **الثـاني:** تشـويه الحركـة الشـعبية في العـراق ليصـيد هـو في المـاء العكـر بعـد الوقـوع. والاّ فالرئيس الأمـريكي جـورج بـوش كـان على علم مسـبق بمجريـات الأحـداث داخـل العـراق وعلى

يقين بوقوع الثورة سـواء طـالب أم لم يطـالب..
وقد أثبتت الأيام هذا النفـاق إذ أنّـه بعـد اطمئنانـه بـأن الجمـاهير العراقيـة تسـير بخطىً ثابتـة نحـو هدفها دون أن تلـوح لجـورج بـوش من قـريب أو بعيد كلمـة تـرحيب أو موضع قـدم من الشـعب، انقلب على عقبيه بعد إعلان الانتفاضـة وسـيطرة الشـعب على ثلاثـة أربـاع العـراق تقريبـاً ليحـوّل الإعلام الأمـريكي على الشـعب ولصـالح صـدام حسـين وليمـد يـد العـون الى المجـرم ــ الـذي اعــترف هــو بجرائمــه ودعى الى الاطاحــة بــه ومحاكمته كمجرم حرب ـ بالسماح لـه باسـتخدام القوة بما فيها الطائرات ضـد الشـعب بـل ويضـع طائرات التحـالف والاقمـار الصـناعية في خدمتـه بهداية فلول جيش صدام نحو نقـاط الضـعف في جبهـات الجمـاهير وهـذا مـا لا يغفـره الشـعب العراقي لحكومة أمريكا ما دامت الأيام.

فأين قول من يقول بأن الإنتفاضة كانت بـوحي أمريكي من أفعـال جـورج بـوش تلك... نعم أرادت أمريكـا اسـتغلال الفرصـة دون جـدوى من حركـة العراقـيين فلمـا أبى الشـعب ذلـك عـادت لتفضـل صدام على الشعب، فمدت يـد غـدرها مـرّة أخـرى لتحمّل نفسها وزراً على أوزارهـا السـابقة في حـق هـذا الشـعب المظلـوم. وتأكيـداً للـدور الأمـريكي

الخبيث نشير لبعض تصرفات بوش مع السير التصاعدي لانتصار الثورة:

أ) ـ عقد اجتماع في صفوان بين ممثلي القيادة العسكرية العراقية وممثلي التحالف أجازوا بموجبه لصدام حسين استخدام الطائرات المروحية شريطة عدم تقربها من قوات التحالف. وبوش يعلم أن طلب صدام السماح له باستخدام المروحيات كان لأجل ضرب الجماهير الشعبية.

ب) ـ فك الحصار عن قوات الحرس الجمهوري المحاصرة بين البصرة والناصرية

والحدود السعودية الكويتية لتتجه شمالاً مع كامل اسلحتها دون شروط مسبقة، في حين كانت امريكا قبل ذلك مصرّة على نزع سلاح تلك القوّة المحاصرة كشرط لاخلاء سبيلها. وماكان ذلك الاّ ليساعد دولة البعث في قمع الانتفاضة.

ج) ـ شن حرب نفسية على الشعب عبر إعلامه بإشاعة الاكاذيب عن انتصارات وهمية لجيش صدام وانهيار المقاومة الشعبية مما كان له الأثر الكبير في معنويات الجماهير المنتفضة، إذ ان انقطاع الاتصالات والمواصلات بسبب القصف الامريكي حال بين وصول انباء الانتفاضة وانتشارها فاستعان الناس باجهزة

الراديو سيما اذاعات امريكا ولنـدن ومونتكـارلو والـتي كـانت جميعهـا تنطـق عن لسـان بـوش بحكم التحالف فاذا بهـا جميعـاً تبث انبـاءً بعيـدة عن الحقيقة تزرع الياس في النفوس.

د) ـ الايحـاء الى الاكـراد بـترك مـدنهم بعـد اول صِدام لهم مـع القـوات الحكوميـة في كركـوك ولذا لم نجد من الاكراد اية مقاومة تذكر بعـدها بل آثرو الخروج بالملايين صـوب ايـران وتركيـا وكان ذلك من اجل تمكين صدام من اسـتخدام كامل قوّته ضد الانتفاضة في الوسط والجنـوب واستغلال هذا الموقـف اعلاميـاً لبث الـذعر بين الناس، فقد اعلنت اذاعـات التحـالف في وقت واحد مساء الانسحاب الكردي ان قوات صـدام استطاعت خلال يوم واحـد من السـيطرة على كامل كردستان العراق ـ الامـر الـذي لم تتمكن منه تلك القـوات عـبر العشـرات من السـنين ـ وكان لهذا النبأ الأثر السـيء على الموقـف في وسط وجنوب العراق. هذه بعض مواقف بوش فكيـف نوفـق بين هـذه المواقـف وبين الادعـاء بأن الانتفاضة كانت بوحي من بوش؟

الثـــالث: ضـــلوع الجمهوريـــة الاســـلامية في المسألة: فهو الآخـر بعيـد عن الانصـاف بالشـكل الذي روجـوا لـه ولاشـك أن اسـاس هـذه التهمـة

ناشيء من خطأ التقدير في العلاقـة بين مطالبـة شيعة العـراق حقوقهـا وحركتهـا في هـذا الاتجـاه وبين موقـف الجمهوريـة الاسـلامية من حكومـة البعث، فقـد تـوهم القـائلون بهـذا الـرأي في أن شيعة العراق وبسبب التوافق المذهبي مع ايـران يجدون انفسـهم ملـزمين في تلقي أوامـرهم من القيادة الاسلامية في ايران، وان ما قاموا بـه هـو من محض هــذا المنطلــق ولمجــاورة البلــدين والعداء السـابق بين البعث وايـران فقـد انتهـزت ايران فرصة ضعف العراق فأوعزت الى الشـيعة للقيـام ضـد السـلطة والاطاحـة بها. وهـذا هـو الاختلاق.

صحيح ان الجمهوريـة الاسـلامية تتعـاطف مـع المسلمين عامة والشيعة خاصة وتتمنى لهم توفيـق التحريـر من نـير الظلم الا ان ظروفهـا السياسـية والاقتصــادية في الــوقت الــراهن لا تســمح لهــا بالوقوف شريكةً لحركة قويـة مثـل حركـة الشـعب في العراق فضلاً من ان تكون اساساً وراءهـا فآثـار الحرب وفرض الحصار الـدولي والموقـف السـلبي للدول منها وتربص الاعداء كأمريكا وغيرها كل تلـك عوامل غير مساعدة لإيران في التورّط بمثل قضية العراق بـل فسّـر العراقيـون وغـيرهم مسـألة غـزو الكويت بأنها كانت لعبة لتوريط ايران بهـا حجـة في

ضـربها وان الاسـتعمار لم يكن في يـوم مـا لا قبـل الحرب ولا بعدها يكنّ في قلبه شيئاً لصدام حســين رغم الاستنكار الظاهري لعملية غـزو الكـويت وهـل تبقى امريكا التي قتلت الشعب العراقي دفاعـاً عن صدام حسين مكتوفة اليد ازاء تـدخّل ايـران. وهـل يمكن أن تورّط ايران نفسـها وهي تـدرك الموقـف الامريكي جيداً..

وربما كان منشـأ الظن هـو فتح ايـران المجـال للمضــطرين من العراقــيين لــدخول اراضــيها من المعارضــين لنظــام الحكم والســماح لهم بإيجــاد تشـكيلات سياسـية وربمـا عسـكرية أيّـام الحـرب العراقية الايرانية كمـا فعلت العـراق نفس الشـيء مع المعارضة الايرانية. لكن الـذي وقـع في العـراق ايــام الانتفاضــة كــان اكــبر بكثــير من حجم تلــك الحركات المتضادة هنا وهناك وقد تكون لبعض تلك الحركــات اصــابع في القضــية الاّ انهــا لم تتعــدّ المشـاركة المتواضـعة الـتي لم تفلح في اسـتغلال الهيجان الشعبي في السباق لكسـب قاعـدة أوسـع في السـاحة العراقية. ولعمـري انهـا تـراجعت أول الطريق، بعد أن مسّتهم شرارة من نار الكر والفـرّ ولربمـا ارغمـوا على الانسـحاب بعوامـل اخـرى اذ ليس الظن بالمجاهدين انهم تحرّفوا عن القتال من غير سبب.

ثم ان ظاهر الموقف الايراني أيام الانتفاضة كان لصالح صدام والحكومة البعثية، فعندما اعلنت امريكا الحصار على العراق انقطعت سبل الامداد وشحّت المواد سيما الغذائية، وبدأ مفعول الجوع يترك اثره في كافة الطبقات فاتحدت بذلك الاصوات الاعتراضية على الحزب الحاكم وكاد دوي الصوت المتحد ان يزلزل عرش الطاغية في بغداد، وفجأة بدأت المواد الغذائية تنحدر نحو العراق من الحدود الايرانية ـــ واني وإن كنت على يقين من حسن نية ايران في هذا التصرف وأخذها حال المسلمين بنظر الاعتبار لتخفف عنهم آلام الجوع المفروض عليهم من جراء جريمة يرتكبها حزب البعث الا ان الواقع يجب ان يقال ـــ فان هذا التصرف مع ما فيه من حسن النية الا انه كان له الاثر السلبي في موقف الانتفاضة.

إنّ المواد الضرورية التي دخلت العراق كانت تقع في يد البعثيين لتباع بعشرات أضعاف سعرها الواقعي فلم يتمكن من شرائها الاّ الاغنياء، وهم من بعد شبعهم انسحبوا من الساحة ولزموا الصمت ليبقى صوت الفقراء وحده وهو غير كاف في تحقيق هدف كبير مثل هدف الانتفاضة. وكانت سلبية التصرف من هذه الناحية، اذ ان مضايقة السلطة المتزلزلة كانت اكثر اهمية من اشباع

البطون الجائعة، واغلب الاغنياء اذ نزلوا في ساحة الانتفاضة ليلعنوا صدام وحزب البعث مع الناس انما اجبرتهم شحة المواد الغذائية التي لم يتعودوا على تحمّل فراقها، فلما توفّرت في السوق لم يحل الغلاء بينهم وبين التملي منها، فاشتروا الكفاف وعادوا الى منازلهم ولزموا الصمت بعد ان لانت حناجرهم وهل ينبغي القول بعد هذا بأن ايران كانت اساساً وراء الانتفاضة.

الرابع: ضعف القيادة بل وفقدانها: وبقاء الجماهير المستولية على المحافظات مدة اسبوعين دون تكليف، خير دليل على شعبية الحركة، فلو كانت المسألة من تدبير خارجي أو حزب داخلي معين لاستغلت الموقف خير استغلال ولانتصرت حتماً لتوفر مستلزمات النصر ولما كانت للانتكاسة مجال بعد الانهيار التام للسلطة والجيش، ولا انكر بهذا تدخل بعض الاحزاب المعارضة في هذا الصراع الوسيع بل ربما كانت الجدحة الاولى من زنادهم فقد تمكنوا من سوق الجماهير المتضررة صوب المراكز البعثية الا انهم مع الاسف لم يكملوا رسالتهم اما لضعف قياداتهم واما انهم كانوا طلاب عافية اكتفوا بزج الشعب في ساحة القتال أملاً في ان يعبّد الشعب لهم طريق السلطة.

لقد توقعت الجماهير العراقية وخصوصاً الشيعة المظلومة من قيادات المعارضة الموجودة خارج العراق دخول الساحة واستلام المهام لاكمال المسيرة لكنها كانت محض توقعات وامنيات انتهت باليأس والاحباط، وقد اكتفت قيادة المجلس الاعلى بادخال البعض القليل من قواتها لكنها سرعان ما انسحبت واختفت ولم يتضح سر تلك المناورة في الوقت الذي كان من الواجب على جميع دعاة حماية الشعب من الدخول في الساحة بعد أن ورّطوا الجماهير في حرب شاملة لامخرج منها الا بالنصر لأن الهزيمة فيها تعني عبودية الشعب.

ولم يبخل الشعب بشيء في هذا الصراع وقدّم عشرات الالوف خلال اسبوعين من القتال الشرس، لم ينقص الشعب في هذا الصراع الاّ قيادة منظمة توجه الطاقات الهائلة لاحراز النصر، وفشل الحركة دليل على عدم التنظيم والتوجيه اذ انتهت بأسر الشعب من جديد ويأس طلاب السلطة من بلوغ مناهم بضياع الفرصة، فعاد كل منهم الى مقر عمله الدائم تاركاً العراق لصدام حسين، والعراقيين للاقدار حيث تلعب بهم عاصفة الانكسار في الداخل والخارج.

اذن لا ايران كانت وراء النهضة ولا الحركات

المنظمة المتواجدة خارج العـراق، بـل كـانت ثـورة غضب وكبت في النفـوس وجـدت الارضـية للـبروز يوم فشل صدام في أم المعـارك وقـد حـاول بعض بتخطيط عقيم اشعال فتيل الغضب هذا ليجني ثمـر جهود الجماهير من غير ان يخسر شـيئاً غـير عـودة الكـبريت الـتي اشـعل بهـا الفتنة، لهـذا كـان عـدم التنظيم واضـحاً في مسـيرة الثـائرين وشـرع كـل منهم يعمــل على شــاكلته في التعبــير عن مقتــه للحــزب وعمت الفوضـى فلا هي اسـتطاعت بعـد تفريـغ صـدرها ادارة نفسـها ولا سـارعت دولـة أو حركة معارضة لنجدتها بجد. لهذا تمكن صدام ببقيـة قـوة هزيلـة ان يكـرّ خطـوة خطـوة على معاقـل الجماهير لينزع منها النصر الذي تحقـق أو كـان في طريق التحقيق.

وجــدير بالــذكر ان الحركــة لم تكن مختصــة بالشيعة وحدها بل اشـترك فيهـا الشـيعي والسـني والعــربي والكــردي فمن الظلم اتهامهـا بالطائفيـة المذهبية كما سعى البعض في تصويرها كذلك تأييداً لصدام لمصلحة سياسية أو مادّية. ولا بـأس هنـا ان نتعــرض باختصــار الى الأحــداث الــتي رافقت الانتفاضــة لتقــييم جوانبهــا المختلفــة على ضــوء مشاهدها في عمرها القصير.

لقـد بـدأت المحافظـات بـالتحرّك الواحـدة تلـو

الاخرى، بصولة الناس على مرافق الدولـة ومراكـز القـــوّة، من قبيـــل معســـكرات الجيش، ومراكـــز الشـــرطة، والمنظمـــات الحزبية، ودوائـــر الأمن والاستخبارات مستخدمين بعض الاسلحة الخفيفة التي استولوا عليها اثناء المظاهرات التمهيدية من افراد الشرطة والامن المتواجدين في الساحة، أو من مراكز الشرطة القريبة التي لم تبد مقاومة حين هجوم المتظاهرين عليها، وكان للانهيار العام في هيكل السلطة والحزب الدور المساعد في سرعة حركة الجماهير نحو المراكز الحساسة في المدن وما حولها.

ولقد لاقت الجماهير مقاومة من بعض البعثيين المتحصنين في تلك المراكز على

تفـــاوت بين المـــدن، وببطولـــة مشـــهوده وتضحيات، تمكن اهالي كل مدينة من اخماد نار البعثيين والسيطرة الكاملة على الموقف داخل المدن ومن ثمّ التوجه الى المعسكرات القريبه لغرض الاستيلاء على ما فيها من سلاح وعتاد، وفعلاً تم ذلك بسرعة بعد استسلام الجنود، ولم تكد ترى في محافظات كثيرة بكامل اقضيتها ونواحيها اي اثرٍ للسلطة الحاكمة.

ووقع سلاح كثير بيد الشعب كما تم الاستيلاء على مخازن ضخمة للعتاد منها مجموعة مخازن

النجف التي كانت تضـم اكـثر من مائـة مخـزن، لم تدمّر منها قـوات التحـالف بعـد شـهر من القصـف الجوّي الا عددا قليلا فقط، اما الباقيات فقـد كـانت سالمة ومليئة بأنواع الاعتـدة. وان القـوى الشـعبية ورغم الحاجـــة الماســـة للعتـــاد لم تتمكن من الاستفادة من تلك المخازن الا اليسير بسبب انعدام القيادة والتنظيم.

حصـل هـذا التقـدم بفضـل الانـدفاع المتحمس للشعب لغرض الخلاص، لكن هذا الحماس سرعان ما تضاءل بعد ان تصور الناس زوال الكابوس الذي اسـهدهم عمـراً وبعـد ان ذاقـوا طعم الحرّيـة في الايـام الاولى، ظنـاً منهم بانتهـاء كـل شئ، كمـا ان السقوط السـريع لمراكـز الدولـة في المحافظـات اوهمتهم بـان العاصـمة والمـدن الغربيـة سـتحذو حذوها، لذا لم تـر من يسـأل عمـا حـدث أو يحـدث خارج منطقته الاّ القليل ممن انحاز الى فئة للقتـال في جبهـة اخـرى ودون مراعـاة الجـوانب الفنيـة والعسكرية.

ان هذا الاعتقاد الواهي هو عامـل من العوامـل الـتي جـرّت النـاس نحـو التقـاعس عن مواصـلة الزحف نحو مركز السلطة في بغداد، رغم ان بغداد كانت على اسـتعداد للالتحـاق بـركب المحافظـات، وهل ينكر أحـد تظـاهرة مدينـة الثـورة والبيـاع ومـا

قدم الناس فيها من ضحايا؟ ولكن هذه الحركات لم يكتب لها النجاح اذ سرعان ما تدخلت القوات البعثية الخاصة وقمعت المتظاهرين وبقسوة وباءت الجهود بالفشل وكان وراء فشلها اسباب:

- **الاول:** خلو بغداد نسبياً من السكان بعد هرب اهلها من القصف الجوي للتحالف الى اماكن بعيدة.
- **الثاني:** تمركز القوة البعثية في بغداد لكونها مركز السلطة والقيادة.
- **الثالث:** كون الجماهير المتظاهرة مجردة من السلاح.
- **الرابع:** الدور الاعلامي الخبيث للدول الاستعمارية في اخفاء انتصارات الجماهير في المحافظات الاخرى بل ادعاء قمعها من قبل صدام مما ادّى الى ترديد الناس في حقيقة الاحداث، سيما والاتصالات شبه مقطوعة بين محافظات القطر والعاصمة.

هذا اضافة الى اهمال ثوار المحافظات لمسالة مواصلة الزحف نحو المناطق الغير المحررة. هذه المسألة التي كانت تعطي الدفع الاكيد لحركة الانتفاضة داخل بغداد. وهو دليل آخر على عدم التنظيم وفقدان القيادة اثباتاً لبراءة الحركة. وتجدر

الاشارة هنا الى جانبين مهمّين احاطا بالانتفاضة ادّيا الى ضعفها واخيراً انهيارها وهما:

 الاول: ظروف الانتفاضة.

فقد بدأت الانتفاضة في اكثر الايـام شـدة على العـراق والحصـار الاقتصـادي الـذي فرضـته دول التحالف قد خلف وراءه ايّاماً عجافـاً، وكـان النـاس في حـيرة من امـر المعـاش وقـوت العوائـل فكـل المـواد الضـرورية مفقـودة، واذا وجـد شـيئ منهـا فسعره المرتفع يحول دون شرائه والفقراء خاصـة تحملوا الثقـل الاكـبر من الحـرج. والقصـف الجـوي لطائرات التحـالف خلـف هـو الآخـر كمـاً كبـيراً من المعوقات امام الحيـاة العاديـة في البلاد فالجسـور مدمرة، ومحطات توليد الطاقـة المحطمـة البسـت العراق سواد الظلام، ومشاريع تصفية الميـاه بـاتت مشلولة، وفقدان الوقـود حـال دون حركـة النـاس، وقطع الاتصالات جعلت من كل مدينة دولة مستقلة عن بقيـة العـراق، وفقـدان الادويـة من الصـيدليات وتعطيل المستشفيات وتفشي الامراض، كـل هـذه الامور اجتمعت دفعة واحدة مع نهاية حرب الكويت وبداية الانتفاضة واغلبها كانت عوامل معوقة لحركة الجمـاهير واتصـالاتها مـع كونهـا مشـجعة لهم في اسـتغلال الشـلل النـاجم من جرّائهـا في زعزعـة اركـان النظـام، فضـررها كـان كامنـاً في صـعوبة

الانتقال والاتصال فلا يعلم من في هذه الجبهة ماذا يجري في الجبهة الاخرى الأبعد فترة ويتحير الناس في نقل القوة والمدد الى الجبهات المحتاجة لها ومعلوم كم هو تأثير مثل هذه الظروف السلبية من حيث الحركة وقوة الدفع والصمود.

الثاني: سلبيات الانتفاضة

رافقت حركة الناس سلبيات كثيرة، كانت السبب الرئيسي في انهيارها نذكر اهمها:

1ـ ضعف بل انعدام القيادة: لم تكن للانتفاضة منذ بدايتها قيادة مركزية معلومة فباشعال الفتيل سرت رائحة الثورة في انحاء العراق وتصدر ذوو الحماس من ابناء المدن والقصبات في حث الجماهير المنتظرة بفارغ الصبر لمثل هذه الفرصة على الخروج الى الشارع، ليؤدي كل دوره في هذه القضية الهامة، وخرج عامة الناس رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً عدى قلة من المنافقين ممن لاهم لهم الاّ طلب العافية... واثمرت الجهود وطهر شطر كبير من البلاد من وجود البعث، لكن ماذا بعد هذا الانتصار المبكر؟... لا شيء فقد ابتلى اهل كل مدينة بهمّ انفسهم وتشكّلت قيادات ميدانية غير كفوءة غالباً في كل مدينة، انشغلت بامور جانبية بدل المسارعة في البحث والاتصال

بالقيادات في المناطق الاخرى من اجل توحيـد صـفوفها وايجـاد المخـرج وتأسـيس قيـادة مركزية، ليتلقى الجميـع الاوامـر والارشـادات منها، وظلت هـذه القيـادات الفرعيـة على استقلالها فلا تعلم احـدها مـاذا يجـري للاخـرى وبسبب هذه الاستقلالية باتت الانتفاضـة تـراوح مكانهـا فالجبهـة الضـعيفة بقت على ضـعفها والجبهة القوية احتفضـت بقوتهـا في مواضـعها دون ان نجـد اي مسـاعي للتنسـيق وتوزيـع القوى للدفاع عن المناطق المحررة على اقـل تقدير. وبقت الحالة في مثل هذا الجمـود حـتى شـن صـدام حسـين هجومـه المضـاد على محافظتي كربلاء والحلـة في الغـرب والبصـرة والعمـارة في الجنـوب وكـان قـد فـات الاوان لتدارك الوضع.

ان النقص القيادي كـان في الواقـع هـو الاسـاس في الانتكاسة، رغم ادعـاءات بالتصـدي لامرهـا بنجـاح، والقـاء المـدّعين اللـوم على الجمـاهير تارة وعلى الاسـتكبار اخـرى، فالاحـداث تحكي غـير ذلـك اذ ان هـدر الطاقـات وعـدم تنسـيق المواقف وتحـير القيـادات الميدانيـة والفوضـى التي طغت على الساحة كـل تلـك تؤكـد غيـاب القيادة.

2ـ تباطئ النجف (مركز القيادة الشيعية) في جهودها رغم الموقف الايجابي للمجاهدين من العلماء، بعدم استغلال الشخصيات الثورية الكفوءة والبحث عنها لزجها في ساحة المواجهة واخضاع الخطوط الفرعية تحت سلطاتها لتوجيهها التوجيه الصحيح فقد بدأت النجف بتشكيل نواة قيادة بعد فوات الاوان وقد انشغلت بامور ثانوية وفي حدود مدينة النجف في ظل احتواش الجمهور لها، ولم تبادر في الفعاليات الاساسية التي كانت من اولويات مهامها في الوقت الذي كانت المحافظات الاخرى تتطلع الى النجف باعتبارها مركز المرجعية العليا، بارسال ممثلين من العلماء محملين بالتوجيهات الاساسية لاستغلال الطاقات الضخمة من المتطوعين وتعبئتها بالشكل الافضل اما لمواصلة الهجوم أو الدفاع. فالظرف كان بحاجة الى سرعة في الحركة ودقة في العمل للحيلولة دون تمكن صدام من جمع فلوله ولايتأتى ذلك من انتظار الهجوم المقابل.

3ـ تحكّم الفوضى ودخول عناصر لامسؤولة في الساحة بسبب انعدام السلطة مما مهد لارتكاب اعمال تخريبية من قبيل حرق

السجلات المتعلقة بالنـاس في دوائـر النفـوس والجنسـية والتجانيـد وغيرهـا ونهب المخـازن ومحتويات الدوائر والمعامل التابعة لمؤسسات الدولـة دون رادع وحـرق المبـاني والسـيارات واعتداءات شخصية وغيرهـا من الاعمـال الـتي اصـبحت طعمـاً لإعلام صـدام حسـين ضـد الانتفاضـة بتشـهيرها ووصـفها بالغوغائيـة والتخـريب علاوة على التـأثير السـلبي لتلـك الاعمال على موقف الاغلبية الشعبية التي باتت متفرجـة ازاء اعمـال التخـريب هـذه لضـعف الشـعور بالمسـؤولية وانعـدام وحـدة الكلمـة ليضـاف بـذلك عامـل ضـعف آخـر لاسـاس الحركة. ولايستبعد ان يكـون التخـريب ذاك من فعـل عناصـر المخـابرات الـتي زجهـا صـدام حسين في صـفوف الجمـاهير ليسـتغل تأثيرهـا السلبي.

4ـ فقدان الارتباط بين حركة الاكراد في الشمال وحركـة الشـيعة في الجنـوب وهمـا القوتـان الرئيستان في الانتفاضة والـذي سـبب تشـتيت الجهـود وتضـعيف قـوة المنتفضـين. وتفضـيل الاكـراد تخليـة المـدن والانسـحاب الى ايـران وتركيا على مقاومة السلطة مما مهـد لحكومـة البعث في تجميـع كامـل فلولـه للهجـوم على

المحافظات الجنوبية.

5ـ تردد المرجعية الدينية في التدخل المباشر في الساحة باصدار فتاوي قاطعة وارسال ممثلين الى المدن لجمع القوة والكلمة منذ اول ايام الانتفاضة فقد اكتفت باصدار بعض البيانات تحث عموماً على وحدة الكلمة والمحافظة على الممتلكات على انها ملك الشعب ودفن الجثث في حين كان الناس ينتظرون حكم الجهاد ضد حكومة البعث. فاصدار ذلك الحكم صريحاً كان ضرورة لحسم الموقف لصالح الجماهير.

وقد حامت الشكوك حول البيانات التي صدرت على ان مراجع الدين غير راضين عن القضية وانما نهوا الناس عن ارتكاب المنكرات بعد وقوعها وان البيانات الصادرة لم تكن بعلم من العلماء وانما افتعلها بعض الحواشي بدعم من المقرّبين. كما ان المضامين الغير الصريحة، والجهد الاعلامي المضاد في اثبات افتعال البيانات عمقت تلك الشكوك. واخيراً الاسئلة التي وجهها صدام حسين لاحد المراجع العظام بعد اعتقاله واقتياده الى بغداد، تلك الاسئلة التي تنحصر اجوبتها في النفي، ليستغل صدام تلك اللاءات وليعلن شخصياً ان ما وقع كان

بخلاف علم العلمـاء، وهـا سـمعتم ورأيتم عـبر الراديـو والتلفزيـون الانكـار الرسـمي من قبـل المرجـع نفسـه وهكـذا انسـحبت الغالبيـة من الجمـاهير الثـائرة بعـد ان اقتنـع العديـد من المتدينين واهل الوجاهة من الذين كانوا يديرون الحركات الشعبية بأنهم وقعـوا ضـحية مـؤامرة فاعتزلوا وجرّو وراءهم الكثير من النـاس وكان هذا سبب آخر من الاسباب التي ادّت الى ضعف الحركة.

6ـــ تسـلل عناصـر الاسـتخبارات في صـفوف الجمـاهير بسـبب الفوضـى وفقـدان الضـوابط ونقل صور حقيقية عن الاوضاع ونقاط الضـعف الى قياداتهـا بـالتنكر في زي المجاهـدين ومشاركتهم في عملياتهم.

هذه بعض السلبيات التي كانت بمثابة السم القاتـل في جسـم الانتفاضـة دون ان تتمكن جهـة مـا من ايجاد العلاج الشـافي لهـا قبـل ان يسـري مفعولهـا الذي ادى الى الانهيـار والشـك في جـدوى مواجهـة قوات العدو المنهارة وضاع بذلك النصر الـذي كـان منهم قاب قوسين.

الهجوم البعثي المضاد ومعارك الدفاع:

رأى صدام حسين حراجة موقفه وموقف حزبه، وشعر بزوال كرسيه على يد الشعب الثائر وهو المعروف بحبه اللامحدود لكرسي الحكم واستعداده لبيع العراق أو تدمير شعبه مقابل بقائه في الحكم وها هو كابوس الانتفاضة قد تمثل صوراً مرعبة في اركان قصره واحتماله تقدم الناس صوب بغداد بعد اجتياحهم خطوط البعث الدفاعية في انحاء العراق اخذ يهز عرشه المتزلزل. فلا مفرمن اتخاذ القرار ويتمثل القرار في امرين لاثالث لهما الاول التنحي والفرار، الثاني المقاومة وتدمير الشعب.

اما الامر الاول فهو بعيد عن صدام حسين الذي باع العراق بالامس ارضاً وشعباً مقابل البقاء واما الثاني فهو له اهل لذلك اتخذ القرار المناسب بعد الاستئذان من السادة الجدد الذين طوقوه بقيد العبودية في صفوان بعد الاستسلام وشواهد الاستئذان موجودة. فصدام حين شعر بالموت استغاث بالسادة الذين عرفوا جيدا عمق الانتفاضة وميولها فلم يترددوا في الاستجابة لاستغاثته ولاجله عقد آخر الاجتماعات في صفوان ذلك الاجتماع الذي تمخض عن عدة قرارات لصالح صدام حسين

وحــزب البعث وقــد اشــرنا الى بعض البنــود منهــا ضمن مواضيع مر البحث عنها.

استغل العـدو البعـثي تبـاطئ حركـة الانتفاضـة حيث توقف الاكـراد في حـدود كردسـتان وتـوقفت الشيعة في حدود محافظاتها فاتيحت بذلك الفرصة لصدام حسين لقمع الطلائع الجهادية في بغداد اولاً ثم السعي في جمع فلـول الجيش المهـزوم وبقايـا الفـرق الخاصـة بحمايتـه وحمايـة اركـان حزبـه من الحرس الجمهوري اضـافة الى اسـتنجاده بعشـيرته واقربائــه في محــافظتي صــلاح الــدين والانبــار وبـالبعثيين والطائفـة اليزيديـة في الموصـل واعلان النفير في القيادات البعثية في مسـعىً اخـير لانقـاذ حزب البعث من موت محتم.

وقـد اسـتدعي لمعركـة المصـير هـذه القيـادة القطريــة لحــزب البعث ليسـتلم كـل عضـو جبهـة محافظة في قيادة القوات المختلطة. كما انحــازت قوات التحـالف لصـالحه بالسـماح لقـوات الحـرس الجمهوري التي كـانت محاصـرة من قبلهـا بالتوجـه حيث شــاءت قيادتهــا فتــوجهت صــوب البصــرة والعمارة لتحرق الارض والانسان كما ارسـل البعث بعض القـوات نحـو الشـمال وبعضـها الآخـر صـوب الوســط كــربلاء والحلة. فبــدأت معــارك البصــرة والعمارة في الجنوب ومعركة كركوك في الشمال.

والغـريب ان معركـة كركـوك حسـمت لصـالح الجيش في زمن قياسي وبعدها ترك الكـورد طوعـاً بقيـة المـدن الشـمالية، السـليمانية واربيـل ودهـوك وزاخـو وتوابعهـا ولا احـد كـان يعلم حينهـا الاسـباب الواقعية وراء هذا الانسحاب. فترك الاكراد مدنهم مع تحصيناتها وتضاريسها شيئ غريب ولا شك انهم فعلو ذلك بتشويق من دول التحـالف. ومـا كـان التحـالف يبغي من وراء ذلــك غــير مســاعدة حكومــة البعث وتمثل عونهم في امرين:

- **الاول:** اتاحة الفرصة لصدام حسين لاسـتخدام كل مـا تبقى من جيشـه ضـد الشـيعة والحيلولـة دون تشتت تلك القوة بين الشمال والجنوب.
- **الثاني:** استغلال عملية هروب الاكـراد كحـرب نفسـية ضـد الشـيعة عـبر وسـائل اعلامها. فقـد اعلنت اذاعات تلك الدول ليلـة انسـحاب الاكـراد عبارات كالآتي (تمكنت القـوات المواليـة لصـدام حسـين من اسـتعادة جميـع المـدن الكرديـة في شمال العـراق خلال يـوم واحد، وبـدأت بالاتجـاه جنوباً لقمع حركة الشيعة في الوسط والجنـوب) وامثال هذه العبارات، ومعلوم مـدى تـأثير الانبـاء المفتعلـة في معنويـة الشـعب، فقـد بـدأ النـاس يتساءلون كيف تمكنت قوات صـدام حسـين من

استعادة المدن الشمالية من يد الاكراد بين عشية وضحاها ومواقف منطقة كردستان ورجالها الاشداء المدججين بالسلاح عبر عشرات السنين غير خافية على احد.

وباتت التكهنات تذهب بالناس ذات اليمين وذات الشمال ـ سيما مع اتفاق الاذاعات العالمية وتأكيدها على صحة الانباء الواردة من شمال العراق ـ بين قائل بأن صداماً قد استخدم الاسلحة الكيميائية في عملياته ضد الاكراد وانه سيستخدمها ايضاً ضد الشيعة لا محالة، فبدأ الرعب من السلاح الكيمياوي يدب في النفوس. وبين قائل بتدخل قوات التحالف لصالحه بشكل أو بآخر لأن الوضع العسكري آنذاك لم يكن مساعداً للقيام بعمليات واسعة في منطقة صعبة مثل كردستان. وفئة ثالثة بدأت بمقايسة القوى والشك في جدوى الاستمرار بعد سماعها انباء انتصارات الحكومة في الشمال قائلة اذا كانت المدن الشمالية بحصونها الجبلية لم تصمد امام جيش صدام فما الذي نفعله نحن في هذا العراء وما عساه ان يفعل بنا؟ وكانت هذه اللعبة القذرة اشد وقعاً في النفوس من صواريخ صدام وطائراته.

وهكذا تعاون السيد والعبد على اكراه الشعب لقبول احد الامرين الموت أو الاستسلام، وأبى

كرامة العـراقي اختيـار الذلـة فقـرر الصـمود بوجـه الظلم رغم تشتته وقلـة ناصـره وافتقـاره للقيـادة، وهكـذا واجـه الايمـان كلـه الكفـر كلـه في وسـط وجنوب العراق.

فقـد أوقـف الكـورد انتفاضـتهم بعـد معركـة كركوك وانسحبوا من كامل كردستان الى ان تمكن البعث من اخماد حركة الشيعة، حينها صال الكـورد من جديـد على قـوات الحكومـة في كوردسـتان واستولوا على قسـم كبـير من المنطقـة والـتي مـا زالت خاضـعة لادارتهم ودون مقاومـة كبـيرة من الجيش الذي آثر الانسحاب الى كركـوك والتجحفـل هناك دون نيّة في الكر من جديد على المنطقة بعد تدخل الامم المتحـدة لصـالح الاكـراد ورسـم حـدود لقوات البعث لا يسمح لها تجاوزها.

وسـأذكر هنـا جانبـاً من الصـراع الـذي دار في الوسط الغربي اذ كنت شاهد عيان

لكثير من الاحداث هناك، فلقـد ضـرب الشـعب بوقوفه اروع مثال في الصمود مكبداً العدو خسـائر فادحة في الارواح والمعدات، وحال المجاهدون بين الجيش وتحقيـق هدفـه الـذي هـو احتلال المـدن واخضاعها مرّة اخرى لسلطة الاستعمار الذي يمثله الحزب الحـاكم رغم كـثرة دباباتـه ومدرعاته. ولمـا رأى صدام حسين عدم جدوى المواجهة العسـكرية

لكثرة عـدد المجاهـدين وكـثرة اسـلحتهم المضـادة للدروع والاشخاص واستحالة خرق خطـوط الـدفاع لــدخول المــدن سـعى بفعــل دنئ في ضعضــعة معنويــات المقــاتلين المــدافعين حيث امــر قواتــه باستخدام المدفعية البعيـدة والصـواريخ في ضـرب مراكز المدن والقصبات بصـورة عشـوائية ومكثفـة لينشــغل قســم كبــير من القــوات الشــعبية بــامر عوائلها وامر تخلية المدن....

وبــدأت عشــرات المــدافع بالقصــف الشــديد والمستمر على مدينتي كربلاء والحلـه من معسـكر المحاويل مما ادى الى استشهاد الآلاف من النسـاء والأطفــال اضــافة الى عــدد من المجاهــدين وفي نفس الـوقت بـدأت السـمتيات المدرعـة بمسـاندة ارتال الدبابات والمـدرعات بضـرب مفـارز وكمـائن المجاهدين خارج المدينتين مما كان له الاثر الواضح في الموقف، فالقوات الشعبية لم يتسـن لهـا حفـر مواضع أو اتخـاذ خطـوط عسـكرية دفاعيـة لمكـان الفوضى وفقدان القيـادة. وعـدم تـوفر المضـادات الجويــة الفعالــة في تلــك الجبهــات ســهلت على الطائرات السمتيه عملياتها التمشيطية..

ومـع هـذا الضـعف فقـد تمكنت المقاومـة من الوقوف بوجه قوات الطاغية قرابة اسـبوع بين كـر وفر والمدفعية طيلة هـذه المـدّة لم تقطـع نيرانهـا

عن المدينتين وقد تكبـد الجيش في هـذه المعـارك المئات من القتلى والجرحى. والذي تحمـل الضـرر البليغ في هـذه المعـارك هم المـدنيون من النسـاء والاطفـال والشـيوخ حيث اضطـر النـاس الى تـرك منازلهم، واصبحت المـدينتان شـبه خـاليتين، عـدى ثلـة من المتحصنين في منازلهم والمقـاتلين الـذين ابلوا البلاء الحسن في مواجهة الجيش..

وينتهـز المنـافقون فرصـة اقـتراب الجيش من المـدينتين لاظهـار الـولاء لحـزب البعث فشـهروا اسلحتهم ليطعنوا بها اخوتهم من الظهر. هذا الغـدر الذي اربك صـفوف المقـاتلين الملتحمين في قتـال شـرس مـع الجيش عنـد ضـواحي كـربلاء والحلة. وكـان لهـذا الموقـف المخـزي من بعض العشـائر الـدور الكبـير في منح الفرصـة للقـوات البعثيـة للاندفاع بسهولة وتطويق المدينتين فاما الحلة فقـد طوقت بالكامل من قبل جيش صدام بعد سـيطرته على الطرق الخارجية المحيطة بها واما كربلاء فقـد حوصـرت من جهـات ثلاث وبقيت جهـة طـويريج مفتوحة بفضل صمود العشائر.

كنت آنـذاك متواجـداً غـربي الفـرات والتقيت ببعض قياديي الحلة الذين تمكنوا من خرق الحصـار والوصـول الى ناحيـة الحيدريـة لطلب النجـدة من العشـائر فشـرحوا جانبـاً من الوضـع في المدينـة

وخطـورة الموقـف هنـاك، فـاخبرتهم بعـدم جـدوى الانتظار هنا بأمل تجميـع قـوة تكفي لعلاج الموقـف هنـاك وحثثتهم على الـذهاب الى النجـف الاشـرف وارسـلت معهم احـد ابنـائي في رسـالة مسـتعجلة معرِّفاً ومقترحـاً تـدارك الوضـع في الحلـة بارسـال قوات، كمـا اقـترحت فيهـا على القيـادة العسـكرية في النجف بالاسراع في حل مسـألة جسـر الكفـل ذلك الجسر الوحيد في المنطقة الذي سلم نوعاً ما من قصف التحالف والذي توقعنا عبور الجيش منــه نحــو النجــف بعــد حصــار الحلة، امــا بنســفه وامــا بإرسال قوة كافية لحمايته إذ لا مفرَّ للجيش القادم من جهـة الحلـة من اسـتخدام هـذا الجسر، مؤكـداً للقيــادة المــذكورة عــدم قــدرة مقــاتلي الكفــل والعشائر على انجاز هذه المهمة من غير اسناد من النجــف فحمايــة الجســر تتطلب خــبرة عســكرية واسلحة كافية تقابل بهـا قـوَّة نظاميـة مدرَّبـة وهي متوفرة في النجف.

وقد ظهر بعد ذلك ان قيادة النجـف كـانت هي الاخرى مرتبكـة وقـد ركّزت جـلَّ نشـاطاتها بامـداد كـربلاء، واكتفت بارسـال قـوة من المشـاة تمكنت من ازاحــة القــوة المتواجــدة غــرب الحلــة وفتحت ثغرة نحو المدينة ولكن المؤسف هو ان هذه القــوة لم تسند بمـدد لتتمكن من طـرد القـوات النظاميـة

من اطـراف المدينـة فلم يمض طـويلاً حـتى تمكن الجيش مـرَّة اخـرى من تطويـق المنطقـة والتوجـه صــوب الكفــل والســيطرة عليهــا وعلى الجســر المـذكور بعـد معـارك طاحنـة بين المجاهـدين من اهـالي الكفــل والضــواحي المســلحين بالاســلحة الخفيفــة وبين قــوات الجيش المؤلفــة من ارتــال الــدبابات والمـدرعات والمسـنودة بـأربع طـائرات هليكوبتر....

وكانت نتائج هذه المعركة كارثة بالنسبة للنجف الاشرف مركز القيـادة حيث تمكن العـدو من نقـل كتيبة دبابات وعدة بطريات مدفعية وعـدد كبـير من المشاة نحو الجهة الثانية من الفرات حيث الطريق الرئيسي الذي يربط كربلاء بـالنجف وبـذلك عـزلت المحافظات الثلاث بعضها عن بعض.

اما الحلة، فبعد ان احكم الجيش حصاره عليهــا بــدأ بتضــييق الحصــار وتشــديد القصــف المــدفعي المركّـز على المدينة، والزحـف نحوهـا حـتى تمكن من دخولها ليبـدأ بعمليـة ابـادة جماعيـة اسـتهدفت المتبقين داخل المدينـة ممن لم يتمكن من الفـرار، وبدأ بنسـف المسـاجد والحسـينيات وقتـل من دب من غير تمييز، وقد نقل لي بعض الثقـاة من اطبـاء الحلة من العاملين في المستشـفى الجمهـوري ان المستشــفى كــانت مليئــة بــالجرحى من القــوات

الشعبية حينما دخلها الجيش فسحبوا المجروحين الى حديقة المستشفى وقتلوهم جميعاً وهم بالمئات وقد كاد القتل ان يشمل الاطباء ايضاً.

اما جبهة كربلاء فرغم الصمود المنقطع النظير للمدافعين عنها من ابناء كربلاء والعشائر المحيطة وقوات الدعم القادمة من النجف، فقد تمكن الجيش من الزحف عليها من جبهات ثلاث، وكان لكثافة القصف المدفعي وغدر المنافقين من الداخل الاثر السلبي الكبير على المدافعين عن المدينة، كما كان لمحاولة قوات البعث نشر الرعب في صفوفهم بالقاء مناشير بواسطة الهليكوبترات تحذرهم من المقاومة وتهددهم باستخدام الاسلحة الكيميائية بعد ساعات، لاسيما وان اعداداً كبيرة من العوائل كانت ما زالت داخل المدينة واكثرهم من عوائل المقاتلين، الاثر الواضح ايضاً على الموقف.

كانت القوات البعثية طول فترة الحصار تلقي القبض على السابلة الخارجين والداخلين من والى المدينة، ويتم اعدامهم خارجها بتهمة الاشتراك في الانتفاضة. واخيراً تمكن الجيش من الدخول الى مركز المدينة بعد تكبُّده خسائر جسيمة. ورغم انسحاب عدد من المقاتلين اما بسبب نفاذ عتادهم أو لاجل انقاذ العوائل

المحاصرة عبر البساتين، فقد بقيت اعداد اخرى يقاتلون العدو من بيت لبيت فاستشهد منهم من استشهد وجرح من جرح، ولقد رأيت مفردات كثيرة من مواقف جهادية دفاعاً عن كربلاء المقدسة تشير الى قمة التضحية والفداء، كما رأيت مفردات اخرى في جبهة العدو تقشعر منها الجلود تشير الى خسة العدو وقسوته من اسرافه في القتل وهتك الحرمات، والذي يتذكر كلمات صدام حسين عندما زار كربلاء بعد احتلالها من قبل الجيش يدرك عمق النذالة التي اتسم بها هو وقواته فقد قال "اني ما دخلت الحضرة لكنهم قالوا لي ـ ويعني شرطة الاوقاف ـ انهم غسلوا الحضرة ست مرات وما زالت الدماء موجودة".

هذه الدماء التي ذكرها صدام حسين، كانت دماء اطفال ونساء، لم يتمكنوا من ترك المدينة فلاذوا بالحضرة الحسينية والعباسية كمأمن لهم من سطوة الجيش الذي لا يرحم فما ان وصل الجيش الى العتبات حتى ابادهم جميعاً داخل الاضرحة المقدسة. ولكن صداماً ومن غير حياء أو خجل يأتي ويقول:" ان هذه الدماء هي دماء الرفاق من البعثيين الذين اعدمهم الغوغاء داخل المراقد المقدسة ". وامة كربلاء كلها تعلم ان الخبثاء من البعثيين الذين وقفوا بوجه شعبهم دفاعاً عن صدام

حسين وقتلوا عدداً من افراد الشعب، قتل من قتل منهم خـارج المراقـد الشـريفة لا داخـل الاضـرحة المقدسة فهذه الاضرحة حكمها عند الشيعة حكم المسجد يحرم تنجيسها، فكيف يعدم المجاهدون وهم الفئـة المؤمنـة جنـاة البعث داخـل العتبـات المقدسة.

ان الـذي لا يـرى حرمـة للعتبـات المقدسـة ومساجد الله ويزهق النفوس ويهتـك الاعـراض في العراق معروف لدى العراقيين وغـيرهم، ومن غـير صدام وحثالته من البعثـيين مَنْ هتـك الحرمـات من قبل، فليقل صدام ما شاء في تلك الـدماء فالتـأريخ يعرف الحقيقة والشـعب شـاهد عيـان على جـرائم المجرمين.

وهـذه آثـار قـذائف مدفعيـة البعث الـتي مـا اسـتثنت المقدسـات في كـربلاء والنجـف والكوفة. ترى هل كانت مدفعية الشيعة هي الـتي اسـتهدفت قبـاب أضـرحة الحسـين والعبـاس وعلي بن ابي طـالب عليهم السـلام وهم داخـل المدينة؟ أم هي آثار من آلاف من الجرائم التي ارتكبها هـذا الحـزب العميل في العراق منذ توليه الامور....

فعلى من يكذب صدام حسين وشـعب العـراق سـمع وشـاهد ولمس دجلـه وجرمـه بحـق الـوطن والشعب ورأى كيـف بـاع العـراق وشـعبه بـالامس

القريب على جورج بـوش والصـهيونية بثمن بخس، فليقل العميل ما شاء فالذي فعلـه وصـمة عـار في جبينه وجبين حزبه وعشيرته وجبين من آزره بقـول أو فعل، لا تزيله كذبة ولا تنسيه الايام مهما طالت.

وسـتبقى هـذه الـدماء الـتي اريقت في كـربلاء والنجف والكوفة والحلة والبصـرة والعمـارة وبـاقي المحافظـات رمـزاً يمثـل صـراع الحـق والباطـل لتجتمع يوم القيامـة مـع دمـاء شـهداء الطـف الـتي اريقت دفاعـاً عن الحـق والـدين والانسـانية وهي تشـتكي الى اللـه مظلوميتهـا فلينتظـر صـدام ومن اعانه هنالك عذاب اللـه وسـيعلم الـذين ظلمـوا اي منقلب ينقلبون.

ان ما فعله جند البعث بأمر من صدام مأساة لا يمكن شــرحه بقلم ولا بيانــه بلســان، لقــد رأيت الجيش وهويقتــل دون رحمــة ويطلــق النــار على السيارات المارة عبر الطرق القريبة منه ليقتل من فيها دون تمييز، رأيت ذلـك في الطريـق العـام بين كربلاء والنجف في الـحد الفاصل بين مفرق الكفـل والحيدرية، وكـذلك قــرب خــان النخيلــة كمــا ادى القصف الوحشـي لمدينـة كـربلاء الى نـزوح مئـات الالوف من النسـاء والاطفـال والشـيوخ والمرضى، رأيت اطفــالاً مــروعين ونســاء ثكلى، هــذه تبكي اطفالاً لها قتلوا، وتلك تولول على بقية عائلتها التي

دفنتها القذائف تحت الانقاض، واخرى تـركض يمنـة ويسرة بحثاً عن طفلها المفقود، ولقد صادفت رجلا طاعنـاً في السـن على دراجـة هوائيـة وقـد وقـف للاسـتراحة فسـألته عن وجهته، فبـادر في شـرح مأساته قائلاً:

لقد سقطت قذيفة ثقيلة في داري اخذت جميع من في الدار ولم يسلم من عائلتي سواي فجمعت الجثث الممزقـة في فنـاء الـدار وحـرت في امـري واخـذني الـذهول ولم ادر مـا اصـنع والمدفعيـة لم توقف قذائفها لحظة فاخذت دراجتي وتوجهت نحـو النجف هرباً وقد تـركت جثث اولادي وزوجـتي على وضعها... ثم خنقته العبرة ومشى....

ورأيت اعـداداً كبـيرة من النـازحين يواصـلون السـير نحـو النجـف وعشـرات الالـوف اختـارت الاختباء في بسـاتين المنطقـة بين الهنديـة والكفل، وقد خرجت هذه الالوف من منازلها دون ان تحمـل معها شيئاً من غـذاء أو غطـاء، فالقصـف المـدفعي الكـثيف على المدينـة اربـك النـاس حـتى بـات هم الواحـد منهم انقـاذ روحـه وارواح اطفاله. والـذي الفت النظر يومها هـو تصـرف البعثـيين مـع هـؤلاء الابرياء فانهم لما علموا بتواجد النـاس في بسـاتين المنطقة سارعوا الى قطـع ميـاه الانهـار الـتي تمـرّ بالمنطقة من مصدرها سـدّة الهندية، فأخـذ الجـوع

والعطش من هذا الكم الهائل من النساء والاطفال مأخـذاً، واضـطر المسـاكين الى شـرب الميـاه الراكدة وأكل حشائش الارض مـدة اسـبوع، واجـبر الجوع والعطش الغالبية من هؤلاء على الرجوع الى المدينـة بعـد سـقوطها بيـد الجيش مباشـرة رغم المخاوف التي كانت تكتنف عملية العودة.

وبعد سقوط مدينتي الحلـة وكـربلاء بيـد قـوات البعث، شرعت القوات بالتوجه نحـو مدينـة النجـف والديوانية. فاما القوات التي تـوجهت الى الديوانيـة فقد بلغت هدفها قبل وصول قوة النجـف اذلم تلاق الا مقاومة محدودة على الخط السريع في منطقـة بساتين تمكنت من الغلبة عليها والإندفاع في ارتـالٍ نحو الديوانية.

امـا النجـف وباعتبارهـا مركـز القيـادة الشـيعية والاستيلاء عليها يعني انتهاء الانتفاضة، فقد انـدفعت القوات التي عبرت جسـر الكفـل نحوهـا بشراسـة ووحشية وكان قوامها في اول صولة افـواج مشـاة من الحـرس الجمهـوري تسـاندهم عـدة بطريـات مدفعيـــة وعـــدد من الطـــائرات المروحيـــة وقـــد اصـطدمت تلـك القـوات بمقاومـة عنيفـة من ابنـاء النجف وردّت على اعقابها بهجوم مضاد ساحق من المدافعين عن النجـف من الشـباب المـؤمن فقتـل عدد كبير منهم وفر الباقون عـبر بسـاتين المنطقـة

صوب الهندية، وقد وقع عدد من هؤلاء الفـارين في قبضـة عشـائر المنطقـة التقيت بهم وكـان جميعهم من الحــرس الجمهــوري فسـألتهم عن وحــداتهم ووجهتهم واهدافهم فاجـابني بعضـهم بـان وحـدتهم كانت جنوبي الأنبار وانهم لم يغادرو معسكرهم منذ بدايـة حـرب الكـويت وليس لـديهم اجهـزة راديـو ليعلموا من خلالها الاحـداث. وان قـادتهم اخـبروهم بان القوات الامريكية احتلت مـدن النجـف وكـربلاء وقد طُلب منا التوجه فوراً لتحريـر هـذه المـدن من قبضتهم، فلما قربنا من النجف راينا القوة المواجهة لنا تتألف من انـاس عـاديين يرتـدون ملابس مدنيـة عراقيـة فيهم الشـيخ الكبـير والشـباب والاحــداث فعرفنا الحقيقة وفضلنا الفرارعلى المقاومـة وقتـل ابناء شعبنا فوقعنا في قبضتكم.

هـذه الروايـة وان كـانت مشـكوكة لان الطـرق التي سـلكتها هـذه القـوات كـانت مليئـة بالشـواهد المبينـة لحقـائق مـا كـان يجـري، الا ان مثـل هـذه الاكـاذيب على افـراد الجيش غـير بعيـد عن حـزب البعث، وقال البعض الآخر ان وحدتهم اشتركت في معارك الحلة وهم يعلمـون جيـداً من يقـاتلون، وان الاوامــر صــدرت اليهم بقتــل النــاس دون رحمة، واعترف بانـه راى جنـوداً من وحدتـه يفتحـون النـار على اطفال ابرياء. وهـذه الروايـة هي الاقـرب من

تصرف القوات البعثية.

ورأيت الهجوم الوحشي للجيش على البيوت المحاذية للجسر وكثافة القصف العشوائي عليها. فلما بلغت تلك القوات حافة الطريق العام الموصل بين النجف وكربلاء انتشرت فاتحةً النار على السيارات المارة فاحترقت عدة منها بمن فيها من المسافرين الأبرياء. وتمكنت الاخرى من مواصلة السير رغم اصابتها نحو النجف أو الحيدرية. فالسيارات التي وصلت الحيدرية كان جميع ركابها جرحى ولعدم وجود مرفق طبي في الناحية اضطر الناس الى نقل هؤلاء الى الهندية التي كانت في يد القوات الشعبية.

وبعد هذه الهزيمة التي لحقت بقدمات جيش البعث زجت السلطة تعزيزات جديدة عبر نفس الطريق وواصلت الضغط على النجف بدكها بالمدفعية البعيدة وبكثافة اضافة الى صواريخ (ارض ارض) كانت تطلق من معسكر المحاويل فكانت القذائف تتساقط على المدينة كالمطر فاضطرت العوائل لترك المدينة الى الصحراء عبر بحر النجف وقذائف صدام تلاحقهم حتى هناك وطائراته السمتية هي الاخرى تصب حممها على المشردين من النساء والاطفال والشيوخ.

ولقد واجهت هذه التعزيزات الجديدة مقاومة

بطولية فـذة رغم تقـدمها النسـبي ووصـولها الى مشـارف المدينـة فاضـطرت السـلطة الى ارسـال قوات من جبهة كربلاء عبرالطريق العسكري المـار بموازاة الخط الاسـتراتيجي لان الطريـق العـام من كربلاء وحتى مفرق الكفل كان مـازال بيـد القـوات الشعبية من ابناء العشائر، كمـا قـام بعمليـة انـزال قـوة مؤلفـة من الرفـاق في منطقـة البحـر غـربي المدينــة بواســطة المروحيــات. فــوقعت معــارك طاحنــة بين القــوات المهاجمــة والمــدافعين عن النجف تكبد جيش البعث فيهـا خسـائر فادحـة جـداً بالارواح والمعـدات. ولقـد عـبرت النجـف بمقاتليهـا عن اباء الضـيم والبطولـة في اروع قتـال على كـل شبر من تلك الارض المقدسـة في حين عبَّر العـدو الحاقد عن قمة الدنائة بما ارتكبه من جرائم.

واخــيراً تمكن البعــثيون من حســم الموقــف لصــالحهم، واول عمــل اجــرامي قــاموا بــه هــو اقتحـامهم مـنزل المرجـع الـديني الكبـير ايـة اللـه العظمى السـيد ابـو القاسـم الخـوئي في الكوفـة واقتياده الى بغداد مع عدد كبير من العلماء وطلاب العلوم الدينية.

اما الجرائم التي رافقت تقـدم الجيش ودخولـه المدينة فحدث عنها ولا حرج انقل لكم بعضاً منها:

1 ـ قتـل عـدد كبـير من المـدنيين وتـرك جثثهم

متناثرة في الشوارع والساحات لمدة اسبوع تقريباً دون دفن.

2 ـ الجريمة العظمى التي ارتكبتها قوات صدام حسين كانت في الصحن والروضة الحيدرية الممتلئة بالنساء والاطفال الذين لم يتمكنوا من الفرار الى خارج المدينة وظنوا ان البقاء داخل الحضرة والصحن الشريف هو الضمان الوحيد لسلامتهم، اذلم يتصوروا اعتداء الجيش عليهم في هذا المكان المقدس وقد قدر عدد الموجودين هناك بخمسة الاف أو اكثر، وقد نقل لي آخر من خرج من المرقد قبل اقتحام الجيش له بقليل انه راى الصحن الشريف قطعة سوداء من كثرة النساء والاطفال ولم يكن بينهم مقاتل واحد حيث انسحب المسلحون من اطراف الصحن الشريف لتفادي الاشتباكات قرب هذا المكان المقدس ولكي لا يصاب هذا الجمع بنيران الجيش اثناء الرد المقابل. وقد كانت جميع ابواب الصحن الشريف مغلقة باستثناء باب القبلة التي كانت جبهتها امينة. ولما حاصر الجيش المرقد المطهر فتح النار على اللائذين بهذا المكان المقدس ليمتلأ المشهد الطاهر بجثث النساء والاطفال الابرياء، وترك البعثيون تلك الجثث

دون دفن امعانـــاً منهم في تحقـــير الشـــيعة ومقدسـاتهم لأيـام. لكن القسـاة انزعجـوا من رائحتها، وكـان الحـل الـذي توصـلوا اليـه هـو احراق الجثث داخل الصحن.

3 ـ نهب متاحف الأئمة والنفائس وما تمكنوا منه من ذهب الاضرحة الموجودة وحـرق المكتبـات والكتب النفيسة. [1]

4 ـ هدم المساجد والحسينيات والمدارس الدينية في مدن الشيعة.

5 ـ ومن جملة جرائمهم اقتحامهم للبيوت بذريعة التفتيش وهتـك حرمتهـا والاعتـداء على النسـاء والرجـال المتبقين والقـاء القبض على الكثـير منهم واقتيادهم الى فرق الاعـدام أو المعتقلات وسرقة اموالهم اثناء عمليات التفتيش وجـرائم اخرى يعجز اللسان عن ذكرها، ومن المضـحك ان هذا الذي فعل كـل هـذه الافاعيـل بالشـعب هو الذي يدعي حب الشعب له وحبـه للشـعب، ولو قـدر لأحـد جـمع مفـردات الجرائـم الـتي ارتكبتهـا القـــوات البعثيـــة مـــن مصـــادرها

---

[1] () - ومن العجيب ان يتهم صـــدام الشـــيعة بســـرقة الاضـرحة المقدسـة وهـو يعلم جيـداً ان اي شـيعي لا يتجرأ في ارتكاب مثـل هـذه الجريمـة لانهم يقدسـون هذه المراقد وانمـا الـذي يمكنـه فعـل ذلـك هـو عـدو الائمة عليهم السلام من البعثيين والنواصب.

وشهودها في مؤلف لضم ما لا قبل للأولين والآخرين بها من قبح التصرف.

ان عمليات الابادة وقتل الشعوب التي نرا ها في التاريخ كانت تقع من قبل الاعداء الخارجيين اومن فئة اعلنت العداء لفئة اخرى، لكن هذا القاتل يدعى انه ابن الشعب وما جاء الاّ لخدمة الشعب، ولاادري اين الخدمة من هذه الجرائم التي لم يرتكبها حتى العدو الحاقد. واني لعلى ثقة بأن ما ارتكبه حزب البعث من جرائم في المحافظات الاخرى لا تقل كمّاً وكيفاً عما ارتكبه في النجف وكربلاء والحلة. وقد كان الناس يرددون في ايام الانتفاضة وبشكل واسع تصريحات حسين كامل وزير دفاع النظام الحاكية عن تصميمه على قمع الانتفاضة ولو كلف ذلك قتل خمسة ملايين من العراقيين.

ان ما ذكرناه من الجرائم التي ارتكبت ايام الثورة الشعبية على يد البعثيين هو غيض من فيض الواقع الذي نضح من الاناء الخبيث لهذا الحزب بل هي قطرة من طوفان عفلق الذي استهدف بها اصول الخير وفروعه في العراق. ولكن هل بلغ الشر مناه بما جنته يداه ام ما زال في جعبته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت؟ وانتهت الانتفاضة دون استسلام حتى آخر رصاصة، وسيبقى شعب العراق

يفتخر بهذا الموقف البطولي في حرب ابادة ظالمة قلَّ فيها انصاره في حين تعاضدت ضده قوى الشر والعدوان ولم يقل نعم لصدام أو لامريكا كمـا قالهـا صدام لأمريكا ساعة الضعف وهذا هو عين النصر.

لقد فعل حزب البعث ما فعل في العـراق وهـو مـازال يجـول بين الاشـلاء دون ان يتمكن الشـعب رغم الصـمود البطـولي من انقـاذ نفسـه والتخلص من المجرمين بشـتى محاولاته. ففي الـوقت الـذي يـراود الطغـاة امـل البقـاء بوعـود من الاسـياد بـدا يتحكم في الشـعب مـرة اخـرى الحـيرة في سـبل النجاة بعد الشك في قدرتـه الذاتيـة وبعـد ان لمس طغيان سياسة الغاب في العـالم وتيقن من خـذلان الناصر، ترى ما هو المتوقـع في قابـل الايـام؟؟؟... فهل ننتظر تشييع نعش البعث المضـمخ بيـد الغيب ام نتوقــع ســماع المزيــد من عويــل الثكلى وانين المعذبين هنا وهناك في ارض الرافدين؟

هذا ما ينبغي ان يطرح على بســاط البحث بين العراقـيين داخـل العـراق وخارجـه فـالأمر يخصـهم دون غيرهم والتأريخ لم يبخل عليهم بعبره فقد علم الجميع ماكـان نصـيبهم ومن سـبقهم جـراء اخطـاء المواقف في ما مضى ومـا يكونـوا عليـه مـع عـدم الاتعاظ فيما ياتي وهم يتلون قوله تعالى { ان اللـه لا يغير ما بقوم حـتى يغـيروا مـا بانفسـهم } فمـاذا

يجب عليهم فعله وما هو مسؤلية كل فـرد منهم اذا ارادوا النجاة؟

ذاك ما اردت ان اقول فيه كلمتي تنبيهـاً عسـى ان اكـون بـذلك قـد وفقت في تقـديم خدمة. فـان كنت مصيباً فذاك ما ارجوه وان كنت مخطئـاً فعلي خطـأي وأأمـل ان لايتهـاون ذوو الـرأي والفكـر في البحث عن مخـرج سـريع لهـذه الازمـة الـتي تهـدد العراق كياناً وشعباً عسى ان تكلل جهـودهم بنجـاح ويجتمعـوا على الـرأي الأصـوب الـذي فيـه صـلاح العــراق دون النظــر الى المســائل الشخصــية أو السعي لجر النار صـوب قرصـة الصـديق فالشـعب والوطن اولى بالمراعاة من الاشخاص والاصدقاء.

ان شعب العراق لم يخل يوماً من دعاة خيرٍ عبر تأريخــه ولم يشــك احــد في صــدق نوايــا اولئــك المجهـولين الـذين نـذروا انفسـهم لخدمـة الشـعب والوطن، لكن نتائج جهادهم كانت بين مدٍ وجــزر في خطوطها البيانية دون ان تبلغ مرتبة مثمـرة في يـوم ما قبل هـذا التـاريخ، وذلـك بسـب فقـدان الشـروط المطلوبــة لحــركتهم الجليلة، كمــا لا ينكــر وجــود الحركات المعارضـة للحكومـات العراقيـة المتعاقبـة حتى عهد البعث وان كانت وجهاتها متفاوتة واخلاصها لم يسـلم من سـوء ظن، وهي على علاتهـا لم تتعـدَّ اصابع اليد عدداً.

لكن الملفت للنظــــر هــــو الانفجـــار الكمي المفاجئ في عدد هذه الاحـزاب بعـد حـرب الخليج مباشرة وحين بـان الضـعف في صـفوف البعث، اذ لوحظ ان العشرات من الاحزاب والحركـات اعلنت عن وجودها وفي بلدان متعـددةٍ كمـا لوحـظ سـعي جهـات دوليـة في تعريـف شخصـياتٍ وافكـارٍ غـير معروفـة من قبل، والـدعوة الى جمعهـا لمناقشـة المسألة العراقية والسؤال الذي يطرح نفسـه على كل عراقي هو: ماذا يعـني هـذا التشـتت والتفـرّق؟ وماذا يهدف كل حـزب من تلـك الاحـزاب بتمسـكه اللامحدود بما يعبر عنه بالمبادئ؟ وقد سمع الجميـع انباء اجتماع اكثر من عشرين حزبا في فينا واجتماع عدد اكبر منها بعد ذلك في شمال العـراق لتتمخض جلسـاتها عن تشـكيل حكومـة في المنفى في حين اعتزلت جهات اخرى تلك الاجتماعات.

ترى ماذا يقول الشعب العـراقي في كـل هـذه التمثيليات الـتي اقيمت على مسـارح دوليـة باسـم العـراق؟ انـا كعـراقي اسـأل شـان الملايين الـذين ارهقهم الاستضــعاف والتشــرد لمــاذا كــل هــذه الاحزاب والفئآت، ولماذا ركنت كـل فئـة الى دولـة معينة وهل يصـح للـذين تمكنـوا من انقـاذ انفسـهم بالفرار من العراق ان يلوذ كل منهم بركن في هـذا العـالم المتشـرذم ليفتح حانوتـاً يـبيع فيـه وطنياتـه

باسـم العـراق ثم يفـوض نفسـه في لاابالـيـة بـرأي شـعبه ليتكلم باسـمهم ويختـار مـا يشـاء من فكـرة على ان لا يتفق مع غيره في خط فكـره ولمـاذا لم يتخذ اولئك من ساحتهم الحقيقـيـة منـبراً اساسـاً ثم ليفعـل مـا يشـاء خـارج تلـك الحـدود كسـباً للتاييـد والاعلام.

اسئلة واسئلة مازال الناس عـاجزين عن ايجـاد اجوبة مقنعة لها، ولم يتطـوع اربـاب الحركـات في تقديم التفسـير الشـافي لهـا بلغـة الشـعب لا بلغـة الساسة، وهم يـدركون سـعة افـق الشـكوك بعـد التجارب الماضية اثباتـاً لحقـوق هم اولى بالمبـادرة في اثباتها. ولا يـــــدورون في افلاك مشـــــبوهة ومعروفـة المراكـز وقـد سـألنا سـابقاً مـتى توقـع العراقيون من واشنطن ولندن وباريس خـيراً حـتى يظنوا هذا اليوم خيراً بدموع التماسـيح الـتي ذرفت فجاة بعد حرب الخليج من أجل شعب العراق.

لقد ضـاق الجميـع من مـرارة الحيـاة في ضـل حزب البعث المتسلط، سواء في داخل العـراق، أو الـذين هربـوا الى بلـدان العـالم الاخـرى، والجميـع يتطلع الى يـوم الخلاص، وهم بين قلـة منظمـة في كتل ترفع شعارات مختلفة وكثرة مشتتة غارقة في بحر الحيرة مذبذبة الرأي خائرة القــوى من عوزها، يتمايــل افرادهــا مــع ريح الحاجــة حيث دارت، فلا

الاقلية الواعيـة سـعت عـبر هـذه المـدة في توحيـد صفوفها والتصالح على منهج وسط يسـلك بـالجميع الى حد مطلوب من الاهداف لتتكاتف جهود الجميع في اسـتغلال الاكثرية، ولا الاكثريـه التائهـة اهتـدت الى موقـف جـرئ من تلـك الخطـوط المعروفـة بقبول امثلها، أو فكـرت يومـاً في لم شـمل نفسـها لقبـول مسـؤلية الـدور في مثـل الظـروف الـتي تعيشها.

هذا وسوء الظن الحاكم في الاكثريـة وتشـرذم فئات الاقليلة زادت الطين بلةً حتى بات الشـك في النوايا حاجزاً بين المرء وغيره فرداً كان ذلـك الغـير أو مجموعـة ولـو قـدر للعراقـيين البقـاء على هـذا الوضـع لمـا تمكنـوا في قـادم الايـام من التخطي صوب الخلاص فضلاً عن الوصول. فاذا كانت الحالة هذه ـ وهو الحق ـ اليس من الواجب ان ينظـر كـل الى صحيفته ووجهته فرداً كان في الاكثرية أو قائداً من الاقلية؟ وهـل عـزَّ الحـل واقعـاً بحيث لاطريـق وسط يتفق عليه الجميـع للوصـول الى هـدف نبيـل هم في امس الحاجـه اليـه ام ان المسـألة تعلقت بالاهواء؟

ان الشعب بقـدر مـا هـو مـدان بسـبب تهاونـه يدين اولئك المتهـاونين من اصـحاب الـرأي والفكـر الذين عجزوا عن توحيد صفوفهم بـل وان تمـاديهم

في التشرذم والتعصب يستحق عند الشعب ما هــو اكبر من الادانة فكيف يأمـلُ من طمـع في كرسـي الخلافة أو من رأى في عصـابته انهـا الاولى بتسـلم زمام الامور أو من انقطع الى الله في نواياه طالبـاً الإصلاح وتحكيم امرالله في الخلـق ان يتعامـل مـع شعب لم يجد في ساحته موضع قـدم يسـع فكرته. فجميــع الحركــات تنقصــها الوســائل الاعلاميــة والصراحة التي تعكس جوهر افكارهـا بصـورة جليَّة وســط الجمهــور المســجون في حــدود القــوة المتســلطة. وماتملكهــا من تلــك الوســائل ومن الصراحة لا تتجاوز تغطيتها نسـبة غـير قابلـة للـذكر ومواد مطموسة المعالم، وبذلك تحددت معالم تلك الحركـات في الوسـط الشـعبي على انهـا تيـارات سياسية محدودة القـدرة والفكـرة متهمـة بالعمالـة لدولة أو فكرة سياسـية. وهكـذا احـاطت الشـكوك بمصداقيتها عند الجمهور. ولو تأملنا مصدر الشكوك التي شملت جميع الحركات الاصيلة منهـا والعميلـة لرأينا جذورها في سببين رئيسيين:

- **الاول:** فعاليتها الاقل من توقع الجمهور وفي خط بعيد عن رأيه.
- **الثـاني:** عـدم احاطـة النـاس بحقـائق تلـك التشكيلات وافكارها ونوعيـة ارتباطاتهـا بالـدول

الاجنبية. لذا نرى سهام الاتهام تصوب نحوها جميعاً دون تمييز كما نرى درجة علاقة الجمهور بها لا تتعدى التأييد السطحي النابع من الاستجابة لنداء الاختناق والتي سوف تتلاشى بمجرد الشعور بالخلاص تاركة اياها في ساحة الغربة والانفراد دون حماس للانسجام استعداداً لاجتياز العقبات الحتمية التي تنتظر اية محاولة تغيير للنظام في العراق.

هذه حقائق لايمكن انكارها أو التقليل من شأنها مادام الشعب هو الميزان في نظر الحركات اجمع كما هو المدعى، اذ لا قوة لسلطان حقيقة ما لم تكن مستمدة من الشعب ولا قوة تنبع من شعب ما لم يؤمن بقضية، ففهم الشعب للقضية هو الاساس وهذا الاساس مع الاسف هو الجانب المهمل لدى الحركات رغم الضجيج المسلط على الجوانب الاخرى البعيدة.

فقضية الوعود باتت غير مؤثرة بعد وعود عرقوب التي طالما غنى بها الساسة من قبل فهل يعيد معارضوا النظام النظر في جوهر افكارهم وخططهم المستقبلية واساليب تعاملهم مع القضية بعد لمسهم النتائج السلبية من المسيرة القديمة؟ ام انهم مصممون على السير في نهج الاسلاف ليذكرهم التاريخ امناء في حمل امانة الاثام

والشقاء الى الابنـاء والاحفـاد ليبقى العـراق مـادام التـاريخ مـوطن العـذاب ومعين اللعن؟ أو ليس من الافضل لمن قدَّم هويته للعراقيين من قبل واذاقهم كـأس العبوديـة ان يقـدم اسـتقالته من العمـل السياسي ولا يسـعى بعـد لطمـة الايـام في عـرض نفسه ضمن هذه الحركات الجديـدة سـواء في زيـه القديم أو بالتنكر في برد المصلحين؟.

فماذا لـدى البعـثي المنشـق ممـا هـو ليس في تـراث صـدام حسـين من الوحـدة والحريـة والاشـتراكية والرسـالة الخالـدة الـتي ملات قلـوب العراقـيين دمـاً ومـاذا لـدى القـومي غـير حرسـه المنكوب الـذي لا آراه الا كالـذئب الجـائع بعـد هـذه المدة من التغرب في غابـات اوروبـا وآمريكـا وقـد منعوا من التقوت فيها الا بما يمنع عنهم الموت وقد حدّوا الانياب لتمزيـق الشـياه المسـكينة الممنوعـة من مراعيهـا في ارض الرافـدين. ومـا للشـيوعية والعـراق المسـلم هيهـات هيهـات لقـد اسـتحوذ الشـيطان عليهم فأنسـاهم الضـمير والعقـل والمنطق، ولا ارى المـروض منفكـاً عن مروضـه الماكر وبئس للمارقين الظالمين بدلا.

واما كلمـتي مـع الشـعب فهي طويلـة لايسـعها هذا المختصر ولئن امهلتنا الايام فسوف اذكر قولي معهم في مقالة مستقلة. ولاجل ان لا اتـرك مـا لم

يدرك كله لم ارَ بداً من كلمات لا مفّر منها فـاقـول: ايها الشعب المظلوم ويا من سـحقته سـنابك خيـل الظـالمين الا من صـحوة تعيـد لكم بصـائركم الـتي ظلت عنكم في ظلمــات الايــام؟ امــا من فــزعٍ يوقضكم من نـوم غفلتكم؟ ومن منكم يخفى عليـه دور الشــعب ومســؤولياته التاريخيــة تجــاه الخــط الاجتمــاعي المطلــوب منــه عقلاً وشــرعاً؟ اولم تسـمعوا " كلكم راع وكلكم مسـؤول عن رعيتـه ". وتحمــل المســؤولية واجب عقلاً لمن لا دين لـــه وشرعاً لمن آمن منكم بالله واليوم الآخر.

ان الاخلال بالواجب في اداء الدور جـرم مخـل بمرتكبـه اولاً في قبـال اللـه تعـالى والعقـل ودفـعٌ لعجلة المجتمع نحو الانحـراف ثانيـاً. انكم لتعلمـون انه كلما كثر المنحرفون كلمـا كـان قطـار المجتمـع اقرب للخروج من المسار الصحيح وتعلمـون ايضـاً انه اذا تفشى مرض عدم الشعور بالمسؤولية كــان ذلـك عـاملاً مهمـاً في انتشـار جرثومـة الفسـاد في المجتمع. فـاذا علمتم هـذا وتعلمونـه يقينـاً، علمتم اهميـة دوركم كمجموعـات وافـراد وعلمتم كم انتم مقصرون.

انكم اليوم تعيشون واقعاً مراً، وتدركون مواقع الضعف والخطأ بعد مروركم بسلسلة من التجـارب فما عساني اقـول لكم وانتم تتـذوقون مـرارة آثـار

ضياع المسؤوليات، وكيف انصحكم وقد نصحتكم الايام، فهلاّ اتعظتم بآلام جراح لا ابااليتكم؟ اولم تكفكم الضربات الموجعة لتعودوا الى رشدكم وتمعنوا النظر في مسيركم لتروا ايَّ مبدء انتم عليه ومدى التزامكم بما تظهرون من عقيدة؟ أو ما زال بعضكم يدَّعي الاسلام وهو يصفق لبعث عفلق أو يركع امام دنانيره؟ أو يستقبل بعضكم قبلة الاسلام وهو يدعو الله لنصرة عملاء امريكا والانجليز وغيرهم؟ أو بقية باقية منكم يدّعي التمسك بدينه وهو يقف موقف المتفرج دون ان يحرك ساكناً لا بأمرٍ ولا بنهيٍ ازاء ما يجري بمرأى منهم ومسمع؟

على كل حال ليس لي رجاء الآن اراكم قد نصحتم لانفسكم ورقيتم الى موقعكم الواقعي. وانصح كل فردٍ من ابناء بلدي ان يكون صريحاً مع نفسه ومع ربهِ وشعبه واضحاً في موقفه من مبدئه، شجاعاً في اتخاذ القرار، فاما الاسلام الذي يدّعيه دين الصدق والمروءة والشجاعة الذي من لوازمه الاعتصام بحبل الله جميعاً وتجنب الفرقة والجهاد في سبيله بالمال والنفس والصبر على بلاء الدنيا وبذل الجهد لاعلاء كلمة الله وبالاختصار اثبات العبودية لله. واما ان لم يجد في قلبه شيئاً من الله وانما يدّعي الاسلام زورا ويكتم في باطنه انه حرٌّ

وليس بعبد فليكن شـجاعاً ولـيراجع دائـرة الاحـوال الشخصية ليغـير دينـه من مسـلم الى مـا شـاء من المذاهب فالشجاعة من اجمل صفات المـرء. فـان لم يفعل هـذا ولا ذاك فلا يشـك في انـه عمـل غـير صــالح وليس هــو بالعنصــر الــذي يســتحق رأيــه الاحترام أو وجوده الاهمية فهو بهيمة بل اخس.

وختامـاً ادعواللـه ان يأخـذ بأيـدي الجميـع نحـو الأصـوب، وان يمن على شـعب العـراق والشـعوب المضـطهدة الاخــرى بــالفتح والفــرج، وينجيهم من هيمنة الاستعمار وظلم أذناب الاستعمار من الحكام المتسلطين، انه سميع الدعاء (اللّهم انَّا نرغب اليك في دولة كريمة تعـز بهـا الاسـلام واهلـه وتـذل بهـا النفاق وأهله وتجعلنا فيهـا من الـدعاة الى طاعتـك والقــادة الى ســبيلك وترزقنــا بهــا كرامــة الــدنيا والآخرة).

مرحلة ما بعد البعث

لم يكن من المتوقع أن ينتهي الفصـل مـا قبـل الأخير من مسرحية البعث بهذه السـهولة، لأسـباب يمكن اســتنباطها من الفصــول الســابقة، فــالبعث القوي المـدعوم امريكيـا وعالميـا واقليميا، والبعث النـافع للجميـع سـوى العـراق والعراقـيين، لا يمكن بحســب المعــايير المعروفــة ان يغتــال بين عشــية

وضحاها بيد سيده وصانعه ومربيه المستفيد. والمسألة في غنى عن الدليل، فالاجماع العالمي على معارضة سقوطه، ودموع الأسى التي ذرفتها الاشتراكية العالمية والقومية الاقليمية والاسلامية السياسية بمن فيهم اعداء البعث للأمس القريب كافية للتدليل على قوة الاسناد وفرصة البقاء، وما أخطأ من ظن يومه أن البعث بعث حقيقي لا موت معه، فسبحان الله الذي بيده ملكوت كل شيء المقلب للقلوب والابصار الذي يهلك ملوكا ويستخلف آخرين.

وقد ارتأيت اضافة هذا الفصل (مرحلة ما بعد البعث) الى الكتاب في طبعته الثانية اتماما للفائدة واكمالا للقصة التي افقدت فصولها صواب شعب برئ لا راحم له الا الله في ايام طغيان فئات من البشر لا تعرف الا مصالحها الضيقة متجنبا تفصيلات المعروض من احداثها على شاشات التلفزة العالمية مكتفيا بتعليقات واستفسارات عن زوايا اهملها إعلام الصديق وكتمها أو حرفها إعلام العدو.

ولكي لا اثقل على المطالع بطول الكلام احدد ما اريد قوله في نقطتين اساسيتين تعدان مادة القصة ابتداء وانتهاء وهما :

1- من الذي يقود سفينة العالم السياسي وكيف يمكن معرفة الحقيقة؟

2- ما حال العراق ومصيره بعد سقوط البعث؟

أما الأمر الأول: فلا شك ان البسيط من الناس يتصور أن الساسة أولياء الأمر المسلطين على رقاب العالم هم وحدهم ملاحوا سفن شعوب العالم باستقلالهم، لذا يوجه اللوم في كل نازلة حصراً على الحكام، سواء في الدول الغالبة أو الدول المغلوبة، وكأن الحكام هم بناة فكرة الدولة ومخططو منهج الحكم وقد خفي عليه أن السياسة دين متعدد المذاهب ترجع جميعها إلى أصل ربما اختُلف فيه حسب المعتقدات إلى موحدين أو ثنويين أو قائلين بالثالوث، تماما كما هو وضع الأديان السماوية، فالإسلام والمسيحية واليهودية والمجوسية كلها أديان سماوية لكن أتباعها اختلفوا في أصولها بين قائل بأن المبدأ واحد هو الله تعالى وقائل بأن المبدأ اثنان هما إله الخير وإله الشر وقائل بالثالوث وكلها أديان.

والسياسة في عقيدة معتنقيها كذلك، فمنهم من يرى أن أصلها واحد وهي الصهيونية العالمية، وآخرون ثنوية يعتقدون أن الرأسمالية والشيوعية هما أساس كل الأحزاب وإن اختلفت في شعاراتها وأهدافها وآخرون قائلون بالثالوث بل وأكثر بعد إقحام إسم الدين وعلماء الاجتماع في قاموسها.

ولا دليل يساعد على تعـيين الحقيقـة مـع أن ظـني الغالب إن لم أقل يقيني قـد استقر على أن سـبل البشر منذ أصل الخلقة قـد انحصـر في طـريقين لا ثالث لهما وهما سبيل الـرحمن وسـبيل الشـيطان، ويؤيدني في هذا المعتقد آيات من القـرآن الكـريم، فحزب لله وهدفه ابتغاء الآخرة، وحـزب للشـيطان هدفه كسب حطام الدنيا، وقد تشـعب من الحـزب الأول مئـات الأديـان كمـا تشـعب من الثـاني مئـات الأحزاب، ومن خرج من خـط اللـه فهـو داخـل في خـط الشـيطان، قـال تعـالى: " وإن هـذا صـراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السـبل فتفـرق بكم عن سبيله " الأنعام/153.

لكن الذي يحلل بالمنظار السياسي البحت يرى أن هـذه الأحـزاب المتكـاثرة إنمـا هي ناتجـة من تنافس الأفكار الوضعية وسباقهم في السـيطرة مـا أسـتطاعت على مقـدرات شـعوب الأرض تحت عناوين استحكم التناقض فيها بين الأهداف المعلنـة المغرية لعقول العامة وأهدافها الخفية المتمثلة في تحقيق غرضين هما السيادة والمال، ويظهر تناقض شعاراتها مع مبادئهـا بعـد وصـولها الهـدف، فعنـدها ترى عيانا أن الـذي كـان يرفـع شـعار القضـاء على الفقـر ويعـد الجمـاهير بالرفاهيـة صـار وبـالا على الفقـراء بعـد تسـلمه الحكم، والـذي تغـنى بالحريـة

والديموقراطية قد تحول إلى دكتاتور غاشم، والذي غسـل أدمغـة المتـدينين بوعـد تطـبيق شـرع اللـه وعدله تبدل إلى علماني يعاني منه الدين أكـثر ممـا يعانيـه من سـائر الأحـزاب، لمكـان نفاقـه وخطـر النفاق أخطر على الدين من خطر الشرك.

ومما تقدم يظهر جليا أن مرجع تناسل الحكـام والأنظمــة تعــود في الحقيقــة إلى حملــة أفكــار الأحزاب السياسية وقياداتها الـتي تلعب في سـاحة الأرض شرقا وغربا، فلا دخل للشعوب فيما يفـرض عليها من أنظمة رغم التظاهر المسرحي في نسبة التغيـير إليهـا عـبر إقحامهـا عمليـا في مسـرحيات ظاهرهــا الديموقراطيــة بســوقها نحــو صــناديق الانتخابـــات، فالعمليـــة الانتخابيـــة في الـــدول الديموقراطية شيء والتطبيق العملي للمنـاهج في تلـك الـدول شـيء آخر، تمامـا كمـا هـو الحـال في الدول الاستبدادية، فعمليات التبديل والتغيـير تابعـة إما لمصلحة تقتضـيها الظـروف أو لتغيـير في نتـائج سباق الأفكار. ولا يرشـح إلا من زكـاه لجنـة خاصـة تنتخبها القيادة وظيفتهـا تحديـد ذوي المـؤهلات من بين جمـوع المرشـحين فمن فلت من هـذا الفلـتر فاللجنـة النهائيـة لفـرز الأصـوات في انتظـاره وفي اللجنــتين يقــع الــتزوير غالبا. ولئن ترشــح مؤهــل واقعي فقيـود القـانون المنسـوج وفـق متطلبـات

سادة العالم تحول بينه وبين ما يريده الشعب.

وإذا علمنــا أن اللاعب الرئيســي في ميــدان فـرض الأنظمـة والحكـام على شـعوب العـالم هـو شــبح خــارج عن جغرافيــة البلــدان، فليس من المنطق تحميل الطغمة الحاكمـة وحـدها مسـؤولية الويلات التي تصيب الشعوب من سلوك الحكومات سواء كانت دكتاتورية فردية أو ديموقراطية تعددية، بـل لابـد من تحميـل المسـؤولية على تلـك الأيـادي الخفية التي هيأت هذه الأفراد أو الفئات المتسلطة وفرضــتها على الشــعوب، وبــالوقوف على دور الجهــات الخارجيــة يمكن للوطنــيين رســم الاســتراتيجية الســليمة للخلاص من التبعيــة من جذورها، ومن غير هذا الفهم ستبقى شعوب العـالم في متاهة السلطة والسلطة البديلـة المعمـول بهـا في قـوانين النظـام السياسـي الحـاكم في الأرض فعلا.

إن الشــعوب تحســن الظن غالبــا بــالأحزاب والتيارات والشخصيات العاملة في حقـل السياسـة في بلدانها، فتؤيـدها وتسـاندها سـواء في صـناديق الاقــتراع أو ميــادين الثــورات والانقلابــات، لكنهــا سرعان ما يخيب ظنها بتلك الجهات التي مـا كـانت لتستلم كرسي السلطة لولا مساندة هذه الجمـاهير المنتظرة لحاكم ناصح أمين، فيبقى اليأس والتـذمر

والأسى هو المستحكم في نفوسهم خصوصا مع انتظارهم الخير والإحسان والعدل جزاء لإحسانهم في الموقف. فمن الطبيعي إذن أن تصب الجماهير جام غضبها على رجالات الدولة الفعلية التي خيبت ظنهم، وتبقى في انتظار الفرج على يد عطارين آخرين يروجون لنظرية أخرى أتقنوا لعبة التضليل في تمثيلهم وإعلامهم لتلتف حول بعضهم جمهرة من الشعب كافية لترجيح كفتهم على الفئة الحاكمة ويتم بذلك التغيير، وهكذا كلما دخلت أمة لعنت أختها وهي المتاهة التي وقعت فيها شعوب العالم الثالث بالخصوص وعز عليها المخرج منها.

لا ريب أن الحكومات ـــ البريئة في نظر جماهيرها من تهمة العمالة بسبب قلة الوعي والضعف الثقافي ـ تتحمل وزر خبث عملها ولا يبرء ساحتها من جريمة خيانة شعوبها بسفاسف الأعذار، كما لا يمكن تبرئة الشعوب المضطهدة من مسؤولية التهاون بحجة الجهل وحسن الظن والضعف، فالشعور بالمسؤولية من بداهة الواجبات والأنظمة لا يمكن أن تكسب قوتها التي بها تبطش من دون إسناد الشعب.

وهنا يتضح خطأ الشعوب في تعاملها مع قضية اختيار نظام الحكم، وتتجلى أسباب شقائها باختيار غير الأصلح، وهو ما يحتم عليها معرفة أمور هامة لا

غنى عنها في تقرير المصير، أهمها اليقين بأن هناك أسياد في العالم قسموا بينهم منافع الأرض لا يمكن أن يسمحوا لأحد بالاستحواذ على السلطة في بقعة منها إلا بموافقتهم فإن تجرأ شعب وانتخب نظامه بنفسه أو تمرد عليهم متمرد، تكالبوا عليه وخيروه بين الطاعة والاجتثاث ، فلا تظن الشعوب يوما أنها تصيب باختيارها النزيه الحر والعدل المطلق. وعليها ـ ما دام انتخاب الحاكم ضرورة ـ أن لا تخطأ في انتخاب أهون الشرّين، شريطة أن لا تبقى في ظل سلطان ذلك الأهون شياطين خرس بل عليها أن تكون رقيبة على تصرفاته رافعة صوتها بالاعتراض دون خوف كلما انحرف في السلوك.

ثم إن أصحاب السلطة سواء كانوا أفرادا أو فئات على أصناف، فمنهم من يفرض فرضا وكيلا رسميا لسيد من السادة لا دخل للشعب في انتخابه، ومنهم المتطوع لخدمة ولي أمر يدعمه في الوصول إلى الحكم، وهؤلاء هم غالبا مجاميع منظوية تحت عناوين مختلفة كل متسربل بسربال، وهي الأفخاخ التي يستخدمها الأسياد في الإيقاع بالشعوب.

إن الذين يحكمون فعلا هم الساسة الذين يتقلدون سلطة البلد، فإن أحسنوا التصرف نالوا

رضا الشعوب ودام سلطانهم، وإن أساءوا تحملوا وحدهم مسؤولية الظلم والخيانة في نظر المحكومين بتحميلهم مسؤولية الخيانة، وقد غاب عنهم دور ضلعين داخليين آخرين من مثلث مشؤوم يشاركان الساسة في خيانتهم، لا يقلان ذنبا وتسبيبا في تعاسة تنال الاكثرية دون ان يلفتا نظر الناس، وهو ما جعلهما في مأمن من تحميل وزر الآثام وهما طبقة التجار وطبقة رجال الدين. وعذرا الى عباد الله الصالحين من علماء الاسلام ممن لم يدنس ثوبه وزر السياسة المصطلحة ـ فقد يتطلب الأمر هنا كشف النقاب عن وجوه كان الأجدر أن تفضح قبل هذا تخليصا للأمة من الحيرة، والدين من التشرذم.

لا ريب أن نجاح أية فكرة أو نظرية يتطلب إيجاد التمويل اللازم والإعلام المؤثر وهو ما يحتم على الساسة تأمينهما لنجاح مسرحيتهم. فهم يحتاجون إلى دعاية ودعاة وكف سخية تسخّر العاطلين والمحتاجين والمستزيدين، للعمل الدؤوب من اجل القضية وهو ما يتطلب الاستعانة بذوي المال والثروة ولا دافع للمفكر من الاستعانة بهم، كما ان أصحاب المال بدورهم لا يخوضون هذه اللجة بغير حساب فهم يدرسون ما يطرح عليهم بدقة كما يدرسون سائر صفقاتهم ويقيسون

الربح والخسارة ويحسبون لكل احتمال في هذه الصفقة الف حساب، ومن هنا تجد تفاوت الاستجابات بحسب قوة الفكرة وكفاءة اللاعبين في ميدان السياسة ومدى استعداد المحيط للتقبل ونسبة احتمال النجاح وهي معاملة شبيهة بلعب القمار فقد يفوز اللاعب وقد يخسر، ولا تخلو الاسواق من مجازفين، فمن يفوز بالدعم الكافي من الرساميل يكون حظه أوفر في دفع فكرته حتى المراد فينال كرسي الحكم كما ينال التاجر في ظل حكومته حظه الأوفى من التجارة والمال، ومنهم من يراوح في فئة قليلة يعتمد على جمع الصدقات ممن يتبرع بالزهيد وقد ينسى ذكرها بعد حين أو يعيش بعض يوم بانعاش من الأمل وما تقطره الصدقات. فالتاجر لا محالة صار شريكا للسياسي بهذه الصفقة يجمعهما المصلحة لا الهدف المعلن في الفكرة وما عليك بالفكرة فقد تكون اقتصادية أو اصلاحية اجتماعية أو دينية أو غير ذلك. فلا يهمهما ذلك ولذا نرى انقلاب الشعار بعد تحقيق الهدف الى ضده الحرية الى عبودية والانصاف والعدل الى الحيف والظلم والاشتراكية الى الطبقية والدين الى اللادينية وهكذا. وما ذاك إلا لكون الأفكار والنظريات وسائل للوصول الى الغايات الكامنة في النفوس.

وبما ان تأثير المفكر والتاجر مهمـا كانـا اقويـاء محدود في الوسط الجماهيري غير حاسم للموقـف بشكل يضمن النجاح ولا يحصل الاطمئنان بالفوز إلا بمشاركة عامة النـاس من الفقـراء والمستضـعفين الـذين يشـكلون الأغلبية، ولأن هـذه الاغلبيـة تتحكم فيها غالبا الصبغة العقائدية، كان الحاجة إلى من لـه الكلمة في هذه الشريحة ضرورة لا غنى عنها، ومن كرجل الدين في لعب هذا الدور؟

اذن اصبح اشـراك عـالم الـدين ضـرورة ملحـة في القضية وهـو الـدور الـذي لعبتـه السياسـة منـذ تأسيسها، ولم يسـلم دين من الأديـان عـبر التـأريخ من اسـتغلال بعض رجالـه من قبـل الساسة، وهنـا الطامة الكبرى فان اكثر رجال الدين يرفضون غالبا الاعيب الساســة وليس من الســهل العثــور على العناصر المؤثرة من صنف رجال الدين الذين يمكن الاعتماد عليهم في سوق الجماهير لصـالح الفكـرة، لـذا نـرى الساسـة المحـترفين والأفكـار المعمـرة ينتقون من بين رجال الدين الأكـثر نشـاطا وشـهرة وشعبية فيكيـدون لصـيده واقحامـه في مشـروعهم باقناعـه أو إغفالـه واسـتغلاله، وصـعوبة مثـل هـذه العمليــة دعتهم احيانــا الى اخــتراع رجــل الــدين المطلــوب اختراعــا بانتخــابهم النخب الذكيــة من المؤيدين لفكرتهم والأولوية في الاختيار لأفــراد من

الملة المقصودة وتـزريقهم في صـفوف المـدارس الدينيـة المفتوحـة بلا قيـود ودعمهم ماديـا ومعنويـا وبكل ما يضمن تفوقهم واحرازهم المراتب العلمية التي تؤهلهم لنيل المقام المحمود بين اقرانهم كمـا تيسر سبل الترويج لهم لكسب المكانة في الوسط الشعبي حيث الهدف. وبهذا اختلـط الحابـل بالنابـل عنـد عامـة النـاس وبـاتوا لا يميّـزون بين الحقيقي ليتبعوه والمزيف ليتجنبـوه. وقـد يصـعب ذلـك على الساسـة المسـتجدين المقلـدين لخطى السياسـة العالمية اما بالوكالـة أو بالاصـالة طمعـا في كسـب دنيـوي، فيكتفـون باسـتمالة ضـعاف النفـوس ممن حشر نفسه في صـفوف رجـال الـدين طلبـا لعيش رغيد وربمـا لبس بعض الساسـة منهم والتجـار من شـركائهم لبـاس النسـك ليسـيؤوا الاسـتفادة من الدين لتحقيق اهدافهم فيتقربون من بعض العلمـاء الصالحين ويكثرون الـتردد عليهم والتظـاهر بالزهـد والتقوى ليكسـبوا ثقـة العـالم المسـكين ويسـتغلوا بكل وقاحة هذه الثقة في اغواء العامة فينطق تارة باسم العالم واخرى بحشر العالم في قضيته حشرا بـريب المـداخلات والاسـتفتاءات مغفلا العـالم ومسـتغلا لمقلديه، ومنهم من يتمكن من شـخص العـالم بطـرق ملتويـة واسـتغلال ذوي النفـوذ من الحواشي.

ولحاجـــة السياســـي الى رجـــل الـــدين وعـــدم استغنائه عنه سـيما في المجتمعـات المتدينـة نـرى رجل الدين محشورا في السياسة، شـاء البشــر ام أبوا، وشاء رجال الدين أم لم يشاؤوا، وفي تاريخنــا الاسـلامي الشـواهد الكافيـة على مشـاهدة رجـال الدين في معسكرين متضادين دينيين كانـا كمـا في الصـدر الأول ام سياسـي وديـني كمـا في القـرون الأخيرة ام سياسيين كما في عصـرنا الحاضر. فقـد كان في معسكر علي بن ابي طـالب عليـه السـلام وهو خليفة المسلمين علماء دين وفي نفس الوقت ترى في معسكر خصمه معاوية علمـاء دين، وكـان في معســكر الحســين عليــه الســلام علمــاء وفي معسكر خصمه يزيد بن معاوية علمـاء، وفي العهـد العثماني نـرى في جبهـة العثمـانيين الـذين حكمـوا باسم الدين علمـاء بينمـا نـرى في معسـكر الغـزاة الاوربيين المحاربين للعثمانيين علماء حرضوا الناس على قتال العثمـانيين، وفي زماننـا حـدث ولا حــرج فلكل حـزب سياسـي عالمـه الـديني المـدافع عنه. المبارك له خطوته، وبذلك اختلط الأمر على الناس في علماء دينهم.

وفي زمن البعث القـــريب كـــان المئـــات من العلماء، منهم المعروف ومنهم دون ذلك، يمجــدون حزب البعث ويصلون على صدام حسين ويحضرون

مراسم تكريمه في حين قابلهم مئات يكفرون حزب البعث ويفتون بمحاربته كل ذلك في المدينة الواحدة والمذهب الواحد وفي جميع الاطياف الدينية. فما يكون موقف انسان عادي لم يعرف من الاسلام الا اسمه وهو يرى العلماء بين مادح وذام بل ويرى من صالحي العلماء من يمجد بصدام حسين وحزب البعث تقية.

ان هذه الظاهرة المألوفة في السياسة هو ما تحير به العراقيون في العهد الجديد، فتراهم فرقا متشرذمة متقابلة كل يردد شعار ليكثروا بذلك الطبول وليزيدوا العراقي المسكين حيرة فلا يدري على أي هذه الطبول يرقص ولا اجده بعد الارهاق الفكري الذي عاناه في حياته بقادر على تمييز الحق من الباطل من كل هذه الأبواق والشعارات.

بقي ان نشير الى أصيل الأفكار وعميلها، فهل كل من روج فكرة وإن كانت بصبغة معروفة مستساغة في محيط بشري هو أصيل؟ الجواب ربما، لكنه كالكبريت الأحمر، سيما مع استحواذ الاقوياء على الساحة الدولية فلا يمكن لبشر في يومنا هذا ان يقول لا شرقية ولا غربية ليزاحم سوق القوى العظمى فهم بالمرصاد، واذا ما تجرأ أحد على قولها فكل القوى الدولية تستوقفه ليخيروه بين السلة والذلة ولكم في الثورة الايرانية

التي نادت بالكلمة العبرة، فاسألوا الخبراء عن مسارها ومصيرها. وما الاناشيد التي نسمعها من كثير والشعارات التي تزدحم بها الجدران إلا زقزقة عصافير استظلت شجرة زيتونة شرقية أو غربية عميت على العوام مصدرها وموردها.

هذا ما يخص المطلب الأول وهو من يحكم العالم، وقد لخصناهم في ثلاثة أصناف لا يستغني من اراد معرفة حقائق النظريات عن معرفتهم، وهم اصحاب الكراسي رافعي لواء الثورة، الذين يأمرون بعد حكومتهم ولا يأتمرون وينهون ولا ينتهون الذين يظنون ان الخلق عبيد لهم، والتجار الذين يبحثون عن الربح اينما كان لا يهمهم سواه ولا يضيرهم ان يكون ربحهم على حساب كرامة شعوبهم أو قوت يومهم ما دامت الصفقة مضمونة وبعض رجال الدين الذين يبحثون عن العيش الرغيد والسمعة والجاه وان كان على حساب دينهم، فهؤلاء الثلاثة مجتمعين هم ناسجوا شبكة الحكومات الذين يديرون سياسة البلاد واقتصاده ودينه.

قد يقول قائل وما صلة هذا بموضوع العراق بعد حزب البعث؟ فأقول ان ما يشهده العراق اليوم هو من صلب الموضوع، وما هذه الفتنة العمياء التي نشهد بعض ارهاصاتها إلا نتيجة خلط

في الحسابات، لخروج التغيير عن سياق القاعدة التقليدي الذي عهدناه من قبل في مجمل التغييرات في العالم، لخطأ فادح في تقدير المغيّر حيث ظن حيازته للمقومات دون أن يحسب للموانع حسابا، فساسة مخضرمون ورأس مال من اصحاب الشركات العالمية وعلماء مضطهدون ينتظرون يوم الخلاص من البعث وشعب منهك، فهل في كسب النتيجة من شك؟ ولا يتهمني أحد هنا بالاساءة للعلماء لأني اؤيد العلماء الذين ايدوا هذا التغيير لأسباب معقولة. بل لولا موقف بعض العلماء لأريق ما تبقى من دم العراقيين دون ثمرة أو تم ذلك لصالح حزب البعث. واختيار أهون الشرين هو عين المنطق.

وان ذكرت السادة العلماء هنا بعد مرحلة صدام فالمراد ليس من اختار المنطق منهم وانما اقصد الذين طمعوا في ارث من لا وارث له، أو الذين خسروا رفد البعث فرفعوا من أجله أو من أجل مثيله راية الجهاد ليقحموا الشعب المسكين باسم الدين في خوض اللامعقول مستغلين حسن ظن عامة الناس بهذا الزي المقدس وصدق مشاعرهم وعواطفهم بل واستغلال الدين لغاية في نفس يعقوب لا في سبيل الله. فانا لله وانا اليه راجعون.

اما النقطة الثانية: حال العراق ومصيره بعد مرحلة البعث؟ فهو الموضوع الذي يستحق الوقوف عنده، وتوخي الحذر والدقة في تتبع فروعه المتشابهة المتشابكة، والظروف والملابسات التي رافقت حركة التغيير في الداخل والخارج، كما يتطلب استقراء الفرق التي اجتمعت في هذه الساحة الكبيرة لخوض المباريات المصيرية والتنافس على كأس ذهبي اسمه العراق أغلى جوائز الدنيا. وقد أثبتت الأحداث أن السياسة دين واحد لا يفرق من كان الإمام في تطبيقه.

كان شعب العراق يعيش في ظل حكم سياسي وحشي متعطش للدماء عاشق للمال مغرم بالتسلط على الرقاب تحزنه سعادة شعبه وتسعده تعاسة ملته يثلج صدره أنين المظلومين ويفتح أساريره صراخ المستصرخين، وفي المقابل شعب مضطهد ـ بجميع فئاته ومنهم البعثي من الدرجتين الثالثة والرابعة ـ يائس من الحياة يستغيث الصديق والعدو فلا يغيثه احد ويستنجد بالعربي والعجمي ولا يرحمه منهم راحم، حيران منقطع إلا من روح الله وبلغ به الأمر أن تمنى المنجي كائنا من كان.

ومن الخارج دول متجاورات ومتباعدات التقت مصالح أكثرها ببقاء البعث، وفئات بين صديقة

للحاكم الجائر عدوة للشعب، وصديقة للشعب عدوة للحاكم لكنها طامعة متربصة تترقب الفرص.

حاولت الدول الصديقة لصدام حسين الحيلولة دون سقوط حكومته لكنها فشلت، وزحف الغول الأمريكي وبمساندة أقماره من الغرب والعرب وسقط الصنم في 4/9 /ـ 2003. فماذا حدث بعد ذلك؟ سقط الصنم حسب تعبيرهم على يد جنود جورج بوش، فتنفس الناس الصعداء واختلط فرح الجماهير بفوضى عارمة لم يشهدها العراق من قبل، وعادت القلوب إلى الصدور بعد بلوغها الحناجر، ولكن ما وقع كان أعظم...!! ترددت شعارات الحرية والديموقراطية في جميع أنحاء العراق، لكن الذين استفادوا من هذه الحرية هم المفسدون من القتلة والسراق في حين يعيش عامة الشعب في قيد قانون لا يطبق إلا على المستضعف لأن الأغنياء والأقوياء وذوي النفوذ باتوا فوق القانون وإن أجرموا، لا يتجرأ جهة أمنية من التقرب منهم ولا يستطيع قاض من قضاة الدولة الحكم عليه لأن ذلك يعني نهايته.

ولئن عادت القلوب في ظل حكومة الحرية والديموقراطية بعد سقوط نظام البعث إلى مواضعها إلا أن العقول في المجتمع العراقي هجرت عروشها وهبطت إلى الصدور والبطون

حيث الوساوس والشهوات، فأرهقتها إرهاصات الشعار فدخلت غيبوبة لا يُعلم متى تفيق منها، فلا عاقل في البلاد ولا معقول، وإياك أن تنطق بهذه المقولة جهارا فهي أخطر عاقبة من الهتاف ضد صدام حسين ايام حكومة حزب البعث، وإذا رايتموني لا أمتثل لما أنهى عنه فلأني أصبت أيضاً باللوث الذي أصابت العقول بعد سقوط الصنم، وقد كدت أن أدفع ثمن ذلك قبل أيام بمؤامرة دنيئة بتغطية من بعض المفسدين من رجالات الدولة الذين هم على استعداد لبيع الضمير بلقمة من سماط غني.

وخرجت الأحزاب تتغنى بانتصارها على الطاغوت ثم تزاحمت على الميراث تاركة الشعب والوطن للاقدار، يواجهان المر من الصديق والعدو على حد سواء، أما من جهة العدو فقد استطاع بفضل الحرية من إعداد أدوات الفتك والقتل الجماعي من صواريخ ومفخخات تحت ذريعة الخلاص من المحتل ليذبح العراقيين بالجملة، في حين يجتمع رموزه في السر مع العدو المحتل بين حين وآخر، ومن جهة أخرى شهر الرقباء أسلحتهم وكواتمهم لقتل بعضهم بعضاً على نصيب من الميراث أو منصب من المناصب، واختلط بذلك الحابل بالنابل ولم يكد المرء يميز بين إرهاب العدو

وغـدر الصـديق، بـل تعـدى الأمـر حـدود الساسـة لتـدخل البطـون الـتي شـبعت بعـد جـوع سـاحة الفوضى فيقتل الشـقي منهم على الهـوى كـل من أثار حفيظته من الناس ولو بكلمة، يفعل ذلـك دون خــوف من ســطوة القــانون المحــابي للأقويــاء، والبركــة في فصــل العشــائر المرتكــز على حــل المعضلات بالمال، والمال لا يمنع الغني من ارتكاب جرمه لا سيما بعد أن استغنى الكـثرون بين عشـية وضحاها، فمال الشعب غنيمة سـهلة المنـال وكثـير ممن كان يشتكي من جوع الحصار ووحش الطـاوة بات اليوم بفضل الربيع يتحدث عن المليارات، ولــو أحصــينا القتلى في زمن الحريــة والديموقراطيــة لفاق العدد ما قتلهم البعث طيلة حكمه الجـائر هـذا من جهة الأمن الـذي انتظـره العـراقي بعـد إرهـاب البعث .

أمـا مـا انتظـره عامـة النـاس من الخـدمات الإنسانية والتخلص من عـذاب الـروتين بعـد الربيـع العــراقي فحــدث ولا حــرج، والوعــود تــترى من حكامهم عش يا حمار سوف يأتيك الربيع، ومـا زال ربيع الشعب العـراقي معلـق في فلـك الوعـود ولم يعــد عليهم رغم مــرور عشــر ســنوات على ربيــع الحواسم. والمصــــير المجهــــول في انتظــــار المستضـعف المسـكين الـذي لا مـال لـه يغنيـه ولا

ناصر يؤويه ولا قانون يحميه.

والواقع شاهد لمن ألقى السمع وهو بصير لا يحتاج معه إلى برهان، واقع يفقد العاقل فيه صوابه بعد ضياع الموازين وحكومة المتناقضات، فالكاذب مقبول القول دون حاجة إلى دليل، والصادق لا يقبل صدقه إلا بدليل هذا ما يحكم به القضاء فاقتل واسرق بحذاقة وما عليك إلا أن تنكر عند القاضي فلا أحد يبحث عن الحقيقة. فكيف لا يفقد عقله من يعيش أجواء المتناقضات، وكيف لا يهذر من فرغ محيط عقله من المعقولات؟

من يعقل أن ينعت مجتمع قبلي مثل المجتمع العراقي بالديموقراطي؟

ومن يعقل أن تصبح حكومة ملوك الطوائف المطبق عمليا في العراق هي الحكومة المثالية التي ينتظر منها مراعاة العدل والمساواة والديموقراطية؟ فالحكومة الرسمية حكومة، والعشائر حكومة مستقلة، والأحزاب كل منها حكومة، والموظف في دائرة الدولة حكومة، والأشقياء من ذوي المال والعضلات حكومة، والكل يحكمون الشياه المسكينة، وويل لشاة بين أسد وذئب وثعلب.

ومن يمكنه الصبر وهو يرى الرفاق ورجال الأمن والاستخبارات يتقلدون مناصب أعلى مما

كـانوا يتقلـدون أيـام البعث ويحضـون بأولويـة في الرعاية حـالهم حـال رجـالات الأحـزاب الـتي ادعت معارضـتها للبعث بينمـا يسـحق ضـحايا البعث مـرة أخرى في ظل حكومة الربيع؟

ومن يحتمل أن يرى الأحـزاب الـتي اسـتنجدت بالشعب في نضالها للخلاص من نظام حزب البعث وادعت تــذمرها من أســاليبه وهي تســلك نفس الأساليب بعد استلامها زمام الأمر بقدرة قادر؟

ومن يتوقــع أن يــرى الســلطة والقضــاء في خدمة الأقوياء والأغنياء دون العدالة التي يتغـنى بهـا الجميــع ليبقى المستضــعف دائمــا هــو المــدان المسحوق؟ الأقويـاء محـترمون لقـوتهم والضـعفاء محقّــرون بضــعفهم، أمــير يســرق مليــارات فلا يحاسب، وفقير يقطع في ربع دينار، والقاتل يخــرج من محاكمنا بالبراءة ويكـون الضـحية هـو المـدان؟ فعش مجنونا فعقلك في ساحة اللا عقل قاتلــك ولا تصدق حكيم فحكيمك هو الآخر مجنون.



دفتر فرهنگ مقاومت
دانشگاه آزاد اسلامی